

كِتَابُ
الْوَفَاءِ الْوَفِيَّاتِ

تأليف
صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

من ١٦١٥
المجلد التاسع (الجزء ٥)

مطبعة دار الكتب العلمية - بيروت

طبعة

بمطبعة دار الكتب العلمية - بيروت

تأليف

تأليف

أحمد الأرناؤوط

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

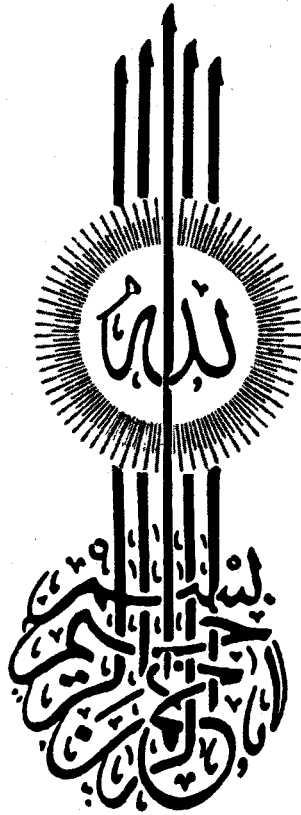
دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

كتاب
الوافي بالوفيات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يعقوب بن يوسف^(١)

١ - «المنصور المراكشي» يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، الملقب بالمنصور أمير المؤمنين، أبو يوسف القَيْسِي المراكشي سلطان المغرب، أمّه أم ولد. ملك وعمره اثنتان وثلاثون سنة. وعمر بمراكش^(٢) بيمارستاناً^(٣) غريباً أجرى فيه مياهاً كثيرة، وغرس فيه من جميع الأشجار وزخرفه، وأمر له في كل يوم بثلاثين ديناراً للأدوية، وكان يعود المرضى فيه في كل جمعة.

وكتب إليه صلاح الدين بن أيوب يستنجده على الفرنج، وخاطبه بأمير المسلمين ولم يخاطبه بأمير المؤمنين، فلم يجبه إلى ما طلب.

ووقع بين المنصور هذا وبين الأذفونش ملحمة هائلة قل أن وقع مثلها، قُتِلَ فيها من الفرنج مائة ألف وستة وأربعون ألف نفس، وقُتِلَ من المسلمين نحو من عشرين ألف نفس، وحُمِلَ من دروعهم لبيت المال ستون ألف درع، وأما الدواب فلم يُحصَ عددها^(٤).

وكان قد أمر أن لا يُفتى بفروع الفقه، وأن لا يفتى إلا بالكتاب والسنة، وأن يجتهد الفقهاء على طريقة أهل الظاهر. وإليه تُنسب الدنانير اليعقوبية، وأمر بقراءة البسمة في أول

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٣١١/٢١).

أخباره في التواريخ المستوعبة لعصره ولا سيما التواريخ المعنية بالمغرب والأندلس مثل «البيان المغرب» و«الحلل الموشية» و«روض القرطاس» و«أعمال الأعلام» و«الاستقصا» و«نفخ الطيب» وغيرها. ومن التواريخ المشرقية: «الكامل» لابن الأثير، و«المرآة» لسبط ابن الجوزي، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، وغيرها وقد ترجم له السبط في المرآة ترجمة جيدة: (٤٦٤/٨) فيما بعد وابن خلكان في «الوفيات» (٣/٧ - ١٩) انظر التعليق على «وفيات الأعيان» و«الأعلام» للعلامة المرحوم الزركلي (٢٦٧/٩)، وقد نقل الذهبي معظم الترجمة من كتاب «المعجب» لعبد الواحد المراكشي: (٣٣٦) فيما بعد.

(٢) مراكش: أعظم مدينة بالمغرب وأجملها، وبها سرير ملك بني عبد المؤمن، أول من اختطها يوسف بن ساسفين اهـ «معجم البلدان» (٩٤/٥).

(٣) اليمارستان: هو المستشفى وهو فارسي معرب اهـ «المعجم الوسيط» (٧٩/١).

(٤) واسم هذه الوقفة «الأرك» انظر «البيان المغرب» في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عذاري طبعة دار الثقافة بيروت (١٩٥/٣).

الفاتحة في الصلوات، وأرسل بذلك إلى سائر بلاد المسلمين فأجاب قومٌ وامتنع آخرون، وكان يشدد على الرعية بإقامة الصلوات الخمس ويعاقب على تركها، ويأمر بالتداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو اشتغل عنها بمعيشة عزّره، تعزيراً^(١) بليغاً، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر، وقتل العمال الذين تشكو الرعية منهم.

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان - رحمه الله تعالى -: وصل إلينا جماعة من مشايخ المغرب وهم على تلك الطريق، مثل أبي الخطاب ابن دحية، وأخيه أبي عمر، ومحيي الدين بن العربي نزيل دمشق^(٢).

وكان محباً للعلماء، محسناً إليهم، مقرباً لهم وللدباء، مضغياً إلى المديح مثنياً عليه. وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي «صفوة الأدب وديوان العرب» من مختار الشعر. ومن شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مُجَبَّر الأندلسي، وقد تقدم ذكره في مكانه ودخل عليه الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود الشاعر المشهور فأنشده: [من الوافر]

أزالَ حجابَه عَنِّي وَعَيْنِي تراه من المهابة في حجابٍ
وقربني بفضلٍ منه لكن بَعُدْتُ مهابةً عند اقترابي^(٣)

وكان يعقوب هذا صافي السمرة جداً، إلى الطول ما هو، جميل الوجه، أعين شديد الكحل، ضخّم الأعضاء، جهوريّ الصوت، جدل الألفاظ، أصدق الناس لجهةً وأحسنهم حديثاً، وأكثرهم إصابةً بالظن، مجرباً للأمور. ولي وزارة أبيه فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً، وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفةً بجزئيات الأمور. ولما مات أبوه اجتمع رأيُ أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه، فبايعوه وعقدوا له البيعة ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجدّه، ولقبوه المنصور، فقام بالأمور أحسن قيام وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل، وأقام الحدود حتى على أهله وعشيرته. وخرج عليه علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن عائشة المُلثم من جزيرة ميورقة^(٤) في شعبان سنة ثمانين، وملك بتجاية وما حولها، فجهّز إليه المنصور يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولاً في البحر، ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمس

(١) التعزير: هو تأديب دون الحد وأصله من العزr وهو المنع. اهـ «التعريفات» (٨٥).

(٢) وقبره فيها مشهور ويزار.

(٣) انظر البيتين في «وفيات الأعيان» (١٥/٧).

(٤) جزيرة في بلاد الأندلس في الشرق منها بالقرب من جزيرة يقال لها منورقة اهـ. «معجم البلدان» (٢٤٦/٥).

مائة فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد إلى مراکش.

وفي سنة ست وثمانين بلغه أنَّ الفرنج ملكوا مدينة شَلْب^(١)، وهي في غرب جزيرة الأندلس، فتجهَّز إليها بنفسه، وحاصرها وأخذها وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحِّدين ومعهم جماعة من العرب ففتحو أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة. وخافه صاحب طليطلة وصالحه خمس سنين، وعاد إلى مراکش. ولما انقضت الهدنة ولم يبق منها إلا القليل، خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين، فنهبوا وسبوا وعاثوا عَيْثاً فظيماً، فتوجه لقصدهم، وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمس مائة، وجمع جيوشه من أطراف البلاد واحتفل احتفالاً عظيماً، وخرج إلى مدينة سلا^(٢) ليكون اجتماعُ العساكر بظاھرھا فاتَّفَق أنَّه مرض مرضاً شديداً، إلى أن يشَّس أطباؤه فتوقَّف الحال عن تدبير الجيوش، فحُمِلَ إلى مراکش، وطمع المجاورون له من العرب وغيرهم وعاثوا في البلاد وأغاروا على النواحي. وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد الأندلس وتفرَّق الجيوش شرقاً وغرباً وزاد طمع الأذفونش، وبعث رسولاً إلى الأمير يعقوب يتهدَّده ويتوعَّده ويطلب بعض الحصون المتاخمة له وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخَّار وهي:

باسمك اللّٰهم فاطر السماوات والأرض وصلى الله على السيّد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح. أمّا بعدُ، فلا يخفى على ذي ذهن ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنك أميرُ الملة الحنيفيّة كما أني أميرُ الملة النصرانيّة، وقد علمت ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعيّة، وإخلادهم إلى الرّاحة، وأنا أسوّمهم بحكم القهر وخلاء الدّيار، وسبي الذراري، وأمثل بالرجال، ولا عُذْر لك في التّخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يدُ القدرة. وأنتم تزعمون أن الله فرض عليكم قتالَ عشرةٍ منّا بواحدٍ منكم ف ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦/٨]، ونحن الآن نقاتلُ عشرةً منكم بواحدٍ منّا، لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً، وقد حُكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وأنت تماطلُ نفسك عاماً بعد عام، وتقدّم رجلاً وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التّكذيب بما وعدك ربُّك، ثم قيل لي إنك لا تجد إلى

(١) شلب: مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة المجد، ليس بعد إشبيلية مدينة مثلاً، اهـ «معجم البلدان» (٣/٣٥٧).

(٢) سلا: وهي في أقصى بلاد المغرب ليس بعدها معمورة إلا مدينة صغيرة يقال لها غرنيطوف، وهي متوسطة في الصغر والكبر موضوعة في زاوية من الأرض حاذياها البحر والنهر اهـ «معجم البلدان» (٣/٢٣١).

جواز البحر سبيلاً لعلّة لا يجوز لك التّقحّم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرّهن، وترسل لي جملةً من عبيدك بالمرائب والشّواني^(١) والطرائد والمسطحات، وأجوز بجملتي إليك، وأقاتلك في أعزّ الأماكن إليك، فإن كانت لك فغنيمةٌ كبيرةٌ جلبت إليك وهديّةٌ عظيمةٌ مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت إمارة المملّتين، والحكم على البرّين، والله يُوفّق للسعادة، ويسهّل الإرادة، لا ربّ غيره، ولا خير إلاّ خيرُه إن شاء الله تعالى.

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مرّقه وكتب على ظهر قطعةٍ منه ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٢٧/٣٧] الجواب ما ترى لا ما تسمع.

ولا كُتِبَ إلّا المشرفيّة عنده ولا رُسِلَ إلّا الخميسُ العرمم^(٢)

ثم استدعى الجيوش من الأمصار، وضرب السّرادقات بظاهر البلد من يومه، وجمع العساكر وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبّته، فعبّر فيه إلى الأندلس، ودخل بلاد الفرنج وقد اعتدوا واحتشدوا وتأهبوا، فكسرهم كسرةً شنيعةً في سنة اثنتين وتسعين وخمسة مائة، ولم ينبج منهم ملكهم إلّا في نفرٍ قليل، وكان ما ذكرته في أوّل هذه الترجمة. وأخلى الفرنج قلعةً رباحٍ لما داخلهم من الرّعب، فملكها الأمير يعقوب وجعل فيها والياً وجيشاً. ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول إلى بلاد الفرنج فعاد إلى طليطلة وحاصرها وقطع أشجارها، وأخذ من أعمالها حصوناً كثيرةً، وقتل رجالها وسبى حريمها وهدم مبانيها، وترك الفرنج في أسوأ حال. ثم رجع إلى إشبيلية وأقام إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة وعاد إلى بلاد الفرنج مرةً ثالثةً وفعل كفعله المتقدّم، فلم يبق للفرنج قدرةٌ على لقائه وسألوا منه الصلح فأجابهم، وصالحهم لمدة خمس سنين، وعاد إلى مراکش. ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر إلى بلاد إفريقية، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا: قد طالت غيبتنا بالأندلس فمِمّا من له خمسُ سنين ومِمّا من له ثلاثُ سنين، فأنعِم علينا بالمهلة هذا العام، وتكون الحركة أوّل سنة خمس وتسعين، فأجابهم وانتقل إلى مدينة سلا، وشاهد ما فيها من المتنزّهات المُعدّة له، وكان قد بنى بالمدينة المذكورة، قريباً منها، مدينةً سمّاها رباط الفتح، على هيئة الإسكندرية، وبنّاها على البحر المحيط، وهي على نهر سلا مقابله من البرّ القبلي، وتنزّه فيها وعاد إلى مراکش.

(١) الشواني: جمع شونة: وهي المركب المعد للجهاد في البحر اهـ «قاموس» (مادة/ شون).

(٢) انظر البيت في «ديوان المتنبي» (٤٤٠) للواحدي.

ثم إنَّ النَّاسَ اختلفوا في أمره من هنا، فقالوا: إنَّه ترك ما كان فيه وتجرَّد وساح في الأرض وانتهى إلى بلاد الشَّرْق وهو مُسْتَخْفٍ لا يُعْرَفُ ومات خاملاً، ويقال: إنَّ قبره بالقرب من المجدل، قرية من البقاع العزيزي عند قرية يقال لها حَمَّارة، وإلى جانبها مشهدٌ يُعرف بقبر الأمير يعقوب ملك الغرب، كلُّ أهل تلك النواحي متفقون على ذلك؛ وقالوا: مات بمدينة سلا في غرّة جمادى الأولى، وقيل: في شهر ربيع الآخر في سابع عشرة، وقيل: في غرّة صفر سنة خمس وتسعين وخمس مائة بمراكش، ومولده سنة أربع وخمسين وخمس مائة، وأمر ليدفنَّ على قارعة الطريق ليرتَحِمَ النَّاسُ عليه.

وبايع النَّاسُ ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب، وقد تقدَّم ذكره في المحمدين.

ومن حكايات الأمير المنصور يعقوب، أنَّ رجلاً من المشاركة وصل إليه في زِيِّ رسولٍ وزعم أنَّه من الهند يذكر أنَّ ذلك الملك رأى في كتابٍ ملحمةٍ عنده، أنَّ أبا يوسف هذا يصل بجيوشه من المغرب ويملك بلاد المشرق ثم يفتح الهند. وما أشبه ذلك، وطلب الاجتماع به فقال المنصور: «العاقل الكريم ينخدع في ماله ولا ينخدع في عقله، وأمر بإنزاله وإجراء الضيافة عليه حتى يفصل، وأمَّا الاجتماع به فلا سبيل إليه».

ورفع إليه صاحبُ شرطته أنَّ رجلاً من العائمة ممن ابتلاه الله بحبِّ الخمر اشتاق إلى عادته فقالت له زوجته: قد علمت أنَّ الخليفة يقتل على الشرب، وأنت فيك عريدة^(١) وقلة صمتٍ إذا شربت، فقال لها: أنا أحسم المادة؛ فقيَّد نفسه بقيد حديد ثم اشتغل بشربه وأغلق بابه، فنَمَّ به أحدُ أنذال جيرانه إلى صاحب الشرطة؛ فأمر المنصورُ أن يضرب السكران الحدَّ الخفيف، ويؤخذ القيد من رجله ويوضع في رُجُل الغمَّاز^(٢) بعد أن يضرب على تجسُّسه ويودع السجنَ حتى يستريح النَّاسُ منه.

واحتاج لأحد أولاده عالماً وأميناً، فطلبهما من القاضي، فاختر له القاضي رجلين وصف أحدهما في رقعته أنه عالم بحر، والآخر أنه أمين برّ، فاستنطقهما المنصور، فعلم أنهما [مقصرين] فوقَّع في الرقعة ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ [الروم: ٤١/٣٠].

واشتهر له من قوله شعر أفسد به العرب على قراقوش أحد ممالك صلاح الدين وكان قد استولى على طرابلس وقابس وعظم أمره بالغرب: [من البسيط]

يا أيُّها الرَّاكِبُ السَّاري لَطِيَّتِهِ
على عُذافرة تشقى بها الأكم

(١) عريدة: سوء الخلق اهـ. «قلموس» (مادة/ عريدة).

(٢) الغمَّاز: من غمز بالرجل: أي سعى به شراً. اهـ «قاموس» (مادة/ غمز).

بَلِّغْ سَلِيمًا عَلَى بُعْدِ الدَّيَارِ بِهَا
يَا قَوْمَنَا لَا تَشُبُّوا الْحَرْبَ إِنْ خَمَدَتْ
حَاشَى الْأَعَارِبَ أَنْ تَرْضَى بِمَنْقَصَةٍ
يَقُودُهُمْ أَرْمَنِيَّ لَا خَلَاقَ لَهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا دَعَوْتُكُمْ
وَلَا التَّجَاثُ لِأَمْرٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
لَكِنْ لِأَجْزِي رَسُولَ اللَّهِ عَنْ رَجَمٍ
فَإِنْ أَتَيْتُمْ فَحَبْلُ الْوُضَلِ مُتَّصِلٌ
فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى الشَّعْرِ مَالُوا إِلَى الْمَنْصُورِ وَانْحَرَفُوا عَنْ قَرَاوُشَ.

وله مَوْشَّحَاتٌ حَسَنَةٌ عَمَلَهَا فِي جَارِيَةٍ لَهُ يَهْوَاهَا تَسْمَى سَاحِرَ، وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْمَوْشَحَةُ
لِابْنِ زَهْرٍ الْمَغْرِبِيِّ:

هَلْ يَنْفَعُ الْوَجْدُ أَوْ يَفِيدُ أَوْ هَلْ عَلَى مَنْ بَكَى جَنَاحُ
يَا شَقَّةَ الْقَلْبِ غَبَّتْ عَنِّي فَالْ لَيْلُ عِنْدِي بِلَا صَبَاحٍ^(١)

٢ - «المُقَرَّى»^(٢) يعقوب بن يوسف بن عمر بن الحسين بن المُعَمَّر، أَبُو مُحَمَّدٍ
الْمُقَرَّى الْبَغْدَادِي. كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْقُرَّاءِ الْمَجُودِينَ الضَّابِطِينَ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ يَسَّرَ عَلَيْهِ
الْتَّلَاوَةَ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ إِذَا رَكَعَ رَكَعَتِي تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ قَرَأَ فِيهِمَا سَبْعًا مِنَ الْقُرْآنِ أَسْرَعَ مِنْ قِرَاءَةِ
غَيْرِهِ جُزْأً وَاحِدًا. قَرَأَ بِالرُّوَايَاتِ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الدَّبَّاسِ، وَمُحَمَّدِ
ابْنِ الْحُسَيْنِ الْمَرْزُفِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ خُضْرٍ خَطِيبِ الْمَحْوَلِ وَغَيْرِهِمْ. وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنْ ابْنِ
الْحَصِينِ، وَابْنِ كَادَشٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقُرَّاءِ، وَأَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ
الْمُجَلِّي، وَغَيْرِهِمْ؛ وَحَدَّثَ بِالْكَثِيرِ وَأَقْرَأَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.

قال محب الدين ابن النجار: وكان صدوقاً تغير واختلط في سنة ثمانين وخمس مائة،
وتوفي سنة سبع وثمانين وخمس مائة، رحمه الله تعالى.

٣ - «المعز بن صلاح الدين»^(٣) يعقوب بن يوسف الملك المعز، ويقال الأعز، شرف

(١) انظر «الموشح في ميزان الذهب في صناعة شعر العرب» (١٥٦).

(٢) انظر ترجمته في «التكملة لوفيات النقلة» (١/١٦٠)، و«غاية النهاية» (٢/٣٩١).

(٣) انظر ترجمته في «النجوم الزاهرة» (٦/٦٢)، و«مفرج الكرب» (٣/٢٧٤)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٦٢٤ - ٦٢٧)، و«التكملة لوفيات النقلة»، و«ترويح القلوب» (٩٤).

الدين أبو يوسف بن السلطان صلاح الدين الناصر بن أيوب. ولد سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة وتوفي سنة أربع وعشرين وست مائة. وسمع من عبد الله بن بَرِّي وابن أسعد الجواني، وقرأ القرآن على الأرتاحي وكان متواضعاً كثير التلاوة دِيناً. حدث بالحرمين ودمشق وكان صدوقاً؛ وتوفي بحلب رحمه الله تعالى.

٤ - «ابن الدِّقَّاق»^(١) يعقوب بن الدِّقَّاق أبو يوسف. كان مستملي أبي نصر صاحب الأصمعي. قال: كُنَّا يَوْمَ جُمُعَةٍ بِقُبَّةِ الشُّعْرَاءِ فِي رَحْبَةِ مَسْجِدِ الْمَنْصُورِ نَتَنَاشِدُ، وَكُنْتُ أَعْلَاهُمْ صَوْتاً، إِذْ صَاحَ بِي صَاحِبُ بَيْ صَائِحٍ مِنْ وَرَائِي: يَا مَتَوَفَّ! فَتَغَافَلْتُ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ فَقَالَ: وَيْلَكَ يَا أَعْمَى، يَا أَعْمَى لِمَا لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَبُو دَانِقِ الْمُؤَسَّوسِ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَيْلَكَ هَلْ تَعْرِفُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَوْ أَشْعَرَ مِنْ قَائِلِهِ: [مَنْ الْمُنْشَرَح]

مَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ مِنْهُ نَاحِيَةً إِلَّا أَقَامَتْ مِنْهُ عَلَى حَسَنِ
فَقُلْتُ كَالْمَحَاجِزِ لَهُ: لَا، فَقَالَ: لَا أُمَّ لَكَ، هَلَّا قُلْتُ: نَعَمْ، قَوْلُهُ: [مَنْ الْهَزَج]

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حَسَنًا إِذَا مَا زُدْتَهُ نَظَرًا
ثُمَّ وَثَبَ وَثْبَةً إِلَى جَانِبِي وَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: يَا عَمِّي، صِفْ لِي صَوْرَتَكَ السَّاعَةَ عَلَى الْبَدِيهَةِ وَالْأَخْرَجْتَكَ مِنْ بَزَّتِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ مِنْ كَانَ حَاضِرًا فَقَالَ: طَلَمْنَاهُ ظَلَمْنَاهُ، هُوَ ضَرِيرٌ لَمْ يَرِ وَجْهَهُ فَمَنْ أَحْسَنَ مِنَّا أَنْ يَصِفَهُ فَلْيَصِفْهُ، وَكَانَ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَقْبَحَ النَّاسِ وَجْهًا، وَكَانَ يَحْلِقُ شَعْرَ رَأْسِهِ وَشَعْرَ لَحْيَتِهِ وَشَعْرَ حَاجِبِيهِ وَيَذْنُ، قَالَ: فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ، فَقَالَ: اكْتُبُوا صِفَتَهُ فِي رَأْسِهِ وَأَنْشُدْ: [مَنْ الْوَافِر]

أَشْبَبُهُ رَأْسُهُ لَوْلَا رَجَارُ
بَاضْخَمِ قَرَعَةٍ عَظُمَتْ وَتَمَّتْ
إِذَا عَلِيَتْ أَسَافِلُهَا أَنَالَتْ
فَكَانَ لَنَا مَكَانُ الْجِيدِ مِنْهَا
لَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ وَبَيْضُ
فَلَا سُلِّمَتْ مِنْ حَذَرِي وَخَوْفِي
وَوَثَبَ إِلَيَّ فَحَالَتْ الْأَيْدِي بَيْنَهُ وَبَيْنِي.

٥ - «الجبَّان»^(٢) أبو يعقوب الجبَّان. قال ياقوت: لم يقع إليَّ اسمُهُ وَوَجَدْتُهُ مَذْكُورًا فِي

(١) انظر ترجمته في «عيون التاريخ» (٤٩/٦).

(٢) لم أعر على ترجمته.

«كتاب إصبهان» ولا شك في كونه من إصبهان. قال حمزة بن الحسن في «كتاب إصبهان»: أبو يعقوب الجبان مؤدّب المكتفي، قال: [من المقارب]

إذا المشكلات تصدّين لي كشفت حقائقها بالنظر
وإن برّقت في مخيل الصّوا بر عمياء لا يجتليها البصر
مقنّعة بظلام الغيوب سلّلت عليها حُسام الفكر
ولستُ بِإمّعة في الرّجال أسائل هذا وذا ما الخبز
ولكنني وافر الأضرّين أقيس على ما مضى ما حضر
وقال أيضاً: [من الطويل]

لقد ساء أقواماً بقائي لعلّهم بعلمي بآباء لهم سلفوا قبلي
وسرّ بقائي آخرين لعلّهم بأن ليس عن أحسابهم ذائد مثلي
وقال أيضاً: [من الكامل]

دُنْيا دَنْتُ من جاهل وتباعدت عن كلّ ذي لبّ له جُجُر
سَلَحْتُ على أربابها حتى إذا صارت إليّ أصابها حُضُر

«الألقاب» اليعقوبي: اسمه محمد بن يعقوب بن عبد الله.

يَعْلَى

٦ - «أبو المنذر العروضي» يعلى بن عقيل، أبو المنذر العروضي العنزي^(١). كان من العلماء أصحاب الرواية وكان يؤدّب أبا عيسى ابن الرشيد. قال: كنت أطلب فصاً أكتب عليه «أبو المنذر يعلى بن عقيل يشهد ألا إله إلا الله مخلصاً»، واشتهيت أن أجعله حديداً؛ فدخلت على أبي عيسى ابن الرشيد وكان في حجري، يعني أودّبه، فرأيت في يده فصّاً أحمر كبير المقدار يسع ما أريده من الكتابة، فسألته عنه، فأعلمني أنّ الرشيد دعا به واستنشدته وسأله عن أشياء فأجابته فأنشدته وأحسن فأعجبه، فأحمد أثري وأمر لي بالفص وخلعة وفرس وعشرة آلاف درهم، وأمر لأبي عيسى بثلاثين ألف درهم، وصرف أبو عيسى كلّ ذلك إليّ، فكرهت الفرس، فاشترته أبو عيسى منّي، فبلغ ذلك الرشيد فاستحسنه، وأمر له بمائة ألف درهم وأمر لي بخمسين ألفاً، وأوصى أبو المنذر أن يُدقّق الفصّ معه ففعل ذلك.

ومن شعره يمدح أبا دُلْف: [من الطويل]

(١) انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (٣٥٤/١٤)، و«الأنساب» (٤٣٨/٨).

إذا خَفَتَ من أمرٍ عداً وِصولةً فنبّه لها ذا المكرُمات أبا دلف
 تُنبّه فتىً قد زَيْن اللّه أمره وقَدّمه في البأس والحمد والشرف
 ليفدك من أصبحت إن ذكر الندى أقرّ على رغم بفضلك وأَعترَفَ
 ومن لم تزل تكفيه كلّ عزيمة وتدفع عنه ما يخافُ من التَّلَفِ
 فِعِشْ سيداً وانعم كريماً ولا تزل رجاء لمن ناداك باسمك أو هَتَفَ

٧ - «الصحابي»^(١) يَعْلَى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك، أبو صفوان الحَنْظَلِي، وأكثرهم يقول: أبو خالد. أسلم يوم الفتح وشهد حُنيناً والطائف وتبوك. وقيل: أبو أمية، وأمّه مُنية، وقيل: أمية أمّه واختلِف في ذلك كثيراً. استعمله أبو بكر على بلاد [خُولان] في الرّدة؛ ثم عمل لعمر على بعض اليمن فحمى لنفسه حمىً، فبلغ ذلك عمر فأمر أن يمشي على رجله إلى المدينة، فمشى خمسة أيام أو ستّة إلى صعدة، وبلغه موت عمر فركب وقدم المدينة على عثمان فاستعمله على صنعاء؛ ثم وفد على عثمان، فمر عليّ على بابِ عثمان فرأى بغلةً جوفاءً عظيمة هائلة فقال: لمن هذه؟ فقيل: ليعلى فقال: ليعلى والله. وكان عظيم الشأن عند عثمان. وله يقول الشاعر: [من الطويل]

إذا ما دُعِيَ يعلى وزيدُ بن ثابتٍ لأمرٍ ينوبُ النَّاسَ أو لخطوبٍ
 وكان على الجَند فلما بلغه مقتل عثمان أقبل ينصره، فسقط بغيره في الطريق فانكسرت فخذّه، فأقبل مكة بعد انقضاء الحج فخرج إلى المسجد وهو كسير على سرير، فاستشرف إليه الناس واجتمعوا فقال: من خرج يطلب بدم عثمان فعليّ جهازه. وقيل: أعان الزبير بأربع مائة ألف وحمل سبعين رجلاً من قريش، وحمل عائشة رضي الله عنها على جمل يقال له عسكر وكان اشتراه بمائتي دينار.

قال ابن عبد البر: كان يعلى بن أمية سخيّاً معروفاً بالسخاء وقتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة ثمان وثلاثين بعد أن شهد الجمل مع عائشة.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٠٠/٣)، و«طبقات ابن سعد» (٤٥٦/٥)، «طبقات خليفة: ت ٢٩»، «التاريخ الكبير» (٤١٤/٨)، و«المعرفة والتاريخ» (٣٠٨/١)، «الجرح والتعديل» (٣٠١/٩)، «جمهرة أنساب العرب» (٢٢٩)، «الاستيعاب» (١٥٨٤)، «الجمع بين رجال الصحيحين» (٥٨٦/٢)، «أسد الغابة» (١٢٨/٥)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١٦٥/٢/١) و«تهذيب الكمال» (١٥٥٤)، و«تاريخ الإسلام» (٣٢٦/٢)، و«تهذيب التهذيب» (١٨٧/٤)، «العقد الثمين» (٤٧٨/٧)، «الإصابة» (٦٦٨/٣)، «تذويب التهذيب» (١١/٣٩٩)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٣٧٦) «أمالي اليزيدي» (٩٦) «أسماء الصحابة الرواة» (٢٨١)، «الوسائل إلى مسامرة الأوائل» (١٢٩، ٣٤)، «ذيل المذيل» (٤٠).

ويقال إنه تزوج بنت الزبير وبنّت أبي لهب.

وروى له الجماعة عن عبد الرحمن بن عبيد، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام، منيت بأطوع الناس في الناس: عائشة، وبأدهى الناس: طلحة، وبأشجع الناس: الزبير، وبأكثر الناس مالاً: يعلى بن مُنية، وبأجود الناس: عبد الله بن عامر؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال: يا أمير المؤمنين والله لأنت أشجع من الزبير وأدهى من طلحة وأطوع فينا من عائشة وأجود من ابن عامر، ولما ل الله أكثر من مال يعلى، وليكونن كما قال الله عز وجل ﴿فسيقفونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾ [الأنفال: ٣٦/٦] فسرّ علي بقوله.

قال أبو مخنف: أقرض يعلى بن منية الزبير بن العوام حين خرج إلى البصرة في وقعة الحمل أربعين ألف دينار فقضاها ابن الزبير بعد ذلك لأن أباه قتل يومئذ ولم يقضها.

ولما صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة فاتفقا على أن يصلي ابنُ هذا يوماً وابنُ هذا يوماً؛ فقال شاعرهم في ذلك: [من المتقارب]

تبارى الغُلامان إذ صلياً وشخَّ على المُلّاك شيخاهُما
وما لابن طلحة وابن الزبير وهذا بذئ الجزع مولاهما
فأُمهما اليوم غرَّتْهُما ويعلى بن منية دلاهما

٨ - «العامري الصحابي»^(١) يعلى بن مُرة بن وهيب بن جابر العامري. أمه سَيّابة وربما نسب إليها. ويكنى أبا المرزام. شهد مع رسول الله ﷺ، الحديبية وخيبر والفتح وحنيناً والطائف. وروى عنه ابنه عبد الله بن يعلى، والمنهال بن عمرو وغيرهما. يُعدُّ في الكوفيين، وقيل إنه بصري وله دار بالبصرة.

وروى له الترمذي والنسائي وابن ماجه.

٩ - «الهاشمي الصحابي»^(٢) يعلى بن حمزة بن المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي. قال مصعب: لم يعقب أحد من بني حمزة بن عبد المطلب إلّا يعلى وحده فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه وماتوا كلهم عن غير عقب فلم يبق لحمزة عقب.

١٠ - «الصحابي»^(٣) يعلى بن حارثة الثقفي حليف لبني زهرة بن كلاب. قتل يوم

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» (١٢٨/٥)، «تهذيب التهذيب» (٣٩٩/١١)، «أسماء الصحابة الرواة» (٢٨١)، «الأعلام» (٢٠٤/٨)، و«الإصابة» (٣٥٣/٦)، و«طبقات ابن سعد» (٢٦/٦).

(٢) انظر ترجمته في «أسد الغابة» (٥٤٣/٥).

(٣) انظر ترجمته في «الإصابة» (٣٥٣/٦)، و«أسد الغابة» (٥٤٢/٥).

اليمامة شهيداً، كذا قاله أبو معشر، وقال ابن إسحاق: حُيِّ بن حارثة.

١١ - «الأرتسي»^(١) يعلی بن ابراهیم الأرتسی، تأدب بالقيروان. قال ابن رشيق في الأنموذج: كان شاعراً مجوداً، مليح الكلام، حسن النظام، لألفاظه حلاوةٌ وعليها طلاوةٌ، ويذهب إلى الفلسفة في شعره ويغرب في عباراته وربما تكلف قليلاً، وكانت له مكانة من الخطِّ والترسل وعلم الطب والهيئة.

قال: اجتمعت به مرة وأنا حديث السن، لم أكن قبلها رأيته، فأخذ في ذكر الشعراء وغَضَّ من عبد الكريم، وقال: هو مؤلف كلام غير مخترع؛ فأغلظت له في الجواب، فالتفت إليّ مُنكِراً عَلَيّ، وقال: وأنت ما دخولك بين الشيوخ يا بُنَيَّ؟ فقلت: ومن يكون الشيخ أبواه الله؟ فعرفني بنفسه ثم أخرج رقعة بخطه فيها من شعره: [من البسيط]

إيأة شمس حواها جسمٌ لؤلؤة تغيب عن لُطفٍ فيها ولم تُغِبِ
صفراء مثل النُّضار السَّكْبِ لابسَةٌ درعاً مكللةً دُرّاً من الحَبَبِ
لم يتركِ الدهرُ منها غيرَ رائحةٍ تضوَّعت وَسَناً ينساحُ كاللَّهَبِ
إذا النديمُ تلقَّاهَا ليشربَهَا صاغت له الراحُ أطرافاً من الذَّهَبِ

فقال: كيف رأيت؟ فقلت وأردت الاشتطاط عليه: أما البيتُ الأوَّلُ فناقصُ الصنعة، مسروقُ المعنى، فيه تنافر. قال: وكيف ذلك؟ قلت: لو كان ذكر الياقوتة مع اللؤلؤة كما قال أبو تمام: [من الكامل]

أو دُرَّةٌ بيضاءٌ بكرٌ أطبقت حبلاً على ياقوتةٍ حمراء
لكان أتمَّ تصنعاً وأحسنَ ترصيعاً، ولو ذكرتِ روحَ الخمر مع جسمِ الكأس لكان أوفقَ للمعنى، ولو قلت مع قولك: «إيأة شمس حواها نهار» وعنيت به الكأس، كما قال ابن المعتز، ويروى للقاضي التنوخي: [من المتقارب]

وراح من الشمس مخلوقة بدت لك في قدح من نهار
لكنك قد ذهبت إلى شيء غريب عجيب.

وأما قولك «تغيب من لطف فيها ولم تغب»، فمن قول البحري: [من الكامل]
تخفي الزجاجة لونها فكأنَّها في الكأس قائمةٌ بغيرِ إناءٍ
وأما البيت الثاني فأكثر من أن ينثه عليه. وأما البيت الثالث فمن قول ابن المعتز: [من

(١) انظر ترجمته في «معجم البلدان» (١/١٣٦).

[البسيط]

أبقى الجديدان من موجودها عدما لوناً ورائحة من غير تجسيم
 وأما البيت الأخير فمن قول مسلم بن الوليد: [من الطويل]
 أغارت على كفّ المُديرِ بلونها فصاعَتْ له منها أنامل من ذُبُلِ
 وقوله أيضاً: [من الطويل]
 إذا مسَّها الساقِي أعارت بنانه جلابيب كالجاديّ من لونه صُفرا
 وفيه عيب يقال له: التوكؤ، وهو تكريرُك ذكر الراح وهو مُستغنى عنه قال: فبماذا كنت
 تسدّ مكانه؟ قلت: كنت أقول:
 «صاغت ليمناه أطرافاً من الذهب»

وأنشدته لنفسِي دون أن أعلمه: [من الطويل]

معتقة يعلو الحباب جنوبها فتحسبه فيها نشير جمان
 رأت من لجين راحة لمديرها فجادت لها من عسجد ببنان
 ثم أنشد يصف بُستاناً: [من البسيط]
 يفيض بالماء منه كلُّ فَوْهَةٍ لكل فَوّارة بالماء تنذرِف
 كأنها بين أشجار منورة ظلت بمستجلس اللبلاب تستجف
 مجامر تحت أثواب مَحَلَّبةٍ على مساحيها دُخانها يَهْفُ
 وقال: هل تعلم في هذه الأبيات شيئاً؟ ولم أرْ بعدْ مكاشفَتَه فأضربتُ عن أبياتِ
 علي بن العباس الرّومي تشبيهه بالمجمرة بالفوّارة وإنما عَكَّسَهُ يعلى؛ وقلت قريباً منه وأنشدته
 لنفسِي: [الخفيف]

وكأنَّ الأشجارَ في حُللِ الأنـ ووار والغيثُ دمعُه غيرُ راقٍ
 غانياتٍ رُششنَ من ماء وردٍ فَخَبَّأْنَ الوجوةَ في الأطواقِ
 فقال: لمن أنشدتني بدءاً وعودة؟ قلت: لمن أنكرت عليه أن يدخلَ بين الشيوخ،
 وعُرِّفَ بي فاستصحبني من ذلك اليوم.

١٢ - «الطنافسي»^(١) يعلى بن عُبيد، أبو يوسف الطنافسي العابد، أحد الإخوة؛ عن

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٧٦/٩)، «طبقات ابن سعد» (٣٩٧/٦)، «تاريخ خليفة» (٤٧٣)،

«طبقات خليفة» (٣١٢)، «التاريخ الكبير» (٤١٩/٨).

ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: هو أثبت أولاد أبيه في الحديث. توفي، رحمه الله تعالى،
لخمس خلون من شوال سنة تسع ومائتين. وروى له الجماعة كلهم.^٣

١٣ - «الأحول»^(١) يعلى بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو. شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية، وكان أحول، وكان خليعاً يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم فيغير بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السابلة، فشكا الناس أمره إلى نافع بن علقمة والي مكة، وهو خال مروان بن الحكم، فلم يزل يراصده إلى أن أتى به فقيده وحبسه فقال في مَحَبَسِهِ: [من الطويل]

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ دَوْنَهُ شَدَوَانٍ يَمَانٍ وَأَهْوَى الْبَرْقَ كُلَّ يَمَانٍ
فَبْتُ لَدَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَشِيمُهُ وَمَطْوَايَ مِنْ شَوْقٍ لَهُ أَرْقَانٍ
إِذَا قَلْتُ شِيمَاهُ، يَقُولَانِ وَالْهَوَى يَصَادِفُ مِنَّا بَعْضَ مَا تَرِيَانٍ
منها:

أَلَا لَيْتَ حَاجَاتِي اللَّوَاتِي حَبَسْنِي لَدَى نَافِعٍ قُضِّينَ مِنْذُ زَمَانٍ
وَمَا بَيَّ بُغْضٌ لِلْبِلَادِ وَلَا قَلَى وَلَكِنْ شَوْقاً فِي سِوَاهِ دَعَانِي^(٢)

يَعْمُرُ

١٤ - «الصحابي»^(٣) يَعْمُرُ السَّعْدِي، والد أبي خُزامة؛ حديثه عن ابن شهاب. سمع أبو خزيمة ابن يعمر عن أبيه أنه قال: «يا رسول الله أرأيت أودية نتداوى بها ورقى نسترقى بها هل ترد من قدر الله؟ فقال النبي ﷺ: إن ذلك من قدر الله عز وجل»^(٤).

يعيش

١٥ - «الصحابي»^(٥) يعيش بن طخفة الغفاري الصحابي. حديثه عند ابن لهيعة، وهو

(١) انظر ترجمته في «الأغاني» (١٤٧/٢٢) (٣١٤/٢)، «المعارف» (٥١٧)، «الجرح والتعديل» (٣٠٤/٩)، «مشاهير علماء الأمصار» (ت ١٣٨٢)، «تهذيب الكمال» (لوحه: ١٥٥٥). «تهذيب التهذيب» (١/١٨٨/٤)، «العبر» (٣٥٧/١)، «تذكرة الحفاظ» (٣١٤/١)، «الكاشف» (٢٩٥/٣)، «دول الإسلام» (١٢٩/١)، «شرح العلل» لابن رجب (٢/٦٦٩)، «تهذيب التهذيب» (٤٠٢/١١)، «طبقات الحفاظ» (١٤٠)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٤٣٨)، «شذرات الذهب» (٢/٢٣).

(٢) الأبيات: في «الأغاني» (١٤٨/٢٢).

(٣) انظر ترجمته في «الإصابة» (٣٥٤/٦)، و«أسد الغابة» (٥٤٥/٥).

(٤) لم أعر عليه.

(٥) انظر ترجمته في «الإصابة» (٣٥٤/٦)، و«أسد الغابة» (٥٤٦/٥)، و«الجرح والتعديل» (٣٠٩/٩).

شامي. قال: سمعت عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْر يحدث عن يعيش بن طخفة الغفاري: أنَّ رسول الله ﷺ، أتى بناقة فقال: من يحلبها؟ فقام رجل فقال: أنا، فقال: ما اسمك؟ قال: مُرَّة، فقال: اقعد، ثم قام الآخر فقال: ما اسمك؟ فقال حمزة، قال: اقعد، قال يعيش فقامت، فقال: ما اسمك؟ قلت: يعيش، قال: احلب^(١).

١٦ - «الجُهني ذو الغُرَّة»^(٢) يعيش الجُهنيّ ذو الغُرَّة، يقال الطائي ويقال الهلالي. صحابي روى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي ﷺ في النهي عن الصلاة في أعطان الإبل والأمر بالوضوء من لحومها، وقال: «لا توضؤوا من لحم الغنم وصلّوا في مراحها»^(٣).

١٧ - «أبو البقاء الأسدي النحوي»^(٤) يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضل، العلامة موفق الدين أبو البقاء الأسدي، الموصلّي الأصل الحلبي النحوي، ولد بحلب سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة، وتوفي سنة ثلاث وأربعين وست مائة. وسمع بها وبالموصل، وكان يعرف أولاً بابن الصائغ، وكان من كبار أئمة العربية، تخرج به أهل حلب وطال عمره وشاع ذكره. وأخذ النحو عن أبي السَّخاء الحلبي، وأبي العباس المغربي، وليسا بمشهورين. وقَدِم دمشق وجالس الكندي وسأل عن قول الحريري «حتى إذا لَأَأَ الأفق ذَنبُ السُّرْحَانِ»، فتَوَقَّف وقال: علمت قصدك، إنك أردت إعلامي بإمكانك من النحو. وذكر ابن خلكان أنه قرأ عليه معظم «اللمع»^(٥) لابن جني، وقال: حضرته وقد طَوَّل شرح هذا البيت وأوضح، والشخص الذي يشرح له ساكناً مُنصت إلى الأخذ؛ ثم قال: يا سيدي أَيْشِر في المليحة ما يُشَبِّه الطيبة؟ قال: قرونها وذنبُها، فضحك

(١) الحديث: ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٥/٥٤٦).

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٢٥٠)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» برقم (٥٥٨).

(٤) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٣/١٤٤)، «إنباه الرواة على أبناء النحاة» للقفطي (٤/٣٩-٤٤) «الترجمة» (٨٢٣)، «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» لابن الشعار الموصلّي (نسخة مكتبة أسعد أفندي) (٢٣٣٠) ج ١٠، الصفحة (١٠٨) «وفيات الأعيان» (٧/٤٦-٥٣)، «الترجمة» (٨٣٣)، «صلة التكملة» للحسيني الورقة ٣١، «تاريخ أبي الفداء» (٢/١٧٤)، «تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي (١٣/٣٠١٣ أيا صوفيا) ج ٢٠ الورقة ٤٦، «العبر للذهبي» (٥/١٨١)، «تلخيص أخبار النحويين واللغويين» لابن مكتوم النسخة التيمورية (ص ٢٧٤)، «النجوم الزاهرة» (٦/٣٥٥)، «بغية الوعاة» للسيوطي (٢/٣٥١-٣٥٢)، «الترجمة» (٢١٦٥)، «شذرات الذهب» (٥/٢٨).

(٥) اللمع: وهو «اللمع في النحو» لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلّي النحوي المتوفى سنة (٣٩٢) جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي واعتنى به جماعة اهـ «كشف الظنون» (٢/١٥٦٢).

الجماعةُ وَخَجَلِ الرَّجُل، والبيت المذكور: [من الطويل]

أياَ ظبيّةَ الوعساءِ بينَ جُلاجلٍ وبينَ النقا آنتِ أم أمّ سالمٍ

وروى عنه صاحب ابن العديم، وابن مجد الدين، وابن الخلوانية، وابن هامل، وبهاء الدين أيوب بن النحاس، وأخوه أبو الفضل إسحاق، وسنقر القاضي، والحافظ ابن الظاهري أبو العباس، وأبو بكر بن أحمد الدشتي وهو آخر من حَدَّث عنه. وكان موفق الدين ظريفاً مطبوعاً خفيف الروح مع سكينه ورزاقته، وله نوادر كثيرة، وكان تطويل الروح حسن التفهيم، وعامة فضلاء حلب تلامذته. شَرَح «المفصل»^(١) للزمخشري، و«التصريف»^(٢) لابن جني. وقال موفق الدين: وردت إلى حمص مرةً فصنع لنا رجلٌ من أهلها طعاماً واحتفل به، وكان في جملة قرع بلبن وكان إلى جانبي رجل انبسط عليه فجعل يأكل منه، ووافقه آخرٌ إلى جانبه، فناديت صاحب المنزل: زِدنا من الطعام فإن أصحابنا يأكل بعضهم بعضاً، فانقلب المجلس بالضحك. وقال: لا أعرف لنفسي شعراً إلاً أياتاً قلتها في السلطان الملك الظاهر غازي وهي: [من البسيط]

يا أيُّها الملكُ الميمونُ طائرُهُ ومن سحابِ نداهُ الذَّهر هَطَّالُ
ومَن صوارمُهُ في كلِّ معركة جوازمٌ وطلَى أَعْداءهُ أَفْعَالُ
ما زال يَغسِفُنِي دهرٌ حوادِثُهُ حَوَّلَ لأهلِ النهى والفضل تَغْتالُ
متى انضويْتُ إلى أحشاءِ بَرِّك بي لما ظلمت ولما حالت الحالُ
وَقُلْتُ من حيث آمالي مُهاجِرَةٌ إليك يا من له فضلٌ وإفضالُ
لي حرمةُ الضيف والجارِ القديمِ ومن أتناكُم وكهولُ الحَيِّ أطفالُ

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان: وكُنَّا نقرأ عليه يوماً بالمدرسة الرواحية فجاءه رجل من الأجناد وبيده مسطور بدّين، وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية، فقال له: يا مولانا اشهد عليّ في هذا المسطور، فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله: «أقرت فاطمة»؛ فقال له الشيخ: أنت فاطمة؟ فقال الجندي: يا مولانا الساعة تحضر، وخرج إلى باب المدرسة وأحضرها وهو يتبسّم من كلام الشيخ. قال: وكُنَّا يوماً نقرأ عليه

(١) «شرح المفصل»: (المفصل في النحو) لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري اهـ، انظر «كشف الظنون» (١٧٧٥/٢).

(٢) التصريف: واسمه «التصريف الملوكي» لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي، وهو مختصر لطيف أوله: هذه جمل من أصول التصريف شرحه يعيش بن علي اهـ. «كشف الظنون» (٤١٢/١).

في داره فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماءً فأحضره، فلما شربه قال: ما هذا إلا ماء بارد، فقال له الشيخ: لو كان خبزاً حاراً أكان أحب إليك؟ قال: وكُنّا يوماً عنده بالمدرسة الرواحية فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة جيدة، فقال له الحاضرون: أئشُر هذا يا شيخ وأين وقتُ العصر؟ فقال الشيخ موفق الدين: دعوه عسى أن يكون له شغل وهو مُسْتَعَجِل. قال: وكان يوماً عند القاضي بهاء الدين المعروف بابن شذاد قاضي حلب، فجرى ذكر زرقاء اليمامة، وأنها كانت ترى الشيء من المسافة البعيدة حتى قيل إنها تراه من مسافة ثلاثة أيام، فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك، فقال الشيخ: أنا أرى الشيء من مسافة شهرين، فتعجب الكلُّ من قوله وما أمكنهم أن يقولوا له شيئاً، فقال له القاضي: كيف هذا يا موفق الدين؟ فقال: لأنني أرى الهلال، فقال له: كنت تقول من مسافة كذا كذا سنة، فقال: لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضي وكان قصدي الإبهام.

١٨ - «أبو القاسم الشافعي»^(١) يعيش بن صدقة بن علي، أبو القاسم الفراتي الضرير الفقيه الشافعي، صاحب ابن الخل. كان إماماً صالحاً بارعاً في معرفة المذهب والخلاف شديد الفتاوى حسن المناظرة، توفي سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة.

١٩ - «الحنبلي»^(٢) يعيش بن ربحان بن مالك أبو المكارم الأنباري الحنبلي، أبو محمد. قدم بغداد واستوطنها وقرأ بها الفقه وبرع فيه وصار من المشايخ المشار إليهم، وسكن مدرسة الوزير ابن هُبَيْرَة، وكان الفقهاء يقرؤون عليه. سمع الحديث من سعد الله بن نصر بن الدجاجي ومن الكاتبة شُهْدَة ومن جماعة من المتأخرين. قال محب الدين بن النجار: كتبنا عنه، وكان صدوقاً رحمه الله تعالى؛ وتوفي سنة اثنتين وعشرين وست مائة.

يغمور

٢٠ - «ابن العُكْبَرِي الأُمِير»^(٣) يغمور بن عيسى بن العكبري الأمير. قال العماد الكاتب: هو من أولاد الأتراك بدمشق وأمرائها، ذو فضائل مفرطة وشمائل حلوة وفطنة

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٣٠٠/٢١) ترجم له ابن الأثير في «الكامل» (٥٥/١٢) والمنذري في «التكملة» (٤١٠)، والنعال البغدادي في «مشيخته» (١٣٥) وهو الشيخ الرابع والأربعون فيها والذهبي في «تاريخ الإسلام» الورقة (٧٤) (باريس ١٥٨٢) و«المشبه» (٥٠١)، والصفدي في «نكت الهميان» (٣١٢) والسبكي في «الطبقات» (٣٣٨/٧)، وابن الملقن في «العقد المذهب» الورقة (١٦٥)، والفساني في «العسجد» الورقة (١٠١) وابن عبد الهادي في «معجم الشافعية» الورقة (١١٢).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠٦/٥).

(٣) انظر ترجمته في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام (٣٥٤/١).

متيقظة، شاب من جملة الأمراء مُقَدَّم مُقَدَّام، خان أمله وحان أجله وفلَّ الشبا الطرير من شبابه الطري؛ وجرى القدرُ بأفول كوكبه الدُّري.

وأورد له من شعره: [من الطويل]

أخ لي على جَوْرِ الزَّمانِ وعَذله وعوني على استهْضامِهِ ونَوَالِهِ
إذا غالني خَطْبٌ وقاني بنَفْسِهِ وإن نالني جَذْبٌ كفاني بمالِهِ
فلا زال معمورَ الجَنابِ مُسَلِّماً ولا زالت الأقدارُ طوعَ مَقَالِهِ

الألقاب

اليغموري الحافظ: اسمه يوسف بن أحمد.

اليغموري: محمد بن إسحاق بن يغمور.

الأمير شهاب الدين أحمد بن موسى بن يغمور.

بنت يقطين الكاتبة: اسمها الرضا، تقدم ذكرها في حرف الراء.

يقطين

٢١ - «أحد دعاة العباسيين»^(١) يقطين بن موسى، أحد دُعاة بني العباس ومُتمن قرَّر أمرهم، وكان داهية حازماً شجاعاً. ولَمَّا حبس مروان بن محمد إبراهيم الإمام تحيَّرت الشيعة لا يدرون من الإمام بعده. فقال لهم: أنا أخبركم؛ فغيَّرَ زِيَّه وأتى حرَّان فوقف لمروان فقال: يا أمير المؤمنين أنا رجل غريب تاجر قدمت بمتاع فبعث إليَّ إبراهيم فاشتراه مني ومطلني ثمنه، وقد حبسته، فإن رأيت أن تجمع بيني وبينه وتأخذ لي بحقي منه. فقال مروان لبعض خدمه: اذهب معه إلى إبراهيم وقل له يخرج من حق هذا الرجل، فمضى معه فلَمَّا دخل عليه قال له: إلى متى تمطلني بدِّيني وإلى من أوصيت أن يَدْفَعَ إليَّ مالي؟ فقال: إلى ابن الحارثية. فعاد إلى الشيعة وأخبرهم أنَّ أبا العباس هو الإمام بعده. وكان يقطين عظيماً عند بني العباس، ولاه العباس والمنصور والمهدي الولايات، وأطلع المهدي على ابنه علي ابن يقطين بالزندقة فقتله. وتوفي يقطين - رحمه الله تعالى - سنة ست وثمانين ومائة.

(١) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٠/١٨٨)، و«تاريخ الطبري» (٣/٣٩٠)، و«الأغاني» (٦/٢٨٥)،

يلبغا

٢٢ - «يَلْبُغَا الْيَحْيَوِي نَائِب دِمَشْق»^(١) يَلْبُغَا الْيَحْيَوِي الْأَمِير الْكَبِير سَيْف الدِّين ابْن الْأَمِير سَيْف الدِّين طَابَطَا النَّاصِرِي نَائِب الشَّام وَحَلَب وَحِمَاة. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَالِدِهِ فِي حَرْف الطَّاء. كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْخَاصَكِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي آخِرِ الْأَمْرِ عِنْدَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَعَزَّ مِنْهُ. وَهُوَ شَكْلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، مَلِيحُ الثَّغْرِ، أَيْضُ اللَّوْنِ، طَوِيلُ الْقَامَةِ، مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ، قَلَّ أَنْ تَرَى الْعَيُونَ مِثْلَهُ. كَانَ سَاقِيًا وَكَانَتْ الْأَنْعَامُ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ أَسْتَاذِهِ لَمْ يَفْرَحْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ، يُطْلِقُ لَهُ الْخَيْلُ بِسُرُوحِهَا وَعَدَدِهَا وَآلَاتِهَا، الزَّرْكَشُ وَالذَّهَبُ الْمَصْوَغُ، خَمْسَةُ عَشَرَ فَرَسًا خَمْسَةَ عَشَرَ فَرَسًا، وَالْأَكَادِيشُ مَائَتَيْنِ مَائَتَيْنِ رَأْسًا يُنْعِمُ بِهَا عَلَيْهِ جَشَارَاتٌ؛ وَيَجْهَرُ إِلَيْهِ الْخَلْعُ وَالْحَوَايِصُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّشَارِيفِ الَّتِي يَعْطِيهَا هُوَ مِنْ جِهَتِهِ لِمَنْ يَحْضُرُ لَهُ الْإِنْعَامَاتُ، وَبِالْجَمْلَةِ فَكَانَتْ الْإِنْعَامَاتُ الَّتِي يُرْسَمُ لَهُ بِهَا خَارِجَةٌ عَنِ الْحَدِّ. وَبَنِي لَهُ الْإِسْطَبَلُ الَّذِي فِي سَوَاقِ الْخَيْلِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ بِالْقَاهِرَةِ، لَمْ يُعَمَّرْ بِالْقَاهِرَةِ مِثْلَهُ. وَكَانَ هُوَ وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَلِكُتْمُرُ الْحِجَازِيِّ قَدْ تَوَلَّيَا تَمْرِيزُ السُّلْطَانِ لَمَّا مَاتَ. ثُمَّ إِنَّهُ سَأَلَ لَهُ فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحَةِ أَنْ يَكُونَ فِي حِمَاةِ نَائِبًا بِهَا، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ وَجَاءَ إِلَيْهَا عَوْضًا عَنِ الْأَمِيرِ عَلَايِ الدِّينِ أَلْطُنْبُغَا الْمَارْدَانِيِّ؛ وَتَوَجَّهَ الْمَارْدَانِيُّ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبَ، وَجَاءَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُقْرُتْمُرُ مِنْ حَلَبَ إِلَى دِمَشْقٍ نَائِبًا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَلَمَّا مَاتَ الْأَمِيرُ عَلَايِ الدِّينِ أَلْطُنْبُغَا الْمَارْدَانِيُّ فِي حَلَبَ رَسَمَ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طُقْرُتْمُرُ إِلَى مِصْرَ وَرَسَمَ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبَغَا بِنِيَابَةِ دِمَشْقٍ فَدَخَلَ إِلَيْهَا يَوْمَ السَّبْتِ ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَتَوَجَّهَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرْقُطَايَ إِلَى حَلَبَ نَائِبًا، فَأَقَامَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ يَلْبَغَا الْيَحْيَوِي بِدِمَشْقٍ عَلَى حَالِهِ، وَأَرْجَفَ النَّاسُ كَثِيرًا بِأَنَّ الْمَلِكَ الْكَامِلَ يَرِيدُ إِمْسَاكَهُ بَعْدَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ الْمَلِكِ وَالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قُمَارِي، فَاسْتَوْحَشَ مِنْ ذَلِكَ وَبَرَزَ إِلَى الْجَسُورِ بِدِمَشْقٍ فِي خَامِسِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سَبْعِ وَأَرْبَعِينَ وَأَقَامَ هُنَاكَ أَيَّامًا، وَحَضَرَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ طُرْنُطَايَ الْبَشْمَقْدَارِ نَائِبَ حِمَصَ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَرَاقُ نَائِبَ صِفْدَ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَسَنْدُمُرُ نَائِبَ حِمَاةَ، وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدُمُرُ الْبَدْرِيِّ نَائِبَ طَرَابُلُسَ وَاجْتَمَعَ الْكُلُّ عِنْدَهُ بِظَاهِرِ دِمَشْقٍ وَعَسْكَرَ دِمَشْقَ بِأَجْمَعِهِمْ، وَكَاتَبُوا الْكَامِلَ وَخَلَعُوهُ وَظَاهَرُوهُ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِ وَعَدَمِ الطَّاعَةِ، فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْكَامِلِ وَخَلْعِهِ وَقَتْلِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَةِ شُعْبَانَ الْكَامِلِ. وَلَمَّا تَوَلَّى الْمُلْكُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ حَاجِي أَقْرَ الْأَمِيرِ

(١) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٤/٢٢٢).

سيف الدين يلْبُغَا على حاله في نيابة دمشق، وجعل ابنه أمير محمد أميراً بطلبخاناه، وأمر الأمير عز الدين طُفْقُطَاي دَوَاذَارَه أمير طلبخاناه، وعمَّر هو قبة النصر عند مسجد القدم مكاناً كان به مبرزاً، وكان قد عمَّر قبل ذلك القيسارية التي هي بَرَا باب الفرج، وعمر الحمامين اللذين بحكر العنابة بَرَا باب الجابية بدمشق. وشرع في عمارة الجامع الذي بسوق الخيل على نهر بردا في أول سنة ثمان وأربعين وسبع مائة. وفي ثامن عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، ورد إليه الأمير شمس الدين أَقْسَنْقَرُ الْمُظْفَرِي أمير خازندار وعلى يده كتاب السلطان الملك المظفر بإمساك الأمراء الستة الذين ذُكروا في ترجمة الأمير شمس الدين أَقْسَنْقَرُ النَّاصِرِي، وفيه إعلامه بالواقعة وإطابة خاطره وتسكينه. فكتب الجواب بالدُّعاء للسلطان وجَهَّز أستاذ داره سيف الدين أَقْسَنْقَرُ معه، واستوحش كثيراً من الواقعة بالأمراء فاستدعى بأمراء دمشق بعد ذلك بيومين وهو في دار السعادة وعَرَّفَهُمْ ما جرى، وكتبوا إلى نواب الممالك بالحال. وجَهَّز الأمير سيف الدين ملك آص إلى حمص وحماء وحلب، وجَهَّز الأمير علاي الدين طُنبُغَا القاسمي إلى طرابلس، وجاءه ليلة الجمعة مَنْ زَادَهُ وَخْشَةً، فلم يصبح له بدار السعادة أثرٌ غير نساته، وانتقل يوم الجمعة بكرة إلى القصر ونزل به، ونزل والده وإخوته وألزامه ومن معه ومماليكه بالميدان، وكان يركب وينزل إلى يوم الأربعاء، فجاءه الأمير سيف الدين أَرَاي أمير آخور بكتاب السلطان الملك المظفر بطلبه إلى مصر ليكونَ رأسَ أمراء المشورة، وأن نيابة دمشق أنعم بها على الأمير سيف الدين أَرْغُون شاه نائب حلب. وقال سيف الدين أَرَاي ذلك نِعْمَةً لأمراء دمشق فتحلَّت عنه العزائم، وتجهَّز وطلع إلى الجسور ظاهر دمشق على العادة التي فعلها في السنة الماضية وكان ذلك بعد العصر خامس عشر جمادى الأولى وأقام إلى بعد الصلاة من يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى. وكانت الملطفات قد جاءت من السلطان إلى أمراء دمشق بإمساكه عشية الخميس، فأنزلوا الصنجق السلطاني من القلعة واجتمعوا بعسكر دمشق تحته وقصدوه. فلَمَّا علم بذلك ركب في سلاحه، ولما عاين أوائلهم هرب بمماليكه وأهله وهرب معه الأمير سيف الدين قلاوون والأمير ناصر الدين محمد بن جُمُوق وتبعه الأمير علاي الدين طُغْرِيل ابن الايغاني الحاجب الكبير والأمير شهاب الدين ابن صبح وغيرهما من أمراء دمشق، فعادوا بعدما أوصلوه إلى خلف ضُمَيْر^(١).

وقتل من العسكر جماعة. ثم إنَّ الأمير فخر الدين إياز، السلاح دار نائب صفد، وصل بعسكر صفد إلى دمشق بكرة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى وخرج العصر بعسكر

(١) ضَمِير: وهي موضع قرب دمشق في آخر حدودها تبعد عنها حوالي ثلاثين كيلو متراً وهي حالياً مدينة كبيرة.

دمشق أيضاً وصفد وتوجه بهم إلى حمص؛ وكان العرب قد أنكوه ومنعوا منه الماء واقتطعوا بعض ثقله. وجدّ في طلبه سَلَار بن تتر البدرى وأخوه بُرَيْد ومنعوه القرار والنوم. وكلّ هو ومن معه مَلٌّ من حمل السلاح ليلاً ونهاراً وَحِمِي الحديد عليهم وعانوا الهلاك واختلف مماليكه عليه حتى تمنى الموت، وقال لهم: بالله وسُطُونِي أو اضربوا عنقي؛ كلُّ هذا وهم ما بين القريتين إلى أمهين وصدد. ولما سمعت ذلك قلت: [من الطويل]

تفرَّق شملُ السَّعِدِ عن يلبغا وقد بهغا وغدا في عكسه متورطاً
فقال له السيفُ الذي شُدَّ وسطه وقد بالغ الأعراب في الجور والسطا
تلذَّذَ بقتل فيه للنفس راحةً وإن رُمِتْ أهنا العيش فابغِ توسطاً
فقال له مماليكه: أنت قلت لنا إن نائب حماه معك، توجّه بنا إليه، فلم يرَ إلاّ
المطاوعة فَعَبَرَ على ظاهر حمص، وتوجّه إلى حماه فخرج إليه الأمير سيف الدين قطليجا
الحموي النائب بحماه وتلقاه ودخل به إلى حماه. ثم إنه أمسكه وأمسك والده وأخويه قَرَاكُزْ
وَأَسْنَدُمُرْ، والدوادار عز الدين طقطاي وسيف الدين جوبان والأمير سيف الدين قلاوون
والأمير ناصر الدين محمد بك بن جَمَقْ، وقيدهم وجَهَّز سيوفهم إلى السلطان، ثم بعد ذلك
جهز الأمير سيف الدين يلبغا والده مقيدين إلى السلطان. فلما وصل إلى قاقون، كان قد
وصل إليها الأمير سيف الدين مَنَجَك فأطلعوه إلى القلعة ومعه والده، وحبسوهما في بيتين
مفردين، ثم أنزلوا والده من قلعة قاقون وجَهَّز على البريد إلى السلطان آخر النهار. وطلع
إلى سيف الدين يلبغا مَشَاعِلَيَان فأحسَّ بذلك، وسألهما الوضوء والصلاة ركعتين، ولَمَّا فرغ
قال لهما: بالله عليكما هَوْنَاهَا عَلَيَّ، فقالا له: يا خوند إن أردت ذلك فدعنا ندير كتافك،
فمكنهما من نفسه وخنقاه، فسمع الناسُ شهقته من أسفل القلعة، ثم حَزَّ رأسه وَوَضَعَ في
عَسَلٍ وجَهَّز إلى السلطان، ثم دُفِنَتْ جُثَّتُهُ بقاقون رحمه الله تعال وسامحه، وكان ذلك في
العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مائة. ثم إنَّ الأمير سيف الدين
منجك تجهَّز إلى حماه وجَهَّز أخويه سيف الدين قراكرز وسيف الدين أسندمر وعز الدين
طقطاي الدوادار وسيف الدين جوبان إلى مصر مقيدين.

وخَلَفَ الأمير سيف الدين يلبغا اثني عشر ولداً، أكبرُهم أمير محمد وعمره تقدير سبع
سنين. وكانت له طبلخانه وكان له زوجتان: أخت صمغار وبُزْلاَر وكان يحبّها كثيراً، وأمّ
محمد وهي أخت الست أردو والدة الملك الأشرف كُجُك. وكان يتلو القرآن جيداً ويلازم
تلاوته في المصحف، ويحبّ أهل القرآن ويجالسهم، ويحب الفقراء، ولم يكن فيه شرّ ولا
انتقام. وقبل خروجه من دمشق بأربعة أيام أحضر قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي

إلى القصر ووقف أملاكه وخصّ الجامع الذي أنشأه بدمشق بمبلغ ستين ألف درهم في كل سنة من صلب ماله، رحمه الله، ومضى كأنه لم يكن. ولم أر مثل ما نال من السعادة التي فاضت عنه على والده ووالدته وإخوته وأقاربه ومماليكه، لأن والده سيف الدين طابطا كان أمير مائة مقدم ألف، وأخواه أميرَي طبلخاناه، وولده طبلخاناه، وذو قرابته الأمير شهاب الدين شعبان بطبلخاناه، ودواداره الأمير عز الدين بطبلخاناه، ومملوكه سيف الدين جويان أمير عشرة، وبقية مماليكه، جماعة منهم، لهم الإقطاعات الفاخرة في الحلقة. واعتنى بجماعة من أهل حلب وحماء ودمشق وخلص لهم الطبلخانات وعلى الجملة، كانت سعادة زائدة عن الحد لكنها خُتِمت بهذا الشرِّ الكبير الذي فاض على ذويه وأهله؛ فلا قوّة إلا بالله العلي العظيم. [من المتقارب]

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْهَبُوطُ فإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَةَ
ومن جملة ما رأى من العزّ أنه كان قد توعّك وحصل له سوء مزاج، وكان عند السلطان الملك الناصر أستاذه في المرقد، وهو جالس ورجلاه في ركبتيه يكسهما ويرش الماورد على وجهه، ويتولى تمييزه وخدمته وطبه بنفسه، وكان ولده إبراهيم، وهو أكبر من السلطان أبي بكر، قد مرض بالجذري ومات ودفن ولم يره ولا عاده شغلاً بتمريض يلبغا، فهذا نهاية في العزّ. ومن جملة الذل الذي رآه أن يتولى خنقه مشاعليّان من قاقون، ودفن في أرض قاقون جسداً بلا رأس، اللهم خلّصنا من شرور هذه الدار الغرارة.

وقلت في أمره والتَرَمْتُ تشديد الزاي: [من الطويل]

دَعِ الدَّهْرَ يُعَلِي مَنْ أَرَادَ إِلَى الشَّهَى ودافعه من وقتٍ لوقتٍ وَجَزُهُ
فَقَدْ نَالَ مِنْهُ يَلْبِغَا فَوْقَ مَا ابْتَغَى وَقِصَّتُهُ تُجَلَى عَلَى الْمَتْنَزِهِ
وَأَنْزَلَ مِنْ عِنْدِ الثَّرِيَا إِلَى الثَّرَى وَأَمْسَكَهُ صَرْفُ الرَّدَى فِي مُحَزِّهِ
وَأَلْحَفَهُ الْعَيْشُ الْغَلِيظُ رِذَاءَةً عَلَى لُظْفٍ مَعْنَاهُ وَرِقَّةٍ بَزْهِ
فَلَا سَعْدَ إِلَّا مَا رَأَيْنَاهُ نَالَه وَلَا ذُلَّ إِلَّا مَا رَأَى بَعْدَ عِزِّهِ

وقلت أيضاً: [من الطويل]

إِنَّ فِي يَلْبِغَا لِكُلِّ لَبِيبٍ عِبْرَةً أَصْبَحَتْ عَلَى الدَّهْرِ تُثْلَى
مَا يَسَاوِي الْعِزُّ الَّذِي قَدْ رَأَاهُ فِي دِمَشْقَ بَذْلُ قَاقُونِ أَصْلَا

وقلت أيضاً: [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَبَاطِلٌ فَطُوبَى لِمَنْ كَفَّاهُ مِنْهَا تَفَرُّغَا

وما عجبني إلا لمن بات واثقاً بأيام دهرٍ ما رعى عهدَ يَلْبُغَا
يَلْتَكِين

٢٣ - «أمير دمشق»^(١) يَلْتَكِين التركي مولى هفتكين. أهداه أمير دمشق للوزير ابن كلّس وعظم قدره، إلى أن جُرّد إلى الشام في جيش وولي إمرة دمشق لخلفاء مصر. وتوفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة.

الألقاب

اليلداني: تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المنعم.

اليلداني: عبد الرحمن بن عبد المولى.

اليمان ويمن

٢٤ - «أبو بشر البندنجي»^(٢) اليمان بن أبي اليمان، أبو بشر البندنجي. أصله من الأعاجم، من الدّهاقين، ولد أكمه لا يرى الدنيا في سنة مائتين، وتوفي سنة أربع وثمانين ومائتين. نشأ بالبندنجين وحفظ هناك أدباً كثيراً وأشعاراً كثيرة؛ وكان بها أبو الحسن علي ابن المغيرة الأثرم، صاحب أبي عبيدة مَعمر بن المثنى، يروي كُتُبَه كُلُّهَا ويروي عن الأصمعي وغيره. فلزم أبو بشر ذلك النمط وحفظ من كتب علي بن المغيرة علماً كثيراً، قال: حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتاً من الشعر بغريه.

وخرج إلى بغداد وسُرَّ من رأى ولقي العلماء، وقرأ على محمد بن زياد الأعرابي وسمع منه، ولقي أبا نصر صاحب الأصمعي وهو ابن أخته، وحفظ كتاب «الأجناس الأكبر». وكانت لأبي بشر ضياعٌ كثيرة وبساتين خلفها أبوه فباعها وأنفقها في طلب العلم. ولقي يعقوب بن السكيت، ولقي الزيادي والرياشي بالبصرة وقرأ عليهما من حفظه كتباً كثيرة. ومن تصانيفه: «كتاب التقفية»، «كتاب معاني الشعر»، «كتاب العروض».

ومن شعره: [من الرجز]

أنا اليمانُ ابنُ أبي اليمان أشعرُ من أبصرت في العميان
إن تَلَقَّنِي تَلَقَّ عَظِيمَ الشَّانِ تُلاقِنِي أبلغَ من سحبان
في العِلْمِ والحِكْمَةِ والبَيَانِ

(١) انظر ترجمته في «مختصر تاريخ دمشق» (٦٣/٢٨) و«تحفة ذوي الألباب» (٧/٢).

(٢) انظر ترجمته في «نكت الهميان» (٣١٢) و«بغية الرعاة» (٤٢٠)، و«الفهرست» لابن النديم (٩٠) و«إرشاد الأريب» (٣٠٤/٧).

وَمَرَّ يَوْمًا بِبَابِ الطَّاقِ فَسَمِعَ صَوْتَ قُمْرِيَّةٍ مِنْ حَانُوتِ خَبَازٍ، فَقَالَ لِقَائِهِ: مِلْ بِي إِلَيْهِ، فَأَقَامَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا خَبَازُ أَتَبِيعُ هَذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِكَمْ؟ قَالَ: بِعَشْرَةِ دِرَاهِمٍ، فَفَتَحَ مَنَدِيلَهُ وَعَدَّ لَهُ الدِّرَاهِمَ ثُمَّ أَخَذَ الْحَمَامَةَ فَأَطْلَقَهَا وَأَنْشَأَ يَقُولُ: [مَنْ الْكَامِلُ]

نَاحَتْ مَطْوِقَةً بِبَابِ الطَّاقِ فَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِي الْمَهْرَاقِ
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحَرْقَةٍ تَسْبِي فُؤَادَ الْهَائِمِ الْمُشْتَاقِ
تَعَسَّ الْفِرَاقُ وَجُرَّ حَبْلُ وَتِينِهِ وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ سَاقِ
يَا وَيْحَهُ مَا بَالُهُ قُمْرِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَا بِبَغْدَادٍ فِي الْآفَاقِ
كَانَتْ تَفْرُخُ فِي الْأَرَاكِ وَرَبِّمَا سَكَنْتَ بِنَجْدٍ فِي فُرُوعِ السَّاقِ
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْعِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ الْأَرَاكِ تَنْوُحُ فِي الْأَسْوَاقِ
إِنِّي سَمِعْتُ حَنِينَهَا فَأَبْتَغْتُهَا وَعَلَى الْحَمَامَةِ جُذْتُ بِالْإِطْلَاقِ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا حَمَامَةً فَاسْأَلِي مِنْ فَكِّ أَسْرَكِ أَنْ يَفْكَ وَثَاقِي

ومن شعره: [مَنْ الْوَافِرُ]

فَدِيوَانُ الضَّيَاعِ بِفَتْحِ ضَاذٍ وَدِيوَانُ الْخَرَاجِ بِغَيْرِ جِيمٍ
إِذَا وَلَّى ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُوسَى فَمَا أَمْرُ الْإِمَامِ بِمُسْتَقِيمٍ

٢٥ - «أبو الخير الحبشي الخادم»^(١) يُمن بن عبد الله الخادم، أبو الخير الحبشي، خادم المُستظهر الخاص. كان جواداً مهيباً حسن التدبير، ذا رأي وفطنة، تقلبت به الأمور حتى صار سفيراً بين الخليفة والسلطان، وُبِعث أمير الحاج في سنة عشر وخمس مائة. وتوفي رحمه الله بأصبهان وقد قدمها رسولاً في سنة إحدى عشرة وخمس مائة، وكان أميناً ثقةً.

الألقاب

يمن: جمال الدين العرضي، محمد بن أحمد. ابن اليمان: الجهني الصحابي، بشير ابن عقربة.

(١) انظر ترجمته في «البدایة والنهاية» لابن كثير (١٢/١٨٢)، و«الكمال» لابن الأثير (١١/٤٢٠) و«النجوم

يموت

٢٦ - «العبدى البصري»^(١) يموت بن المَزْرَع بن يموت بن عيسى بن سيار بن حكيم بن جبلة العبدى البصري، هو أبو بكر، وكان قد سَمِيَ نفسه محمداً، وهو ابن أخت الجاحظ أبي عثمان. قَدِمَ ابْنُ المَزْرَعِ بغداد سنة إحدى وثلاث مائة وهو شيخٌ كبير، وحدث بها عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، ونصر بن علي الجهضمي، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، ومحمد بن يحيى الأزدي وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياتي وغيرهم.

وروى عنه: أبو بكر الخرائطي، وأبو الميمون بن راشد، وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي، وأبو بكر بن مجاهد المُقْرِء، وأبو بكر بن الأنباري وغيرهم.

وكان أديباً أخبارياً، وله مُلَخَّ ونوادر، وكان لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير من اسمه، وكان يقول: بليت بالاسم الذي سَمَّاني به أبي وإذا عدت مريضاً وقيل من هذا؟ قلت: ابن المزرع، وأسَقِطَ اسمي.

وفيه يقول منصور الفقيه المصري الضرير: [مجزوء الرمل]

أنت يحيى والنذى يكره أن تحيا يموت
أنت صفو العيش بل أنت لروح النفس قوت
أنت للحكمة بيت لا خَلْتُ منك البيوت
وكان ليموت ولَدَ اسمه أبو فضلة مهلهل بن يموت - وقد تقدم ذكره في حرف الميم في مكانه.

ولمَّا دخل يموت مصر اتَّصل بالطولونية؛ وناظر أحمد بن طولون يوماً يموت بن المزرع في مسألة، فقامت بينهما، ففرح يموت، فجاء ابن بنت أبي العتاهية، فقام على رأس يموت وقال: [من السريع]

يموت يا من أمه نائم ارجع فشطر نجوما قائمه
فرحت بالقائم فغل امرئ مُزِيدٍ يفرح بالقائم

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٤٧/١٤) «طبقات النحويين واللغويين» (٢١٥ - ٢١٦)، «معجم الشعراء» (٥٠٥ - ٥٠٦)، «جمهرة أنساب العرب» (٢٩٨/٢)، «تاريخ بغداد» (٣٥٨/١٤ - ٣٦٠)، «نزهة الألباء» (٢٣٨)، «المنتظم» (١٤٣/٦)، «معجم الأدباء» (٥٧/٢ - ٥٨)، «الكامل في التاريخ» (٩٦/٨) و«إنباء الرواة» (٧٤/٤) و«وفيات الأعيان» (٥٣/٧)، و«العبر» (١٢٨/٢) و«مرآة الجنان» (٢٤١/٢)، و«البداءة والنهاية» (١٥٧/١١).

فرغ يموت رأسه إليه، قال: أنت فما يدعوك أن توطئ في بيتين بسبب مسألة قامت بيننا؟

وقدم يموت مصر مراراً، وتوفي بدمشق سنة أربع وثلاث مائة، وقيل كانت وفاته بطبرية.

ومن شعره يخاطب ابنه مهلهلاً: [من الوافر]

مهلهلٌ قد حلبتُ شطوَرَ دهمري	وكافحني بها الزَّمَنُ العنوتُ
وحاربتُ الرُّجالَ بكلِّ رُبْعٍ	فأذعنَ لي الحثالةُ والرتوت
فأوجعُ ما أجنُّ عليه قلبي	كريمٌ عَقَّهُ زمنٌ عنوت
كفى حزناً بضیعة ذي قديمٍ	وأبناءُ العبيدِ لها التخوت
وقد أسهرتُ عيني بعد غُمضٍ	مخافةً أن تضیعَ إذا فنيْتُ
وفي لُطفٍ المهيمن لي عزاءُ	بمثلك إن فنيْتُ وإن بقيت
فَجُبَّ في الأرضِ وابغ بها علوماً	ولا تقطعك جائحة سبوت
وإن بَحُلَّ العليمُ عليك يوماً	فذلَّ له ودينك والسُّكوتُ
وقُلْ بالعلمِ كان أبي جواداً	فقال: ومن أبوك فقل يموتُ
تُقرُّ لك الأبعاد والأعادي	بعلمٍ ليس يجحده البهوتُ

ينجوتكين

٢٧ - «العزيزي أمير دمشق»^(١) ينجوتكين التركي العزيزي مولى العزيز. ولي إمرة دمشق سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة، وبقي على ذلك مدة إلى أن عزله الحاكم وأرسل عوضه سليمان بن جعفر بن قلاح، فتزع ينجوتكين الطاعة وسار إلى الرملة لحرب من يأتي من مصر، فتوافقوا في جمادى الأولى، وانهزم ينجوتكين ووصل إلى دمشق في يومين، وطلب النصرة من أهل البلد فلم يجيبوه ونهبوا داره، فهرب إلى أذرعات ولجأ إلى ابن الجراح الطائي فلم يمنعه وأسلمه إلى الأمير سليمان بن جعفر، فبعث به إلى مصر فعفى عنه الحاكم.

(١) انظر ترجمته في «النجوم الزاهرة» (١١٧/٤) و«أمراء دمشق» (١٠٣)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٦٦/٢٨).

ينفجار

٢٨ - «الأمير سيف الدين»^(١) ينفجار الأمير سيف الدين الناصري، يقال إنه أخو الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري. كان يسكن في حكر الخازن، وخرج إلى الشام في سنة ثلاثين وسبع مائة، فيما أظن، وولي نيابة قلعة دمشق مدة، وولي نيابة بعلبك مُديدة في أيام سيف الدين يَلْبُغا. وتوفي، رحمه الله تعالى، بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مائة.

الألقاب

ينال: السلطان إبراهيم بن ميكائيل. أبو الينبُغى: العباس بن طرخان.

يوحنا

٢٩ - «الطبيب»^(٢) يوحنا بن بختيشوع، كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية، ونقل من ذلك كتباً كثيرة. وخدم بالطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل، وكان يعتمد عليه ويسميه: مُفَرِّجُ كُرْبِي. وكان الموفق إذا جلس للشرب يقدم بين يديه صينية ذهب ومغسل مُدْهَب، وخرداذي بلور وكوز، ويجلس يوحنا بن بختيشوع عن يمينه، وبين يديه كذلك، وبين يَدَيْ غالب الأطباء والجلساء صواني مدهون، وقتاني زجاج ونارنج.

ابن ماسويه

٣٠ - «الطبيب ابن ماسويه»^(٣) يوحنا بن ماسويه، كان طبيباً ذكياً فاضلاً، خبيراً بالطب وله كلام حسن وتصانيف مشهورة، وكان مُبْجَلاً حظياً عند الخلفاء والملوك. اكتسب من الطب ألف ألف درهم. وكان نصرانياً خدم الرشيد والأمين والمأمون وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل. وكان الواصل مشغولاً به فشرب يوماً عنده، فسقاه الساقى شرباً غير صافٍ ولا لذيذ، فقال: يا أمير المؤمنين، أما المذاقات فقد عرفتُها واعتدْتُها ومذاقُ هذا الشراب فخارج عن طبع المذاقات كُلِّها، فوجد الواصل على السقاة وقال: أتسقون أطبائي في مجلس مثل هذا الشراب؟ وأمر ليوحنا في ذلك الوقت بمائة ألف درهم، ودعى بسمانة الخادم وقال: احمل إليه الساعة المال، فلما كان وقت العصر سأل سمانة هل حُيِّلَ المال إلى يوحنا، فقال: لا بعد، فقال: يحمل إليه مائتا ألف؛ ثم سأله بعد ساعة أخرى، فقال: لا

(١) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٢١٨/٥).

(٢) انظر ترجمته في «طبقات الأطباء» (٢٠٢/١).

(٣) انظر ترجمته في «أخبار الحكماء للقفطي» (٢٤٨)، و«طبقات الأطباء» (١٧٥/١)، و«فهرست ابن النديم» (٢٩٥)، و«مفتاح الكنوز» (٢٥٤)، و«تذكرة النوادر» (١٨٣).

بعد، فقال يحمل إليه ثلاث مائة ألف درهم؛ فخرج سمانة وقال: احملوها إليه وإلا لم يبق في بيت المال شيء.

وكان الرشيد قد قلّده ترجمة الكتب القديمة. وانشدت به علةٌ مَرَضَ بها حتى يش منه أهله، فاجتمع عنده الأقسام وجماعة من الرهبان يقرون حوله من الإنجيل، فقال لهم: يا أبناء الفُسق ما تصنعون؟ قالوا: ندعو لك، قال لهم: قُرْصُ وردٍ أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت وإلى يوم القيامة. وشكا إليه رجل أصابه جرب، فقال له: افصد الأكحل من اليمنى، فقال: قد فعلت، فقال: افصد الأكحل من اليسرى، فقال: قد فعلت، فقال اشرب المطبوخ، فقال: قد فعلت، فقال: اشرب ماء الجبن، فقال: قد فعلت، فقال: اشرب مخيض البقر أسبوعين، فقال: قد فعلت، فقال: اشرب الاصطخفيون، فقال: قد فعلت. فقال له: لم يبق شيء مما ذكره الأطباء إلا وقد ذكرته وقد بقي شيء لم يذكره أبقرط ولا جالينوس، فقال: ما هو؟ فقال: ابتغِ زَوْجِي قراطيس وقطّعهما رقاعاً صغاراً واكتب في كلِّ واحدة: «رحمه الله من دعا لمبتلى بالعافية»، والقر نصفها في المسجد الشرقي، والآخر في المسجد الغربي وفرّقها يوم الجمعة، فإني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء إذا لم ينفعك العلاج. وتوفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

وليوحنا من الكتب: كتاب البرهان، كتاب البصيرة، كتاب الكمال والتمام، كتاب الحميات مُشَجَّر، كتاب الأغذية، كتاب الأشربة، كتاب المُنْجَح في الصفات والعلاجات، كتاب في الفصد والحجامة، كتاب في الجذام لم يسبقه أحد إلى مثله، كتاب الجواهر، كتاب الرجحان، كتاب تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها، كتاب دفع مضار الأغذية، كتاب في غير ما شيء ممّا عجز عنه غيره، كتاب السرّ الكامن، كتاب دخول الحمام، كتاب الأزمنة، كتاب في الصداع وعلله وأدويته ألفه لعبد الله بن طاهر، كتاب لِمَ امتنع الأطباء من علاج الحبالى في بعض شهور الحمل، كتاب محنة الطيب، كتاب محنة الكحالين، كتاب مجسّ العروق، كتاب الصوت والبُحّة، كتاب علاج النساء اللواتي لم يحبّلن حتى يحبّلن، كتاب المرّة السوداء، كتاب ماء الشعير، كتاب تدبير الأصماء، كتاب السنونات، كتاب في المعدة، كتاب في القولنج، كتاب النوادر الطبية، كتاب التشريح، كتاب ترتيب سقي الأدوية، كتاب تركيب خلق الإنسان وعدد أعضائه وعروقه وعظامه ومعرفة أسباب الأوجاع ألفه للمأمون، كتاب الأبدال فصول كتبها لحنين بن إسحاق، كتاب المالنخوليا، كتاب جامع الطب، كتاب في الحيلة للبرء.

يوسف

٣١ - «الشافعي»^(١) يوسف بن آدم بن أبي عبد الله محمد بن آدم، أبو الحجاج الشافعي الدمشقي. أصله من مراغة، وقدم بغداد سنة اثنتين وأربعين وخمسة مائة، وحدث بها «بصحيح مسلم» عن أبي عبد الله محمد بن المفضل الفراوي؛ وسمعه أبو بكر عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، ومحمد بن المبارك بن محمد بن مشق.

قال ابن النجار: كان كثير الشغب ومثير الفتن بين الطوائف. وذكر أبو الحسن ابن القطيعي عنه أنه كان إذا بلغه أن قاضياً على مذهب الأشعري قد عقد عقدة نكاح فسخ نكاحه وأفتى أن الطلاق لا يقع في ذلك النكاح، فأثار بذلك فتناً فأخرجه السلطان من دمشق، فمضى إلى حرّان وسكنها. فلما ملكها العادل نور الدين محمود الشهيد سأله أن يعود إلى دمشق ليزور أمه، فأذن له وشرط عليه ألا يدخل البلد، فعاد إلى دمشق ونزل كهف آدم بجبل قاسيون وخرجت أمه إليه، فدخل إلى دمشق يوم الجمعة فخاف الوالي من تفاقم الأمر، فأمره بالعود إلى حرّان، فعاد إليها وأقام بها إلى أن مات سنة ستة وتسعين وخمسة مائة.

ابن إبراهيم

٣٢ - «أبو البرم»^(٢) يوسف بن إبراهيم، أبو البرم. خرج بخراسان على المهدي سنة ستين ومائة مُنكراً عليه سيرته، واجتمع إليه خلق كثير. فبعث إليه المهدي يزيد بن يزيد فاقتلا، فظفر به يزيد بن يزيد فأسره وحمله إلى المهدي، فلما قرب من بغداد ركب على بعير وحوّل وجهه إلى ذنبه وفعل ذلك بأصحابه. وكان أبو البرم قد قتل أخاً لهرثمة بن أعين بخراسان، فأمر المهدي هرثمة فقطع يدي أبي البرم وأيدي أصحابه وضرب أعناقهم وصلبهم.

الشاشي

٣٣ - «الشاشي»^(٣) يوسف بن إبراهيم بن سعيد، أبو يعقوب الشاشي، قدم بغداد وحدث بها عن أبي طاهر محمد بن علي بن بويه الزرّاد الحافظ البخاري، وعن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي البوشنجي، حدث عنه بمسند الدارمي سمعه منه وكتبه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الخاضبة، في شعبان سنة تسع وستين وأربع مائة وسمع منه أيضاً ابنته كريمة بنت أبي بكر بن الخاضبة، وأبو القاسم بن السمرقندي، وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي وروى عنه.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٥٩٠).

(٢) انظر ترجمته في «الكامل» لابن الأثير (٦/١٥)، و«المجد» (٤٨٧)، و«النجوم الزاهرة» (٢/٢٧).

(٣) لم أعثر على مصادر ترجمته.

النجار المقرئ

٣٤ - «التجار المقرئ»^(١) يوسف بن إبراهيم بن صابر بن نائل بن محمد الربيعي، أبو محمد التجار المقرئ البغدادي. حفظ القرآن وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وانقطع في بيته يُقرئ الصبيان ويكتب المصاحف. وتوفي سنة أربع وعشرين وست مائة بالبيمارستان العضدي وقد بلغ الستين أو جاوزها.

البابي

٣٥ - «البابي»^(٢) يوسف بن إبراهيم بن نصر، أبو القاسم البابي. قدم بغداد حاجاً سنة خمس وسبعين وأربع مائة. وحدث بكتاب «شرح الشهاب» من تصنيفه، سمعه منه أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي ورواه عنه. وقد روى عنه أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علي الشيعي «كتاب إصلاح أغاليط أصحاب الحديث» لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، فقال: أنا أبو القاسم يوسف بن إبراهيم بن نصر البابي ببغداد قدم علينا حاجاً، أنبأنا الإمام أبو المعالي عبد الرحمن بن عبد الله المغربي نزيل الباب، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، حدثنا الخطابي.

الكاتب

٣٦ - «الكاتب»^(٣) يوسف بن إبراهيم الأنباري، أبو الحسن الكاتب، كان في خدمة إبراهيم بن المهدي. حكى عنه وعن إسماعيل بن نوبخت، وأحمد بن رشيد الكاتب مولى سلام الأبرش، وجبريل بن بختيشوع، وأيوب بن الحكم البصري الكسروي، وأحمد بن هارون الشَّرابي وغيرهم، وروى عنه ابنه أبو جعفر أحمد، ورضوان بن أحمد بن جالينوس الصَّيدلاني، وسافر إلى الشام ودخل مصر وتولّى بها الأعمال، وكان من ذوي المروءات. وصنّف كتاب «أخبار المستطيين»، وتولى الأعمال أيام أحمد بن طولون.

قال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم المذكور: بعث أحمد بن طولون الساعة التي توفي فيها والدي يوسف بن إبراهيم جماعة فهاجموا الدار وطالبوا بكتبه مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً من أحد من بغداد فحملوا صندوقين وقبضوا عليّ وعلى أخي وصاروا بنا إلى داره، وأدخلنا إليه وهو جالس وبين يديه رجل من أشرف الطالبين الكبراء، فأمر بفتح أحد الصندوقين وأدخل خادم يده فوقه فيها دفتر جراياته على الأشرف وغيرهم، فأخذ

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في «طبقات الأطباء» (٧٧/١)، و«إرشاد الأريب» (١٥٧/٢)، و«الأعلام» للزركلي (٢١٢/٨).

الدفتر بيده وتصفحه فكان جيد الاستخراج، فوجد اسم الطالبِي في الجراية، فقال له وأنا أسمع: كانت عليك جراية ليوسف بن إبراهيم، فقال: دخلت هذه الديار وأنا مُمْلِقٌ فأجرى عليّ في كلِّ سنة مائتي دينار ومائتي إردب قمح إسوة بن الأرقط وابن العقيقي وغيرهما، ثم امتلأت يداي بطول الأمير فاستعفيته منها، فقال: نشدتك الله إن قطعت سبباً بي برسول الله، ﷺ، وتدَّمَع الطالبِي. فقال ابن طولون: رحم الله يوسف بن إبراهيم، ثم قال: انصرفوا إلى منازلكم لا بأس عليكم؛ فانصرفنا ولحقنا جنازة والدنا وحضر ذلك العلويُّ حقناً.

٣٧ - «الشاطبي المقرئ»^(١) يوسف بن إبراهيم بن عُقاب، أبو يعقوب الجذامي الشاطبي المقرئ الزاهد قرأ بالسبع على أصحاب ابن نوح الغافقي؛ وسمع منه أبو عبد الله الوادي أشي، وأكثر عن أبي الحسن علي بن قُطْرال. وتوفي سنة اثنتين وتسعين وست مائة.

٣٨ - «شمس الدين بن قريش كاتب الدرج»^(٢) يوسف بن إبراهيم بن قريش، . شمس الدين المصري الكاتب. استشهد على حمص وقد نيف السَّبعين، وكان من كُتَّاب الدرج بمصر؛ كتب للصالح نجم الدين ولمن بعده. وكان وافر النعمة، كثير الحُرمة. توفي سنة ثمانين وست مائة.

٣٩ - «أبو الفضائل الشيباني القفطي»^(٣) يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد القاضي الأشرف، أبو الفضائل الشيباني التميمي القفطي، والد العزيز القاضي الأكرم أبي الحسن علي بن يوسف وأخيه القاضي المؤيد أبي إسحاق إبراهيم. وقد تقدم ذكرهما في مكانيهما. وُلِدَ القاضي الأشرف في غرة سنة ثمان وأربعين بقفط^(٤)، وتوفي، رحمه الله، في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وستمائة بذى جَبلة - بكسر الجيم وسكون الباء ثانية الحروف - مدينة في بلاد اليمن.

وكان الأشرف قد خرج من قفط سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة في الفتنة التي كانت بها بسبب الإمام الذي أقاموه وكان من بني عبد القوي الداعي للدين، ادعى أنه داود بن العاضد، فأنفذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبا بكر فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرهم بظاهر قفط بعمائمهم وطيا لستهم. وخدم الأشرف في عدة خدم سلطانية منها بالصعيد ثم نظر بلييس ونواحيها ثم نظر القدس ونواحيها،

(١) انظر ترجمته في «توضيح المشتبه» (٣٠٣/٦)، و«غاية النهاية» (٣٩٢/٢).

(٢) انظر ترجمته في «ذيل مرآة الزمان» (١٣٣/٤).

(٣) انظر ترجمته في «معجم البلدان» (٥٥/٣)، و«الأعلام» للزركلي (٢١٢/٨).

(٤) قفط: وهي مدينة في مصر سميت باسم قفط بن مصر بن بصرم بن حام بن نوح عليه السلام اهـ «معجم البلدان» (٣٨٣/٤).

وناب عن الفاضل في كتابة الإنشاء بحضرة السلطان صلاح الدين، ثم إنّه استوحش من العادل ووزيره ابن شُكر فقدم حرّان فاستوزره الملك الأشرف موسى بن العادل، ثم إنّه سأله الإذن في الحج فأذن له وجهازه أحسن جهاز على أن يحجّ ويعود، فلمّا حصل بمكة امتنع من العود ودخل اليمن، فاستوزره أتابك سُنقر سنة اثنتين وستمئة، ثم ترك الخدمة وانقطع بذِي جَبَلَة ورزقه دارٌّ عليه إلى أن توفي رحمه الله في التاريخ المذكور أولاً. وكان أديباً فاضلاً مليح الخطّ محبّاً للعلم والكتب واقتنائها، ذا دين متين وكرم وعريّة.

٤٠ - «قاضي القضاة ابن جملة»^(١) يوسف بن إبراهيم بن جملة الحوراني المحبّي ثم الصالحي الشافعي الأشعري، قاضي قضاة الشام. الإمام الفاضل العالم العلامة الأصوليّ الفقيه التّحوي. ولد سنة ست وثمانين وستمئة، وتفقه مدة لأحمد بن حنبل، ثم تحوّل شافعيّاً وتميّز وناظر الأقران وأخذ عن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، وصار من الأعيان، درّس بالدَوْلَة وأعاد مدّة، وخرّج له الشيخ علم الدين البرزالي عن الفخر وجماعة. وناب لقاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي بدمشق، ولمّا توفي قاضي القضاة علم الدين الإخنائي ولي هو القضاء بالشام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة بعناية الأمير سيف الدين تَنْكُز. وكان ذا مهابة وسطوة وصولّة، وفيه شدّة ووطاء على المريب، وكانت فيه ديانة وحُسن عقيدة وعفة. فإنّه باشر القضاء بصلف وأمانة. وفي أيام نيابته لقاضي القضاة علم الدين الإخنائي قام قياماً عظيماً في توبة الشيخ تقي الدين بن تيمية في مسألة الزيارة، وعمل عملاً بالغاً إلى أن حُبس، ولمّا مات لم يصلّ عليه؛ وكان فصيحاً لَسناً شديد العارضة في البحث. ثم إنّ حمزة التركماني حرف الأمير تَنْكُز عليه وأغراه به ولم يزل إلى أن حبسه. وقال إنه رشا ناصر الدين الدوادار بالذهب على القضاء، وهذا أمرٌ أستبعده من الجانبين. وكان نائب الشام قد حكمه في الشيخ ظهير الدين لأنّه لم يصحّ عنه ما نقله، فبالغ ابن جملة في تعزيز ظهير الدين واستقصائه، والاستقصاء شُوْمٌ؛ فعقد له مجلسٌ، ودخل وهو قاضي القضاة فخرج وهو فاسق قد حُكِم بعزله وسجنه في القلعة. وكانت واقعة عجيبة لم يعهد الناس مثلاً.

أنشدني لنفسه إجازةً، القاضي زين الدين عمر الوردی، ومن خطّه نقلت: [من

المنسرح]

دمشق لا زال رِيْعُهَا أخضرا بِعَذْلِهَا اليومَ يُضْرَبُ المَثَلُ
فضامن المَكْسِرِ مطلقُ فرحٍ فيها وقاضي القضاة مُعْتَقَلُ

(١) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٤/٤٤٣)، و«الأعلام» للزركلي (٨/٢١٢)، و«النجوم الزاهرة» (٩/٣١٧)،

و«شذرات الذهب» (٦/١١٩)، و«توضيح المشتبه» (٢/٤٤٦).

وقلت أنا في ذلك: [من مخلع البسيط]

العفو يا رب من بلاء قوى الورى ما تطيق حمله
أمر جرى في الوجود فرداً يا عجباً وهو لابن جملته

وأقام في الحبس خمسة عشر شهراً إلى أن شفع فيه موسى بن مهتّا، وولي بعده قاضي
القضاة شهاب الدين بن المجدد. ولما خرج من الاعتقال أُعطي الدّولة، ثم تمرّض وخلت
المدرسة الشامية البرانية، فدرّس فيها أياماً بعد الشيخ زين الدين بن المرّحل. وكانت وفاته
بالمسرورية، رحمه الله تعالى، ودفن عند أهله بوادي العظام.

وكنْتُ قد كتبتُ تقليدَه بالقضاء لما كنْتُ بالديار المصرية وهو: الحمد لله الذي أعلى
منار الشّرع الشريف بجماله، وجلا دُجَاه بمن تحسّده البدور في الأفق ليالي التمام على
كماله، وشيّد ركنه بمن يقصرُ باعُ السّيف في جلّاده عند جداله، وحفّظ قواعده بمن إذا
أمسك قلم فتاويه تفتّات الأحكام تحت ظلاله، وأحى سنّته بمن يتّضح به سنن حرامه
وحلاله، ونشر لواء فضله بمن إذا طمى البحر المحيط فقلّ دغ ذا فإنك عاجز عن حاله؛
نحمده على نعمه التي اذخرت لأيامنا الشريفة خيراً عزّ بوجوده اجتماع المثليين، واقتطف
ثمار العلوم فما داناه أحد في الفروع ولا وصل معه إلى الأضلين، وطال بالعلم ثم بالحلم،
وزاد في تطولاته ولم يتقصر على الطولين، وأجمع الناس على استحقاقه بما وليناه فلم تكن
المسألة فيه ذات قولين؛ ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندّخرها ليوم القضاء
والفصل، ونعلم أنّها أصل الإيمان وما سواها فرع، والقياس ردُّ فرع إلى أصل، ونعتمد على
بركات فضلها في الأمر والنهي والقطع والوصل، وننال بإخلاصها على أعداء الدين عزّ
العزم ونصر النّصل، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من قضى ومضى وأعدل من مضى،
وسيف شرعه إذا استقبله شكلٌ حَكَم فيه ومضى، وأشرف من ساس النّاس بخلقه الرّضى
وحكمه المرتضى، وأعزّ من أغضى الشيطان لظهور ملّته على جَمَر الغضى، صلى الله عليه
 وآله وصحبه، خير من اتّبع شرعه في أحكامه، وخاف مقام ربّه فشكر الله له حُسْنَ مقامه،
وقصر خطاه على ما أمره ونهاه، فلم يكن له إقدام على حركة أقدامه، واستبرأ لدينه في
قضاياه فما أخطأت سهامُه مرامي مرّامه، صلاة تتألّق بأنوارها البروق اللامعة، وتتعلّق
بأستارها الخلائق في الواقعة، ما قبلت ثغور الأقلام خدود المهارق الساطعة، ورقمت إبر
الغمام بُرود الحداثق اليانعة، وسلّم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد، فإنّ منصب الشّرع الشريف لا شك في عموم نفعه ولا مرية في أنّ السوابق
جرت لنصبه والعوالي جرت لرفعه، ولا ريب في أن شَمَم كلِّ عَرْنين ينقاد صاغراً لوضعه، ما

حَكَمْنَا فِي شَيْءٍ حَتَّى نَعُوذَ لِأَمْرِهِ وَنَعُوذَ، وَلَا خَرَجْنَا فِي السِّيَاسَةِ عَنْ حُكْمِهِ لَا عَلَى سَبِيلِ السُّهُوِّ وَلَا بِحُكْمِ الشَّدُودِ، وَلَا بَرَزَ أَمْرُهُ بِحُكْمٍ إِلَّا وَقَالَ: سِفِينَا الْمَنْصُورُ دَائِمُ النُّفُودِ، وَكَانَتْ دِمَشْقُ الْمَحْرُوسَةِ كَالشَّامَةِ فِي وَجْهِ الشَّامِ وَكَالْجَوْهَرَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ وَاسِطَةً عَقْدَ الْمَلِكِ فِي الْإِنْتِظَامِ، هَذَا إِلَى مَا جَاءَ فِي فَضْلِهَا مِنَ السُّنَّةِ وَثَبَتَ لَنَا فِي الْخَارِجِ أَنَّهَا أَنْمُودَجُ الْجَنَّةِ؛ قَدْ شَغَرَ مَنْصَبُ حُكْمِهَا الشَّافِعِيَّ مِنْ قَاضٍ يَسُوسُ الرِّعَايَا، وَيَجْتَهِدُ فِي أَحْكَامِهِ حَتَّى تَدُلَّهُ الْأَلَمِيعَةُ عَلَى الْمَقَاتِلِ الْخَفَايَا، وَيَتَوَسَّمُ وَجْهَ الْخُصُومِ وَكَلَامَهُمْ فَيَكُونُ «ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا»؛ أَمْهَلْنَا آرَاءَنَا الشَّرِيفَةَ هَذِهِ الْفَتْرَةَ وَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِيمَنْ نُحْلِيهِ بِهَذَا الطُّوْقِ أَوْ نَخْصُهُ بِهَذِهِ الدَّرَةِ، وَذَكَرَ بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةَ جَمَاعَةً كُلِّ مِنْهُمْ جَلٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَلَّى، وَاسْتَوْعَبَ الشُّرُوطَ الْمَعْتَبَرَةَ فَكَانَ بِذَلِكَ الْإِسْتِيعَابُ مُجَلَّى، فَيُشَارُ مِنْ إِشَارَتِهِ كَالسَّهْمِ الَّذِي يَصِيبُ الْإِشَارَةَ، وَبَرَكَهَ رَأْيُهُ خَالِصَةٌ مِنْ حِظُوظِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ، وَعَيْنٌ مِنْ عَزَّتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الشَّرِيفَةُ مَنَالًا، وَزَانُ رَتَبَتِهَا الْجَلِيلَةُ فَازْدَادَتْ بِهِ جَمَالًا، وَحُمِيَ حُوزَتُهَا لِأَنَّهُ فَارَسُ الْكَلَامِ إِذَا التَّقَتْ عَلَيْهِ مَضَائِقُ الْخُصُومِ فَرَّجَهَا عِلْمُهُ بِمَوَاقِعِ الْإِصَابَةِ جَدَالًا، وَجَالَدُ فَوَارِسِ الْبَحْثِ وَجَدْلِهِمْ فَخَذْلِهِمْ، وَنَسَفَ مَغَالِطَ التَّسْفِيِّ وَلَوْ كَانَتْ جَبَالًا؛ وَنَقَّى وَنَقَّحَ كَلَامَ مَنْ مَضَى، فَكَمْ قَيْدٌ مُطْلَقًا يَمْرَحُ وَأَطْلَقَ مَقِيدًا يَرْشُفُ، وَجَلَسَ فِي حَلْقَةِ دُرُوسِهِ فَكَأَنَّمَا تَطَّلَعَ مِنْ مَحْرَابِ دَاوُدَ يَوْسُفُ؛ يُغْرِقُ الْمُزْنِيَّ فِي وَابِلِ فَضْلِهِ الصَّبِّبِ، وَيَفُوقُ عَرَفَانَهُ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ، وَيَتَلَوْنَ ابْنُ الصَّبَاغِ فِي شَامِلِهِ مِنْ عَجْزِهِ، وَيَعْتَرِفُ الْغَزَالِيُّ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَسِجِ طَرِزِهِ؛ قَدْ صَاغَ ذَهَبَ أَصُولِهِ وَابْنُ الْحَدَادِ فِي الْفُرُوعِ، وَالتَّدْبِيرُ كَرَاهٍ وَصَاحِبُ «التَّنْبِيهِ» لَا يَطْعَمُ لَذَّةَ الْهَجْوِ، وَنَفَقَ مِنْ «مَحْصُولِهِ»، وَابْنُ الْحَاجِبِ فِي «صِبْغَةِ مَنْتَهَى الْجَمْعِ».

وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِي الْجَمَالِي وَبَقِيَّةُ أَلْقَابِهِ وَنَعْوَتِهِ، هُوَ مُظْهِرُ هَذِهِ الضَّمَائِرِ وَالْمَقْصُودِ بِهَذِهِ الْأَدَلَّةِ وَالْأَمَائِرِ، لَا تَلِيْقُ هَذِهِ الصِّفَاتُ إِلَّا بِذَاتِهِ، وَلَا تَحْسُنُ هَذِهِ النُّعُوتُ إِلَّا بِأَدَوَاتِهِ، فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِي الْمَلِكِي النَّاصِرِي، لَا زَالَتْ الرِّعَايَا بَعْدَ لَهُ فِي أَمَانٍ، وَمَوَاقِعُ اخْتِيَارِهِ تَرْتَادُ لَهُمُ الْكَافِي الْكَافِلُ مِنْ رَبِّ السَّيْفِ وَالطَّلِيسَانِ، أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قِضَاءَ الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ، وَلَايَةً أَحْكَمَ عَقْدُهَا، وَانْتَنَظَمَ عَقْدُهَا، وَتَبَلَّجَ عُرْفُهَا، وَتَأَرَّجَ عَرَفُهَا؛ فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَسِيرْ سِيرَةَ عُمْرِيَّةٍ تُثَلِّي مُحَاسِنَهَا وَتُشْكِرُ، وَلْيَأْخُذْ بِحَقِّ الْمَظْلُومِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُجَرِّ لِسَانَ قَلَمِهِ بِمَا قَامَتْ بِهِ الْبَيِّنَةُ فَعَلِمَهُ، وَلِيَتَّبِعِ الْحَقَّ إِنْ كَانَ مَعَ الْمَشْرُوفِ أَوْ الشَّرِيفِ، وَيَطْلُبْ رِضَا اللَّهِ فِي خِذْلَانِ الْقَوِي وَنَصْرَةِ الضَّعِيفِ، وَلِيَسُوِّ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فِي مَوْقِفِهِمَا عِنْدَهُ، وَيَسْمَعَ الدَّعْوَى إِذَا تَمَّتَ وَالْجَوَابُ إِذَا أَكْمَلَ قَصْدَهُ، وَلِيُلِزَّ جَانِبًا لِمَنْ حَضَرَهُ، وَيَتِمَسَّكَ بِآدَابِ الشَّرْعِ الَّذِي حُضِّهَ عَلَيْهَا وَأَمْرَهُ، وَلِيَحْتَرِزَ فِي أَمْرِ الشُّهُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَيَنْقِبَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ

على الشهادة وهو حي، ويتبعهم بالمعيتة في كل أمر، ويسمع شهادتهم بذكاء إياس وفطنة عمرو، والأيتام فليول عليهم من يراقب الله في أموالهم، ويخشى الله في معاملاتهم فكفى ما بهم من سوء حالهم، ولا يركن في أمرهم إلا لمن اختبره المرة بعد المرة، وعلم أن عفته لا تسامحه في التماس الذرة؛ والأوقاف فليجر أمرها على النظام البارع ولا يتعد بها شروط الواقفين فإن نص الواقف مثل نص الشارع، والأيامي فليزوجهن من أكفأهن شرعاً، ويمنع من يلبسهن من العضل درعاً، والأنكحة الأهلية يستوضح عقودها، والخلية يعتبر شهودها، ومال المحجور عليه يودعه حرزاً يحفظ فيه، ومال الغائب كذلك والمجنون والسفيه، ووقائع بيت المال فلتكن مضبوطة النظام محفوظة الزمام مقطوعة الجدال والخصام، ونوابه في البلاد والجهات والنواحي المتطرفات، هو المطلوب عند الله بجنايتهم، والمحاسب على ما اجتروه في ولايتهم، فلا يول من يراه فقيهاً، ﴿إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ [البقرة: ٢٠٥/٢]، ولا من اتصف بالجهل ورأى زينتها الدنيا في المال والأهل، بل يتحرى في أمورهم ويتبع معاملتهم في غيبتهم وحضورهم، فأنت أدري بما إليه الأمر يؤول، وكلكم راع وكلكم راع مسؤول؛ والوصايا كثيرة ومنك تُعرف وإليك ترجع وتُصرف «فما تُعلم عوانك الخمرة»، ولا تعرف صناعتك كيف تضع الشذرة، فما نحتاج إلى أن نشردها بل نجتمعها ولا نفردها، وهو تقوى الله عز وجل التي من تمسك بها فاز قدحه وأمن سرحه وتعين ربحه وتبين نجحه. والله تعالى يتولاك ويعينك على ما ولاك ويزيدك مما أولاك. والخط الشريف، أعلاه الله تعالى، أعلاه حجة في ثبوت العمل بمقتضاه، والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

ابن أحمد

٤١ - «الحافظ أبو يعقوب»^(١) يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله، أبو يعقوب الحافظ؛ الشيرازي الأصل البغدادي. سمع الحديث في صباه، ثم طلبه بنفسه وبالع وجد فيه واجتهد، وسافر البلاد ما بين الحجاز والشام وفلسطين وديار مصر والجزيرة وبلاد آذربيجان والروم والعراقين ونواحي الأهواز وديار الجبل وإصْبَهان وخراسان وبلاد الغور

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٣٩/٢١) ترجم له المنذري في «التكملة، الترجمة» (٨٤)، وابن الديلمي كما دل عليه «المختصر المحتاج إليه» (٢٣١/٣)، وابن النجار كما دل عليه «تلخيص» ابن الغوطي (٤) «الترجمة» (٦٥٣) في «الملقبين بعرض الدين» ترجم له ابن الغوطي مرة أخرى في الملحقين بمجيد الدين من تلخيصه (٥) «الترجمة» (٦٤٨)، ونقل هنا من تاريخ ابن الديلمي. وترجم له أيضاً الذهبي في «تاريخ الإسلام» الورقة (٢٥) باريس (١٥٨٢)، و«الذكرة» (١٣٥٦/٤)، و«الإعلام»، الورقة (٢١١)، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (١١١/٦)، وابن العماد في «شذرات الذهب» (٢٨٤/٤).

وسجستان وبلاد ما وراء النهر؛ وسمع هناك الكثير، وقرأ بنفسه وكتب بخطه، وحصل الأصول والكتب الكثيرة. قال ابن النجار: وكان حسن المعرفة، سريع القلم، وافر الهمّة، شديد الحرص، جيد الطلب. ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة. ولم يكن في زمانه ولا من أقرانه أكثر طلباً منه، ولا أطول سفراً ولا أكثر تحصيلاً. جمع وخرج، وحديث باليسير لأنه توفي في سنّ الكهولة. وكان فاضلاً ثقة، صدوقاً، حسن المعرفة بالحديث. نفذ رسولاً من الديوان إلى بلاد الروم وغيرها، وتولّى مشيخة رباط أم الخليفة بدر زاهي، ثم أعطي دار ابن التلميذ بسوق العطر، وكانت من الدور المذكورات. وصارت له نعمة وثروة وارتفاع قدر، فأثابه حينئذ في أحسن أحواله.

٤٢ - «الحنبلي الغوري»^(١) يوسف بن أحمد بن صالح الغوري، أبو القاسم المقرئ البغدادي. قرأ القرآن على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن الحَمّامي. وسمع منه ومن أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحَقّار، وأقرأ القرآن وحديث باليسير. وتوفي سنة سبع وستين وأربع مائة. وكان حنبلياً؛ وحملوه لما مات في تابوت لثلاً يُمزق ما عليه من كثرة اللامسين له، ودفن بجانب قبر الإمام أحمد وكانت جنازته عظيمة.

٤٣ - «ابن الخَرْزِي»^(٢) يوسف بن أحمد بن الخرزى، أبو طاهر البغدادي، ولي النظر بالمخزن والصدّرية أيام المستظهر بالله مدّة حياته، وولي ولده المسترشد فأقرّه على ولايته مُدَيّنة ثم عزله، قال أبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن: كنّا نخدم مع المسترشد وهو ولي عهد، وكان ابن الخرزى يُقَصِّر في حقّه ويقف في حوائجه، فكتبْتُ إليه ألومه وأقول: لا تفعل! فيقول: أنا أخدم شاباً في أوّل عُمره - يشير إلى المستظهر - وما أبالي. وكان المسترشد حنقاً عليه ويقول: لئن وليت لأفعلنّ به ولأفعلن. فلما ولي، خلا بي ابن الخرزى وأمسك ذيلي وقال: الصنّعة؟ فقلت له: الآن، وقد فعلت في حقّه ما فعلت؟ فقال: انظر ما تفعل؛ فقلت: هذا رجل قد ولي ولا مالَ عنده فاشتر نفسك منه بمال؛ فقال: كم؟ قلت: تقدير عشرين ألفاً؛ فقال: والله ما رأيْتُها قطُّ؛ قلت: لا تفعل، فلم يقبل. فجعل عليه المسترشد، ثم بعد أيام خلع عليه. وكتبْتُ إلى المسترشد أقول: أليس هذا الذي فعل كذا وكذا؟ فكتب إليّ ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧/٢١]، ثم عاد وجعل عليه، ثم تقدّم بالقبض عليه، فأخذنا من داره ما يزيد على مائة ألف دينار، وأواني الذهب والفضّة، ثم أخذنا له مملوكاً كان يعرف باطنه فضرّبناه، فأومأ إلى بيت في داره، فاستخرجنا منه

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٦١ - ٤٧٠هـ)، و«طبقات الحنابلة» (٢/٢٥٣).

(٢) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١٨٣)، و«عيون التواريخ» (١٢/١٢٨).

دفائن أربع مائة ألف دينار، ثم تقدّم إلينا بقتله. وتوفي سنة خمس عشرة وخمس مائة قتيلاً في محبسه.

٤٤ - «ابن الدّخيل»^(١) يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل، أبو يعقوب الصّيدلاني. راوي «كتاب الضعفاء» لأبي جعفر العقيلي. توفي سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة.

٤٥ - «ابن كجّ الشافعي»^(٢) يوسف بن أحمد بن يوسف بن كجّ - بالكاف المفتوحة والجيم المشددة - القاضي أبو القاسم الدّينوري الشافعي. كان أحد الأئمة الشافعية. صحب أبا الحسن القّطان، وحضر مجلس أبي القاسم عبد العزيز الدّاركي، وجمع بين رئاسة العلم والدنيا، وارتحل إليه الناس من الآفاق للاشتغال عليه بالدينور رغبةً في علمه وجودة نظره. وله وجه في المذهب، وصنّف كتباً كثيرة انتفع بها الفقهاء. قال أبو سعد بن السمعاني: لما انصرف أبو علي الحسين بن شُعَيْب السّنجي من عند الشيخ أبي حمد الإسفراييني، اجتاز به فرأى علمه وفضله فقال: «يا أستاذ الاسم لأبي حامد والعلم لك». فقال: «ذلك رفعته بغداد، وحطّنتي الدينور».

وتولّى القضاء ببلده، وكانت له نعمة كثيرة. وقتله العيّارون بالدينور في شهر رمضان سنة خمس وأربع مائة، رحمه الله تعالى.

٤٦ - «الطبيب»^(٣) يوسف بن أحمد بن حسداي بن يوسف الإسرائيلي المسلم الأندلسي، أبو جعفر الطبيب. من أعيان الفضلاء في الطب وله مصنفات. قدم مصر وكان خصيصاً بالمأمون الوزير وشرح له بعض كتب أبقراط؛ وله «كتاب الإجمال» في المنطق. وهو من بيت طبّ وفلسفة، وأجداده من فضلاء اليهود. توفي في حدود الثلاثين وخمس مائة. وكانت فيه دعاية وله نوادر. قيل إنه اصطحب هو ورجل صوفي لما قدم من المغرب وكان الأُنس بينهما قد تمكن، فلما وصلا إلى القاهرة قال له الصوفي: أين تنزل في القاهرة حتى أجيء إليك وأراك؟ فقال أبو جعفر: ما كان في خاطري أن أنزل إلّا في حانة الخمار وأشرب فإن كنت توافق رأيي وتأتي إلى عندي فأريك، فصعب رأيه على الصوفي وأنكر هذا القول ومشى إلى الخانقاه. ولما كان بعد أيام وأبو جعفر في السوق وإذا بجمع من الناس

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٣٨١ - ٤٠٠هـ).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (١٧٧/٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨٣/١٧)، و«البداية والنهاية» (١١/٣٥٥)، و«مرآة الجنان» (١٢/٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (١٦٣/٤).

(٣) انظر ترجمته في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٤٩٩).

وفي وسطهم صوفي يعزّر وقد اشتهر أمره بأنّه وُجد سكران، فلما نظره ابن حسداي عرفه فقال له: بالله قتلك الناموس.

٤٧ - «أبو الحكم الملياني»^(١) يوسف بن أحمد بن عباد، أبو الحكم التميمي الملياني. جال في الأقاليم ولقي السهروردي الفيلسوف بملطية وأخذ عنه، وسكن دانية. ونوظر عليه بها وكان شاعراً مُجَوِّداً، غالباً في التّشيع، قال الشيخ شمس الدين: له عقيدةٌ خبيثة، وفيها اتحاد ظاهر. توفي سنة إحدى وعشرين وست مائة.

٤٨ - «الحافظ اليعموري»^(٢) يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد، الحافظ جمال الدين اليعموري، أبو المحاسن الأسدي الدمشقي. ولد في حدود الست مائة وتوفي رحمه الله ثلاث وسبعين وست مائة. وسمع الكثير بدمشق والموصل والإسكندرية. وعني بالحديث، وتعب وحصل وكتب الكثير من الحديث والأدب، وخطّه معروف مشهور بين الفضلاء. وكان له فهم ومعرفة وإتقان ومشاركة في الآداب والتواريخ، وله مجاميع حسنة. وتوفي عند شهاب الدين بن يغمور، وكان والده يصحبه فعُرفَ به. كتب شهاب الدين بن الخيمي إلى الحافظ اليعموري، وكانا أرمدين: [من الوافر]

أُبْتُكَ يا خليلي أنّ عَيْنِي عَدْتُ رمداءَ تجري مثلَ عَيْنِ
حديثاً أنْتَ تعرفُهُ يقيناً لَأَتُكَ قد رَمَدَتْ وأَنْتَ عَيْنِي

فأجاب الحافظ: [من الوافر]

كفاكَ اللّهُ ما تشكو وحيني محاسن مقلتيك بكلّ زين
فإنّي من شفائك ذو يقين لَأَتُكَ قد شُفِيتَ وأَنْتَ عَيْنِي
ومن شعر الحافظ قوله: [من الرمل]

رجع الودُّ على رغم الأعادي وأتى الوصلُ على وفق المرادِ
ما على الأيام ذمّ بعدما كَفَّرَ القُربُ إساءاتِ البعادِ
ومنه أيضاً: [من الرمل]

أنا مرآةٌ فإنْ أبصرْتُم حَسَناً أنْتُمْ بها ذاك الحسنُ

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦٢١ - ٦٣٠).

(٢) انظر ترجمته في «مجمع اللغة العربية» (٨٠٧/٤٦)، و«النجوم الزاهرة» (٢٤٧/٧)، و«عقود الجمان» (٣/٣٥٠)، و«الأعلام» للزركلي (٢١٤/٨).

أَوْتَرَوْا مَا لَيْسَ يَرْضِيكُمْ فَقَدْ صَدَّيْتُ إِذْ لَمْ تَرَوْهَا مِنْ زَمَنْ

٤٩ - «ابن قنويه»^(١) يوسف بن أحمد بن قنويه - بالقاف والنون المشددة والواو والياء

آخر الحروف وبعدها هاء - هو مَمَّنْ رثي أبا الطيب المتنبى وحرَّضَ عضد الدولة على فاتك ابن جهم وبني أسد، فقال: [من الكامل]

من للطراد وللظعان مباشراً
ما زلت تُعنى بالأسنة والقنا
ما زلت ترتبط الجياد وتتقي
حتى أتى الأمر المطاع فلم تُطِقْ
وجعلت تنظر هل لنفسك مُسْعِدٌ
فإذا العبيدُ عبيدُ سوءٍ كلُّهم
بالنفس قُدماً فوق كلِّ جواد
وتُقلُّ لُبثُ السَّيفِ في الأغمار
صرف الزمان بحكمةٍ وسداد
رداً له بالأهل والأولاد
عند الممات وهل لها من فاد
إلا غلاماً مُخلصاً بوداد

قلت يعني مُفْلِحاً عَبْدَ أَبِي الطيب الذي قتل معه.

لم يأل جهداً في الجلاذ بسيفه
طلباً لنفسك في الحياة بنفسه
فشوى خضيباً بالدماء وسيفه
والضرب للهامات والأغضاد
والجود عند الموت بالإسعاد
مُلْقَى بغير حمائل ونجاد

وقال يرثيه أيضاً: [من الكامل]

فلئن حييتُ ولم أُمُتْ من بعده
لم لا وقد قصد الزمان بصرفه
فلإليه متي بالسلام تحية
لهفي عليك أبا المحسد والقنا
لهفي عليك وقد سقطت مكسراً
فلقد ألفتُ الحزن حتى أحشرا
جَبَلَ العلوم وكهفها والمُخبرا
يغدو إليه نسيئُها متعظرا
تأبى طعانك خيفةً أن تُقصرا
من بعد ردك للوشيج مكسراً

قلت: شعر نازل.

٥٠ - «القناوي علم الدين الخطيب الشافعي»^(٢) يوسف بن أحمد بن إبراهيم، علم

الدين الخطيب القناوي الشافعي الأديب. كان من الرؤساء الأعيان الكرماء الأجواد

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «الطالع السعيد» (٧١٥) و«أعيان العصر» (٣/٣٣٨)، و«الدرر الكامنة» (٥/٢٢١).

الأذكياء. قرأ الفقه على جلال الدين أحمد الدشناوي. وكانت معرفة جيدة بحلّ الألغاز، ونظم فيها أشياء كثيرة، وتوفي في رجب سنة ثمان وعشرين وسبع مائة.

وله لغز في لابس، الثاني منه: [من السريع]

يبين إن ضحّف مع قول لا ولا إذا ضحّفته لا يبين

وله لغز في معنى: [من مجزوء الرجز]

ما اسم إذا عكسته يُظربُ إن سمعته
ينعم بالوصل متى ضحفت ما عكسته

وله لغز في زغل: [من الوافر]

وما لغز إذا فتشت شعري تراه مسطّراً فيه مُسمّى
وإن تعكسه كان من التحري إذا حقّفته في البئر يُرمى
وفاعله إذا نمّوا عليه فتخشى أن تزال يده حثما

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: تولى الخطابة ببلده، وناب في الحكم في مواضع شتى، منها: دشنا وفاو من بلاد قوص، والمنشأة وطوخ من بلاد إخميم؛ وكان يكرم الوارد.

٥١ - «ابن قنطنة المصري الشاعر»^(١) يوسف بن أحمد بن قنطنة المصري الشاعر. مدح

الصّاحب تاج الدين بن فخر الدين بن جنالة بديوان شعر. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ثمانين وست مائة.

ومن شعره أيضاً: [من الطويل]

بمدحك في الدنيا تنال المطالب
لقد علمت منك الهبات وهكذا
أرى الجود مما تستحب ولم تزل
فأنت الذي آوى الغريب لبابه
وُترجى لأصحاب الخمول [...]
تكون بقدر الواهبين المواهب
ترى أنه فرض عليك وواجب
فما ساقه أوطانه والحبائب
ولا عاد عنه أمل وهو خائب

قلت شعر متوسط.

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

٥٢ - «المسند ابن غالية» يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن علي بن إسماعيل بن عمر بن عبد المجيد^(١)، المسند المعمر بقية الرواة، أبو علي الغسولي المعروف بابن غالية، ولد سنة اثنتي عشرة وست مائة بقاسيون؛ وتوفي رحمه الله تعالى، سنة سبع مائة.

وسمع من موسى بن عبد القادر، والشيخ الموفق. وتفرد في وقته وسمع منه خلق، وسمع منه الشيخ شمس الدين، وكان شيخاً ساكناً فقيراً مُتَعَفِّفاً؛ بدت منه هنات في وسط عمره، ثم إنّه كبر وصلح أمره، وكان حَجَّاراً ثم عجز ولزم بيته. وسمع منه البرزالي والمزي، والمقاتلي، وابن النابلسي، والمحَبّ، والصدر أبو بكر ابن خطيب حماء، والشهاب ابن عُذَيْسَة، والشيخ نجم الدين القحفازي، وخلق. وَجُبِيَ له الكَفَن لَمَّا توفي رحمه الله تعالى.

٥٣ - «صدر الدين الجذامي»^(٢) [يوسف] بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عبد الغني، صدر الدين الجذامي الإسكندري، الفقهري المالكي، الأديب الشاعر يُعْرَفُ بابن غثوم بغين معجمة ونون مشددة وواو بعدها ميم موقع الثغر - كان فاضلاً ذكياً. كتب للقضاة زمناً طويلاً ثم انقطع في منزله. وخمسن قصائد للضرصري. ولد بالإسكندرية سنة ست وسبعين وست مائة؛ وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مائة. قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: أنشدني له وقد سأله أن يُنشدني شيئاً من شعره [من البسيط]:

يا من يسائل عن شعري ليرويه مهلاً فليس شعاري نظم أشعاري
مذ حل زائر هذا الشيب صيّرني بعد الصبا وإزاري ذكر أوزاري
قال وأنشدني له أيضاً: [من السريع]

وبي غريب الدار مستأنس أسال دمعي منه خد أسيل
فإن أُمْتُ شوقاً إلى وصله ففي سبيل الله وابن السبيل
وأنشدني له أيضاً: [من الكامل]

قُمْ نَفْتَرِغْ بَكَرَ المُدَامَةِ بِكَرَةً في روضة حَسَنَتْ وراقت مَنظراً
فالأراخ سيف قاطع لهمومنا أو ما تراه بالحباب مُجَوَّهراً

قال: وأنشدني له: [من الوافر]

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٤/٤٥٨)، و«معجم شيوخ الذهبي» (٦٥٢).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٥/٢٢٣)، و«أعيان العصر» (٣/٣٣٩).

جلا مسواك ثغرك خير دُرُّ فجلّ بذاك واكتسب المزايا
وأنشد صحبه تيهاً وفخراً «أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا»
قلت: شعر جيّد.

٥٤ - «ابن أسباط الزاهد»^(١) يوسف بن أسباط الزاهد الصالح، أحد مشايخ القوم، له مواظ وحكم؛ وتوفي في حدود المائتين، رحمه الله تعالى.

ابن إسحاق

٥٥ - «ابن أبي إسحاق السبيعي»^(٢) يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي. قال أبو حاتم: صدوق، لا يحتج به؛ وقال النسائي: ليس به بأس؛ وقال أحمد: حديثه مضطرب. وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة. وروى له مسلم والأربعة.

٥٦ - «صلاح الدين الدوادار» يوسف بن أسعد، الأمير صلاح الدين الدوادار^(٣). كان في مبدأ أمره نصف عامل في بيروت على ما قيل، ثم بطل الكتابة وتوصل بالجندية إلى أن صار دوادار الأمير سيف الدين فُجّج؛ ثم آل أمره إلى أن أخذ الإمرة بحلب وولي بها الحجوبية في أيام الأمير علاي الدين أُلُتُنْبغا؛ ثم ولي بها شدّ الدواوين؛ ثم طُلب إلى مصر مرّات؛ ثم ولي نيابة ثغر الإسكندرية؛ ثم ولاية منفلووط بالصعيد؛ ثم إنّه جعل مشدّ الدواوين بالقاهرة في أيام وزارة الأمير علاي الدين أُلُتُنْبغا مُغلُطاي الجمالي؛ ثم عُزِلَ وبقي بمصر أميراً؛ ثم جهّزه السلطان رسولاً إلى السلطان أبو سعيد فعاد وقد أشاع الناس أنّه يكون وزيراً، فلما وصل إلى مصر سُعي عليه وأبطل ذلك، فسعى له الأمير سيف الدين بَكْتُمُر السّاقِي لَمّا مات الأمير شهاب الدين أمير مهمندار، فرسم له السلطان الملك الناصر بالمهمندارية، فأقام بها قليلاً فلما توفي الأمير سيف الدين الجاي الدوادار جعله السلطان دواداراً. وكان القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود قد رسم له بعدة بيوعات بكتابة السرّ

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦٩/٩)، «التاريخ» لابن معين (٦٨٤) «التاريخ الكبير» (٣٨٥/٨)، «التاريخ الصغير» (٢٦٥/٢)، «الضعفاء» للعقيلي لوحة (٤٧٢)، «الجرح والتعديل» (٢١٨/٩)، «مشاهير علماء الأمصار» (ت ١٤٩٠)، «حلية الأولياء» (٢٣٧/٨)، «ميزان الاعتدال» (٤٦٢/٤).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٧/٧)، «الطبقات» لابن سعد (٣٧٤/٦)، «التاريخ الكبير» (٨/٣٨٣)، «الجرح والتعديل» (٢١٧/٩ - ٢١٨)، «تهذيب الكمال» (ح ١٥٥٧)، «تهذيب التهذيب» (ح ٤/١٨٩)، «تاريخ الإسلام» (٣١٧/٦)، «عبر الذهب» (٢٢٨/١)، «تهذيب التهذيب» (٤٠٨/١١)، و«شذرات الذهب» (٢٤٢/١).

(٣) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢٢٦/٥).

في مصر، فقاسى شرف الدين منه شدائد وأنكاداً كثيرة، وتوجّها إلى الحجاز في ركاب السلطان وهما في ذلك النكد والشرّ، فلما حضرا من الحجاز أقام القاضي شرف الدين قليلاً وهو يعمل عليه إلى أن عُزِلَ وأُخْرِجَ إلى دمشق. وبقي الأمير صلاح الدين المذكور في الدوايرية وقد استطال على الناس أجمعين، خصوصاً الكتاب فحسّنوا للسلطان أن يخرج كاشفاً الثغور الحلبية، فتعلل وانقطع في بيته مدة شهرين، ولما قام ودخل إلى السلطان عزله في ثاني شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة ورسم أن يتوجّه إلى صفد أميراً، فتوجّه إليها وأقام بها قليلاً ونُقِلَ إلى طرابلس ثم نُقل إلى حلب وجُعِلَ والي البرّ، فيما أظن. ثم إنّه حجّ بعدما نُقِلَ إلى طرابلس، وورد الخبر إلى دمشق بوفاته بطرابلس في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مائة. وكان يكتب خطاً حسناً. وله مشاركة في تواريخ وتراجم الناس. وكان فيه شُحٌّ مُفْرَط، إلا أنّه وقف داره بحلب مدرسة على فقهاء الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة؛ ووقف كتاب أيتام بالمدينة النبوية؛ وكان يدّعي النظم. وأنشِدتُ له: [من البسيط] ما اللَّغْبُ بالنار في الميلاد من سَفَهٍ لَكُنْما هو للإسلام مَقْصودُ يراد كُتِبُ النصرارى أن رَبَّهُمْ عيسى ابنَ مريمَ مخلوقٌ ومولودُ أنشدنيها صلاح الدين خليل بن رمتاس بصفد وقال: أنشدنيها، وقال إنهما له. واقتنى كتباً كثيرة.

ابن إسماعيل

٥٧ - «ابن اللّمغاني الحنفي»^(١) يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن الحسن، أبو يعقوب اللّمغاني الفقيه الحنفي البغدادي، من أهل باب الطّاق، من بيت مشهور بالفقه والعدالة. تقدم ذكر أبيه في مكانه. وتفقه على أبيه وعمّه محمد حتى برع في المذهب والخلاف. وقرى كثيراً من مذهب الاعتزال وناظر المتكلمين في إثبات خلق القرآن. وقرأ عليه جماعة من الفضلاء وتخرجوا به. وولي التدريس بجامعة السلطان بعد وفاة الأمير السيّد أبي الحسن علي العلوي، وناب في التدريس بمشهد الإمام أبي حنيفة؛ وانتهت إليه رئاسة أصحاب الرأي. وكان غزيرَ الفضل، حسن المناظرة، ذا أخلاق لطيفة وكيس وتواضع. سمع شيئاً من الحديث في صباه من أبي عبد الله الحسين بن الحسن المقدسي إمام مشهد أبي حنيفة، وأبي المعالي المبارك بن المبارك البزّار، وغيرهما. قال ابن النجار: كتبنا

(١) انظر ترجمته في «الجواهر المضية» (٣/٦٢٠)، و«التكملة لوفيات النقلة» (٣/٢٨٨)، و«البداية والنهاية»

عنه وكان صدوقاً. ولد سنة ثمان عشرة وخمس مائة، ومات سنة ست وست مائة.

٥٨ - «ابن نحرير الأسواني»^(١) يوسف بن إسماعيل بن سعد الملك بن نحرير الأسواني. قارئ المصحف قراءة حسنة صحيحة وله صوتٌ شَجَر. وتوفي بأسوان سنة أربع عشرة وسبع مائة. قال محمد بن العريف الأسواني: كُتِبَ مجتمعين فأورد البيت الثاني من الأبيات فقال يصلح أن يكمل عليه ويجعل له أولاً، وأنشدنا ارتجالاً: [من الطويل]

شكوتُ إليه ما ألقى من الهوى فما حَنَّ لي يوماً ولا رَقَّ للشكوى
فلو أنني قاضي المحبين في الهوى حكمتُ لمن يهوى على كل
فيا مُهجتي ذوبي أَسَى وصبايةً ويا عاذلي دعني فإني لا أقوى

٥٩ - «تاج الدين بن العجمي»^(٢) يوسف بن إسماعيل بن عبد الكريم بن عثمان، الشيخ الجليل المُسند تاج الدين أبو المحاسن بن العجمي الحلبي. سمع من الضياء صقر الحلبي وغيره. وتوفي رحمه الله بكرة الخميس ثامن عشرين شوال سنة تسع وعشرين وسبع مائة. أجاز لي بحلب سنة ثمان وعشرين وسبع مائة؛ وكتب عنه الشيخ تقي الدين محمد بن رافع السلامي.

٦٠ - «أبو يعقوب الهمداني الصالح»^(٣) يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة، أبو يعقوب الهمداني، الفقيه العالم الزاهد الرباني صاحبُ المقامات والكرامات. قدم بغداد في صباه بعد الستين وأربع مائة ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي وتفق عليه، وبرع في الأصول والمذهب والخلاف. وسمع من القاضي أبي الحسين محمد بن علي بن المهدي بالله، وأبي الغنائم عبد الصمد بن علي بن المأمون، وأبي جعفر محمد بن أحمد بن المُسلمة، وأبي محمد عبد الله بن الصَّريفيني، وأبي الحسين أحمد بن محمد بن النُّقور وغيرهم. وسمع بإصبهان وسمرقند وكتب أكثر ما سمعه، ثم إنه زهد في ذلك ورفضه واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة إلى أن صار علماً من الأعلام الذين يَهْتَدِي بهم

(١) انظر ترجمته في «الطالع السعيد» (٧١٩).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢٢٦/٥)، و«مرآة الجنان» (٢٦٥/٣).

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٦٦/٢٠)، «الأنساب» (٣٣٠/٢)، (البوزنجردي)، «المنتظم» (١٧١/٩) و١٠/٩٤، ٩٥، ٩٥، «اللباب» (١٨٦/١)، «الكامل» (٨٠/١١)، «مرآة الزمان» (١٠٩/٨)، «وفيات الأعيان» (٧٨/٧ - ٨١) «العبر» (٩٧/٤)، «دول الإسلام» (٥٥/٥٢) «مرآة الجنان» (٢٦٤/٣ - ٢٦٥)، «طبقات الإسنوي» (٥٣١/٢)، «البداية والنهاية» (٢١٨/١٢)، «ملخص تاريخ الإسلام» (ق: ٢١)، «النجوم الزاهرة» (٢٦٨/٥)، «طبقات الشعراني» (١٥٩/١) «شذرات الذهب» (١١٠/٤)، «هدية العارفين» (٢/٥٥٢)، «جامع كرامات الأولياء» (٢٨٩/٢ - ٢٩١).

الخلق. وعقد مجلس الوعظ بالنظامية وصادف بها قبولاً عظيماً. قال ابن السمعاني: سمعت أبا الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح ببغداد يقول: حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمداني في النظامية وكان قد اجتمع العالم، فقام فقيه يُعرف بابن السَّقاء وآذاه وسأله عن مسألة، فقال له الإمام يوسف: اجلس فإنِّي أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الإسلام؛ قال أبو الفضل: فاتفق أن بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة فمضى إليه ابن السَّقاء وسأله أن يستصحبه، وقال له: يقع لي أن أترك دين الإسلام وأدخل في دينك، فقبله النصراني وخرج معه إلى القسطنطينية والتحق بملك الروم ومات على النصرانية. قال ابن النجار. سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرئ يقول: كان ابن السَّقاء قارئاً للقرآن مجوداً في تلاوته؛ حدثني بعض من رآه بالقسطنطينية مُلقًى على دكة مريضاً وبيده خلق مروحة يدفع بها الدُّباب عن وجهه، قال فسألته: هل القرآن باقٍ على حفظك؟ فقال: ما أذكر إلا آية واحدة ﴿رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ١٥/٢] والباقي أنسيته، نعود بالله من سوء قضائه وزوال نعمة الإسلام. ولما مات الشيخ، رحمه الله، سنة خمس وثلاثين وخمس مائة دفن بمرو، وكان قد مات ببعض قرى هراة؛ ومولده تقريباً سنة إحدى وأربعين وأربع مائة.

٦١ - «الناصر صلاح الدين الكبير»^(١) يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، السلطان العادل المؤيد المجاهد المرباط المठाغر، السلطان الملك الناصر أبو المظفر ابن الملك الأفضل نجم الدين الدُّويني - دُوَيْنُ بطرف بلاد آذربيجان. اختلَف في نسبه، فقوم يقولون أموي الأصل، وقال الصاحب كمال الدين بن العديم في كتاب «الإشعار بما للملوك من التَّوادر والأشعار»^(٢): يتنسَّب من العرب إلى مالك بن طوق صاحب الرِّحبة؛ وقال قوم: هو من الأكراد، وهو الصحيح. لم يأت في ملوك الإسلام بعد نور الدين الشهيد مثله، فتح القدس الشريف وطهر السواحل من الإفرنج. وكان شافعي المذهب، أشعري العقيدة يلقن عقيدة الأشعري لأولاده ويلزمهم بالدرس عليها. وسمع الحديث وأسمعه أولاده.

سمع من السَّلَفي الحافظ، والإمام أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المسلم ابن بنت أبي

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢١/٢٧٨)، سيرته مشهورة طبقت الآفاق لما له من الأيادي البيضاء على الإسلام وأهله ومنها فتح البيت المقدس وتخليصه من براثن الصليبيين، فرضي الله تعالى عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وقلما يخلو كتاب تاريخ من أخباره ممن تناولوا عصره.

(٢) ذكره في «كشف الظنون» (١/١٠٤).

سعد، وأبي طاهر عون، وعبد الله بن بَرِّي، والقطب مسعود النيسابوري، وجماعة؛ وروى الحديث، وملك البلاد فتوحاً.

ولد بتكريت، وأبوه واليها سنة اثنتين وثلاثين وخمسة مائة؛ وأقام في الملك أربعاً وعشرين سنة؛ وتوفي بقلعة دمشق بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء سابع عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسة مائة، وحضر القاضي الفاضل وفاته، وغسله الدُّولعي وأُخْرِجَ في تابوته وصُلِّيَ عليه القاضي محيي الدين بن الزكي، وأُعيدَ إلى الدَّار التي في البستان التي كان فيها مريضاً، ودفن في الصُّفَّةِ الغربية منها؛ وصُلِّيَ عليه النَّاسُ أرسالاً، وتأسف النَّاسُ عليه، حتى الفرنج، لما كان من صِدْقِهِ ووفائه إذا عاهدهم.

وبنى ولده الأفضل على شمالي الجامع الأموي قبةً وهي التي شُباتُها قبلي الكلاسية، ونقله إليها يوم عاشوراء سنة اثنتين وسبعين وخمسة مائة، ومشى بين يدي التابوت، وأراد العلماء حمله على رقابهم فقال الأفضل: «يكفيه دعاؤكم الصالح»، وحمله مماليكهُ، وأُخْرِجَ إلى باب البريد وصُلِّيَ عليه قدام النسر، وصُلِّيَ عليه محيي الدين ابن الزكي، ولحده ولده الأفضل وخرج وسدَّ الباب وجلس للعزاء ثلاثة أيام.

وفتح القدس والبلاد الساحلية والشامية والفراتية والحصون الفرنجية، ولم يخلف إلا سبعة وأربعين درهماً وديناراً واحداً صورياً؛ ولم يخلف ملكاً ولا عقاراً، وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة صغيرة: الملك الأفضل علي صاحب دمشق، والملك العزيز عثمان صاحب مصر، والملك الظاهر غازي صاحب حلب، والملك المعز فتح الدين إسحاق، والملك المؤيد نجم الدين مسعود، والملك الأعز شرف الدين يعقوب، والملك الظافر مظفر الدين خضر، والملك الزاهر مجير الدين داود، والملك المفضل قطب الدين موسى، والملك الأشرف عزيز الدين محمد، والملك المحسن ظهير الدين أحمد، والملك المعظم فخر الدين توران شاه، والجواد زكي الدين أيوب، والغالب نصير الدين ملكشاه، وعماد الدين شادي، ونصرة الدين مروان، والمنصور أبا بكر، ومؤنسة زوج الملك الكامل. وهؤلاء كلُّهم عاشوا بعده، وكان أكثرهم بحلب عند الظاهر، وآخرهم موتاً توران شاه توفي بعد أخذ حلب، في قلعتها. وقد تقدَّم في ذكر نجم الدين أيوب بن شاذي ذكر أصلهم وسبب اتصالهم بنور الدين الشهيد، وتقدَّم أيضاً في ترجمة أسد الدين شيركوه بن شاذي سبب دخول شيركوه إلى مصر بحده في أيام العاضد، وفي ترجمة أيوب المذكور سبب وزارة صلاح الدين يوسف المذكور للعاضد خليفة مصر، وفي ترجمة القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي طرف من ذلك، فليكشف جميع ذلك من أماكنه المذكورة.

وأرسل العاضد خلع الوزارة إلى صلاح الدين، وكانت العادة في مثل ذلك، ما يُذكر: وهو عمامة بيضاء تنسي بطُرُز ذهب، وثوب ديبقي بطرازي ذهب، وجُبّة تحتها سقلاطون بطرازي ذهب وطيلسان ديبقي بطراز ذهب رقيق، وعقد جوهر قيمته عشرة آلاف دينار، وسيف محلّي مُجوهر قيمته خمسة آلاف دينار، وفرس حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار، ولم يكن بالديار المصرية أسبق منها، وطوق وتخت وسرفسار ذهب مجوهر وفي رقبة الحجر مشدة بيضاء وفي رأسها مائتا حبة جوهر، وفي أربع قوائم الفرس أربع عقود جوهر، وقصبة ذهب وفي رأسها طلعة مجوهرة وفي رأسها مشدة بيضاء بأعلام ذهب، ومع الخلعة عدّة بُقَج وعدّة من الخيل وأشياء أُخر، ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب أطلس أبيض.

وكانت وزارة صلاح الدين يوم الإثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وخميس مائة. وجلس في دار الوزارة وحضر الأمراء والكبراء ووجوه البلد وأرباب دولة العاضد؛ وعمّ الناس جميعهم، المصريين والشاميين، بالهبات والصلّات. ولما وزر صلاح الدين للعاضد شكر نعمة الله تعالى عليه وتاب عن الخمر وأقلع عن اللهو وأقبل على الجد والاجتهاد. وجرى له مع العاضد ما جرى من خلعه وإقامة الدعوة بمصر للعباسيين. ولم يزل يشنّ الغارات على الفرنج بالكرك والشوبك وبلادهما، وجعل الناس يهرعون إليه من كل جانب وهو يُفيض عليهم سحائب الإنعام إلى أن اشتهر ذكره وبعُدَ صيته. ولما استقر أمره بمصر أخذ نور الدين الشهيد حمص من نواب أسد الدين، وكان نور الدين يكتاب صلاح الدين بالأمير الإسفَهْسلار ويكتب علامته في الكتب تعظيماً أن يكتب اسمه، وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الأمير الإسفَهْسلار صلاح الدين، وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا؛ هذا قبل موت العاضد.

والتمس صلاح الدين من نور الدين أن يبعث إليه إخوته فلم يرسلهم وقال: أخاف أن يخالف أحدٌ منهم عليك فتفسد البلاد؛ ثم إنّه جهّزهم إليه، فلما تجمّع الفرنج وطلبوا المسير إلى مصر فتوجّه إليه والده نجم الدين ومعه بقية إخوته، وفي ذلك يقول عمارة اليماني من قصيدة: [من الكامل]

عجبا لمعجزة أتت في عصره	والدهرُ ولاذ لكلّ عجيب
ردّ الإلهُ به قضية يوسف	نسقا على ضرب من التّفريب
جاءته إخوته ووالده إلى	مصر على التّدرّج والترتيب

وكان وصولهم إليه سنة خمس وستين وخميس مائة، ولما أن توجه صلاح الدين مع

عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر في المرة الثالثة، قال العِرْقَلَةُ: [من السريع]
 أَقُولُ وَالْأَتْرَاكُ قَدْ أَزْمَعَتْ مَصَرَ إِلَى حَرْبِ الْأَعَارِبِ
 رَبُّ كَمَا مَلَكَتْهَا يَوْسُفَ الصَّدِيقُ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبِ
 مَلَكَهَا فِي عَصْرِنَا يَوْسُفَ الصَّادِقُ مِنْ أَوْلَادِ أَيُّوبِ
 فكان ذلك فألاً جرى على لسانه.

ولما خلع العاضد وجرى له، أرسل صلاح الدين إلى نور الدين يعرفه ذلك، فسير نور الدين إلى أمير المؤمنين المستضيء يعرفه بذلك فحلَّ عنده مَحَلًّا عَظِيمًا، وسير إلى نور الدين الخِلاعة الكاملة له ولصلاح الدين أيضاً، إلا أنها أقلَّ من خلع نور الدين، وسُيِّرَت الأعلامُ السُّود لتتصب على المنابر. ثم إنَّ الوحشة حصلت بين نور الدين وصلاح الدين لأنَّه طلب منه المسير إليه إلى الكرك بالعساكر المصرية لحصار الفرنج، فاعتذر باختلال البلاد وأنَّه متى سار بالعساكر خاف لبعده عنها، فلم يقبل نور الدين عذره وعزم على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها، فبلغ الخبر صلاح الدين فجمع أهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهما سائر الأمراء، وأعلمهم بما عزم عليه نور الدين واستشارهم فلم يجبه أحدٌ منهم، وقام تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين وقال: إذا جاء قاتلناه وصدّدناه عن البلاد، ووافق غيرُه من أهله، فشتّمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه، وكان ذا رأي ومكر وعقل، وقال لتقي الدين: أقعد وسبّه، وقال لصلاح الدين: أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك، أنظرن أن في هؤلاء من يحبك ويريد لك الخير مثلنا؟ فقال: لا، فقال: والله لو رأيت أنا وخالك هذا نور الدين لم يمكنا إلا أن نترجّل له ونقبل الأرض بين يديه، ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا، فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا؟ وكلّ من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه إلاّ النزول وتقبيل الأرض بين يديه، وهذه البلاد له وقد أقامك فيها وإذا أراد عزلك فأَيّ حاجة له في المجيء، يأمر بكتاب مع نَجَاب حتى تَقْصِدَ خدمته ويولي بلاده من يريد؛ وقال للجماعة كلهم: قوموا عنا فنحن ممالك نور الدين وعبيده يفعل ما يشاء بنا. فتفرقوا على هذا وكتب بعضهم بالخبر إلى نور الدين. ولَمَّا خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له: أنت جاهل تجمع هذا الجمع الكبير وتطلعهم على سرّك؟ وإذا سمع نور الدين أنّك تمنعه بلاده جعلك أهمّ أموره وأولاها بالقصد؛ ولو قصدك لم تر معك أحداً من هذه العساكر وكانوا أسلموك إليه؛ وأما الآن فسيكتبون إليه بهذا الذي جرى، وتكتب أنت إليه وتقول له أي حاجة إلى قصدي يجيء نَجَاب يأخذني بحبل يضعه في عنقي. فهو إذا

بلغه هذا رجع عن قصدك واشتغل بما هو الأهم عنده، والأيام تتدرج والله ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩/٥٥]. فكان الأمر كما قال نجم الدين ولم يقصده نور الدين بعد ذلك. وتوفي نور الدين، رحمه الله، بعدما سَير إليه موفق الدين خالد بن القيسراني يطالبه بالمال والحساب على ما تقدم في ترجمته. وكان قد بلغ السلطان صلاح الدين أنَّ في اليمن إنساناً اسمه عبد النبي قد استولى عليها وملك حصونها؛ فجهَّز إليه أخاه توران شاه فقتله وأخذ البلاد منه. ثم إنَّ صلاح الدين علم أن الصالح إسماعيل بن نور الدين الشَّهيد لا يستقلُّ بالأمر بعد والده، فقصد دمشق في جيش كثيف مُظهرًا أنه يتولَّى أمر الصالح فدخل دمشق بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمس مائة وتسَلَّم قلعتهَا وكان أوَّل دخوله دار أبيه وهي الدار المعروفة بدار العقيقي وفرح الناس به واجتمعوا إليه وأنفق في ذلك أموالاً عظيمة، وسار إلى حلب ونازل حمص وأخذ المدينة في جمادى الأولى من السنة وهي الوقعة الأولى. وأنفذ سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل عسكرياً وافرأً وقَدَّم عليه أخاه عز الدين مسعود، وساروا يريدون لقاء صلاح الدين ليردَّوه عن البلاد، فلمَّا بلغه ذلك رحل عن حلب وعاد إلى حماه ورجع إلى مصر وأخذ قلعتهَا؛ ووصل مسعود المذكور إلى حلب وأخذ عسكر ابن عمِّه الصَّالح ابن نور الدين وخرجوا في جمع عظيم، فلمَّا علم بذلك صلاح الدين سار إليهم ووافاهم على قرون حماه، ثم إنَّهم اجتهدوا أن يصلحوه فما اتَّفَق بينهم صلح وتلاقوا فانكسروا بين يديه وأسر منهم جماعة ومَنَّ عليهم، وذلك في تاسع عشر رمضان المعظم من السنة؛ وسار عقيب ذلك ونزل على حلب فصالحوه على أخذ المعرَّة وكفر طاب وبارين، ثم إنَّه تصافَّ هو وسيف الدين غازي على تلِّ السلطان، وانكسرت ميسرة صلاح الدين ثم انتصر عليهم وفرَّوا بين يديه فلم يتبعهم ونزل في خيامهم وفرَّق اسطبلاتهم ووهب خزائنهم، وسار إلى منبج وتسلمها، وتوجه إلى عزاز وحاصرها في رابع ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وخمس مائة، وعليها وثب جماعة من الإسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله منهم وظفر بهم، وملك عزاز في رابع عشر ذي الحجة. ثم سار ونزل حلب في سادس عشر الشهر وأقام عليها مدَّة ثم رحل عنها. وكان قد أخرجوا له ابنةً صغيرةً لنور الدين سألته عزاز فوهبها لها. ثم إنَّ صلاح الدين عاد إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة وكان أخوه توران شاه قد وصل من اليمن فاستخلفه بدمشق. وتأهب للغزاة، وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرَّملة وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة، وكانت الكسرة على المسلمين فطلبوا مصر وضلُّوا في الطريق وتفرَّق شملُهم، وأسر الفرنج الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهناً عظيماً في المسلمين جبره الله تعالى يوم

حظين. ثم إنَّ صلاح الدين أقام بمصر يلمّ شعثه وبلغه تخطيط الشام فاهتم بالغزاة فوصل رسول قُلُج أرسلان صاحب الروم يلتبس الصلح ويتصوّر من الأرمن؛ فعزم على قصد بلاد ابن لاوون وهي بلاد سيس، فدخلها وأخذ في طريقه حصناً فسأله الصلح فصالحهم ورجع عنهم؛ فدخل عليه قُلُج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجابته. وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ودخل في الصلح قُلُج أرسلان والمواصلة. ورجع بعد ذلك إلى دمشق وتوجه منها إلى مصر. وتوفي الصالح ابن نور الدين الشهيد واستخلف أمراء حلب وجندها لابن عمّه عز الدين مسعود صاحب الموصل فأتى إليها خوفاً من سبق صلاح الدين إلى حلب واستولى على الحواصل وتزوج أم الصالح؛ ثم إنّه قايض أخاه عماد الدين زنكي من حلب إلى سنجار؛ وخرج من حلب ودخلها عماد الدين زنكي المذكور فجاءه صلاح الدين وحاصره في سادس عشرين المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة، فصالحوه على سنجار والخابور ونصيبين وسروج وما في قلعة حلب من الحواصل والأموال ويأخذ صلاح الدين حلب، فوافقهم على ذلك وأعطى الرقة لحسام الدين طُمان لكونه دخل في الصلح؛ وكان صلاح الدين قد أخذ سنجار في ثاني شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وأعطاه لابن أخيه تقي الدين عمر. ثم إنَّ صلاح الدين صعد إلى قلعة حلب يوم الإثنين سابع عشرين صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة ورتّب أمورها ورحل عنها في ثاني عشرين شهر ربيع الآخر، وجعل فيها ولده الظاهر غازي وولي القلعة سيف الدين يازكوج الأسدي، وجعله يرُتّب مصالح ولده الظاهر غازي. وعاد إلى دمشق، وخرج منها لقصد الكرك في ثالث شهر رجب من السنة، وسَيَّرَ إلى أخيه العادل أبي بكر ليحضر إليه، وكان بمصر، فسار إليه بجيش عظيم. وحشد الفرنج واجتمعوا وجاءوا إلى الكرك، وخاف صلاح الدين على مصر فسَيَّرَ إليها ابن أخيه تقي الدين عمر ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة واستصحب العادل معه إلى الشام ودخل دمشق في رابع عشرين شعبان من السنة وأعطاه حلب ودخلها يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رمضان. وخرج الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق. وقيل إنَّ العادل أعطاه على دخول حلب ثلاث مائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد. ثم إنّه أعاد العادل إلى مصر والظاهر إلى حلب؛ ثم إنّه أعطى العادل حرّان والرّها وميافارقين. ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وسط النهار يوم الجمعة؛ وكان كثيراً ما يقصد لقاء العدو يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطيب على المنبر. وكان العدو قد اجتمع بمرج صَفُورِيَّة، فسار صلاح الدين ونزل على بحيرة طبرية على سطح الجبل لينظر قصد الفرنج فلم يتحركوا فنازل طبرية وأخذها في ساعة واحدة،

ونهب الناس مالها وسبوا وقتلوا وحرّقوا، وبقيّة القلعة محتمية؛ وبلغ العدو ذلك فرحلوا نحوها فترك صلاح الدين على طبرية من يحاصرها والتقى العدو على سطح جبل طبرية الغربي وباتا على مصافت إلى بكرة الجمعة وتصادموا والتحم القتال بأرض قرية لوبيا، وضاق الخناق بالعدو وحال الليل بينهم فحملت أطناب المسلمين من سائر الجوانب وصاحوا صيحة رجل واحد فألقى الله الرعب في قلوب الفرنج، فهرب القومص وقصد جهة صور وتبعه المسلمون فنجا منهم، وهرب بعض الفرنج فتبعهم طائفة من المسلمين واعتصمت طائفة منهم بتلّ حطين، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران فاشتدّ بهم العطش، فأسر مقدموهم وقُتل الباقون؛ وكان ممّن سلم [وأسيراً] من مقدمي الفرنج الملك جفري وأخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك. وابن الهنفرى، وابن صاحب طبرية، ومقدم الديوية، وصاحب جُبَيْل، ومقدم الاستبار.

قال القاضي ابن شداد: ولقد حكى لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطهم بطنب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان. وأما مُقَدِّم الاستبار والديوية فإن السلطان قتلها وقُتل من بقي من صنفهما حياً، وأما ارناط البرنس فإن السلطان كان قد نذر دمه لأنه كان قد عبر به قوم من مصر في حالة الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي ﷺ. فجلس في دهليز الخيمة وعرضت الأسرى عليه وصار الناس يتقربون إليه بمن في أيديهم من الفرنج وهو يفرح بما فتح الله عليه. واستحضر الملك الجفري وأخاه البرنس ارناط، وناول السلطان الملك جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها وكان على أشدّ حال من العطش، ثم ناولها للبرنس؛ وقال السلطان للترجمان: أنت الذي سقيته وإلا أنا فما سقيته؛ وكان من جميل عادات العرب وجميل أخلاقهم أنّ الأسير إذا أكل وشرب من مال من أسره أمِن، ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عيّنه فمضوا بهم إليه وأكلوا شيئاً وعادوا بهم فاستحضرهم وأوقف البرنس بين يديه وقال: ها أنا أنتصر لمحمد منك، ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل فسَلَّ النيمجاه وضربه بها، فحلّ كتفه وتمّم قتله من حضر؛ فلما رأى جفري ذلك قال: لم تجر عادة الملوك بقتل الملوك، فقال السلطان: هذا تجرأ على الأنبياء وجاوز الحد. ثم نزل على طبرية وسلّم قلعتها ورحل طالباً عكا ونزل عليها وقتلها وأخذها بكرة الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة، واستنقذ من كان بها من الأسرى وأخذ ما كان فيها من الأموال. وتفرقت العساكر إلى بلاد الساحل فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة. وسار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى فنصب عليها المناجيق وضايقها بالزحف، وكان فيها أبطال معدودون فقاتلوا قتالاً شديداً

ونصر الله السلطانَ عليهم، وتسلمها يوم الأحد ثامن عشرة عنوة وأسر من فيها بعد القتل ورحل عنها إلى صيدا وتسلمها في غد يوم نزوله وهو يوم الأربعاء عشرون يوماً من جمادى الأولى. وسار إلى بيروت ونازلها يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى وزحف عليها وتسلمها وتسلم أصحابه جبيل؛ ولما فرغ من هذا الجانب رأى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها، فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة وسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم، وقاتل عسقلان قتالاً عظيماً، ونصب عليها المناجيق وتسلمها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزّة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال. ثم إنّه طلب القدس الشريف ونزل عليه يوم الأحد خامس عشر شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة ونزل بالجانب الغربي، وقيل إنّ الذي كان في القدس من المقاتلة يزيدون على ستين ألفاً خارجاً عن النساء والصبيان، ثم انتقل إلى الجانب الشمالي ونصب المناجيق وضائق البلد، وأخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم، فأخذ أهل القدس في الأمان وتسلمه يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة ليلة المعراج وكان فتحاً عظيماً شهده جماعة من أهل العلم، ومن أرباب الخرق والزهد وعالم كثير؛ وصلى الجمعة فيه يوم فتحه وكان الصلح وقع على أنّ أهل القدس يزنون عن كلّ رجل عشرين ديناراً وعن كلّ امرأة خمسة دنانير صورية، وعن كلّ صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً، فمن أحضر قطيعته نجى بنفسه وإلا أخذ أسيراً؛ وأفرج عن من كان بالقدس من الأسارى وكانوا خلقاً عظيماً. وأقام يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والفقراء والفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه، وكان ذلك يقارب مائتي ألف وعشرين ألف دينار، ولم يرحل عن القدس ومعه من المال شيء ورحل عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان وأتى عكا ونظر في أمورها وتوجّه إلى صور ونزل قريباً منها وسير لإحضار آلات الحصار فلما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر شهر رمضان وقاتلها وضايقها عظيماً، واستدعى أسطول مصر وقاتلها في البر والبحر وخرج أسطول صور على أسطول مصر في الليل وأخذوا المقدّم والرايس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقاً كثيراً في سابع عشرين الشهر، فضاق صدر السلطان وكانت الأمطار قد توالى فرحل عن صور طلباً لراحة العساكر وحمل من آلات الحصار ما أمكنت وحرقوا ما عجزوا عن حمله للوحل، وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة، وتفرقت العساكر وأقام هو وجماعة من خواصه بعكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمس مائة. وكان لما نزل على صور قد سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة. ثم إنّ السلطان نزل على كوكب في أوائل المحرم سنة أربع وثمانين ولم يكن معه من العسكر إلاّ

القليل وكان حصناً حصيناً وفيه الأقوات والرجال وعلم أنه لا يؤخذ إلا بعد شدائد فعاد إلى دمشق ودخلها في سادس عشر شهر جمادى الأولى، فأقام في دمشق خمسة أيام فبلغه أن الفرنج قصدوا جُبَيْلاً فخرج مسرعاً، فلما علموا بحركته رجعوا، فصار نحو حصن الأكراد، وكان قد وصل إليه عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين ابن زين الدين وعسكر الموصل، فوصل إلى أنطرسوس سادس جمادى الأولى، فلما رآها نزل عليها، وما لحق العسكر يضرب الخيم حتى تعلق المسلمون في الأسوار وأخذوها بالسيف وغنموا شيئاً كثيراً وأحرقوها، وأقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى، ثم سار يريد جبلة فوصل إليها، وما تم نزوله إلا أن ملكها وكان فيه مسلمون مقيمون وقاضٍ يحكم فيهم، وسلمت القلعة بالأمان بعد قتال شديد في تاسع عشر جمادى الأولى وأقام عليها إلى الثالث والعشرين من الشهر، وسار إلى اللاذقية ونزل عليها الرابع والعشرين من جمادى الأولى، واشتد القتال إلى آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين، وغنم الناس شيئاً كثيراً وجدّوا في الثقبوب إلى أن كان الثقب طوله ستين ذراعاً وعرضه أربعة أذرع، فطلب الفرنج الأمان والصلح على سلامة نفوسهم وذرائعهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب، فأجابهم وأقام عليها إلى سابع عشرين جمادى الأولى؛ ورحل إلى صهيون ونزل عليها تاسع عشرين الشهر فأخذها يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة وقاتل القلعة قتالاً عظيماً، فطلب الفرنج الأمان بشرط أن يؤخذ من الرجل عشرة دنائير والمرأة خمسة دنائير ومن كل صغير ديناران، الذكر والأنثى سواء، ثم إنّه أقام بهذه الجهة إلى أن أخذ عدّة قلاع منها بلاطنس وغيرها. ثم رحل وأتى بكتاس فنزل عليها سادس جمادى الآخرة، وقاتلوا قتالاً عظيماً، ثم يسّر الله فتحها وقُتِلَ أكثر من بها وأسر الباقون وغنم الناس كثيراً، ثم إن قلعة الشُّغْر طلب أهلها الأمان في ثالث عشر الشهر المذكور وسألوا المهلة ثلاثة أيام، وطلع العلم السلطاني إليها يوم الجمعة سادس عشر الشهر. ثم إن السلطان سار إلى برزية فنزل عليها يوم السبت رابع عشرين الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر؛ ثم صار منها إلى دَرْبَسَاك ونزل عليها يوم الجمعة ثامن من رجب وتسلمها يوم الجمعة ثاني عشرين الشهر المذكور وأعطاها للأمير علم الدين سليمان بن جندر؛ وسار عنها ونزل على بغراس وتسلمها بعد القتال في ثاني شعبان. وراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر، وكان شرط الصلح على أن يُطلق كلّ أسير عندهم والصلح إلى سبعة أشهر فإن جاءهم من ينصرهم وإلا سلّموا البلد. ورحل السلطان فسأله ولده الظاهر غازي أن يجتاز به فأجابه ودخل حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام: وسار من حلب فاعترضه تقي الدين ابن أخيه وأصعده إلى قلعة حماه وعمل له طعاماً وسماعاً صوفياً، وبات فيها ليلة

واحدة وأعطاه جبلة واللاذقية، وسار على بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة. ثم خرج منها يريد منها صفد فنزل عليها ولم يزل القتال يعمل إلى أن تسلمها بالأمان في سابع عشر شوال. وفي رابع شهر رمضان المذكور سلمت الكرك وتسلمها نواب صاحبها وخلصوه بذلك من الأسر في نوبة حطين، كذا ذكره بعضهم. وقد تقدّم أن السلطان قتل البرنس صاحب الكرك بيده. ثم إنّه سار إلى كوكب وقاتلها قتالاً شديداً والأمطار كثيرة والرياح عواصف، فطلب أهلها الأمان وتسلمها نصف القعدة؛ ونزل إلى الغور وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الناس دستوراً وسار مع أخيه العادل لزيارة القدس وصلى به العيد. وتوجّه في حادي عشر الحجة إلى عسقلان وأخذها من العادل وعوّضه عنها بالكرك؛ ثم مرّ على الساحل يتفقد أحواله ودخل عكا فأقام بها معظم المحرم سنة خمس وثمانين وخمس مائة ورتّب بها الأمير بهاء الدين قراقوش والياً وأمره بعمارة سورها، وعاد إلى دمشق فدخلها في مستهل صفر سنة خمس وثمانين وخمس مائة وأقام بها إلى شهر ربيع الأول، ثم خرج إلى شقيف أرنون ونزل إليه صاحب الشقيف بنفسه ولم يشعر به إلاّ وهو قائم على باب خيمته، فأذن له وأكرمه واحترمه وأكل معه الطعام وذكر له أنّه يعطيه المكان ويسلمه ويعطيه مكاناً يسكنه بدمشق لأنّه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج وأن يعطيه إقطاعاً يقوم به وبأهله فأجاب به إلى ذلك. وفي أثناء شهر ربيع الأول جاء الخبر بتسليم الشوبك، وكان قد أقام عليه جمعاً يحاصرونه مدة سنة إلى أن نفذ زاد من كان فيه وسلموه بالأمان. ثم ظهر للسلطان أن جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه؛ ثم بلغه أن الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الإثنين ثالث عشر شهر رجب سنة خمس وثمانين؛ وفي ذلك اليوم سیر صاحب الشقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة، وأتى عكا ودخلها بغتة ليقوي قلوب من بها، واستدعى العساكر فجاءته من كلّ ناحية، وكان العدو مقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل، ثم تكاثر الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا الداخل والخارج، فضاقت لذلك صدر السلطان واجتهد في حفظ الطريق ففتحه، وجرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام، وتأخّر الناس إلى تلّ العياضية، وبها توفي الأمير حسام الدين طمان وكان من الشجعان؛ وقيل للسلطان إنّ الوحش قد عظم بمرج عكا وإنّ الموت قد فشا بالطائفتين فأنشد السلطان: [من مجزوء الخفيف]

اقتلاني ومالكاً واقْتُلْ مالِكاً معي

ثم إن الفرنج جاءتهم الأمداد من داخل البحر واستظهروا على المسلمين بعكا، وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب الهكاري، وضايقوهم أشدّ مضايقة إلى أن

غلبوا عن حفظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسة مائة خرج رجل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون أنهم قد أيقنوا بالهلاك ومتى أخذ البلد عنوة ضربت رقابهم، وأنهم صالحوا الفرنج على أن يُسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدد والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمسة مائة أسير مجاهيل ومائة أسير مُعَيَّنِينَ من جهتهم وصليب الصليبوت، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وذرايعهم ونساءهم سالمين، ويضمنوا للمركيس لأنه كان الواسطة أربعة آلاف دينار. فلما وقف السلطان على ذلك عظم ذلك عليه وأنكره وشاور أهل الرأي وتقسّم فكره، فهو في ذلك وإذا أعلام الفرنج قد ارتفعت وصلبائه وذلك ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين ووقع البكاء والعويل؛ ثم إنَّ الفرنج، خرجوا من عكا وقصدوا عسقلان والسلطان قبالتهم في عسكره ووصلوا إلى أرسوف، فكان بينهم قتال عظيم، ونال المسلمين منهم وهن عظيم. فأتى السلطان الرملة. وشاور السلطان أهل مشورته في أمر عسقلان وهل يخربها، فاتفقوا على أن يكون الملك العادل قبالة العدو يتوجّه هو بنفسه ويخربها، وأنَّ حَفَظَ الْقُدُسِ أولى. فسار إلى عسقلان ثامن عشر شعبان. قال القاضي ابن شدّاد: وقد تحدّث معي في خراب عسقلان بعد أن تحدّث مع ولده الأفضل وقال: لئن أفقد ولدي جميعهم أحبُّ إليَّ من أن أهدم منها حجراً ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة المسلمين فما الحيلة في ذلك. فوقع الخراب في عسقلان في تاسع عشر شهر شعبان، وقسم الخراب على الناس وحزن الناس على خراب عسقلان حزناً عظيماً، وعظم عويل أهله لتشتتهم، وشرعوا في بيع ما لا يقدرّون على حمله، فباعوا ما يساوي عشرة آلاف بألف، وابتاع اثنا عشر طير دجاج بدرهم؛ وخرج النَّاسُ بأهلهم إلى المخيم. ووصل من جهة العادل من أخبر أنَّ الفرنج تحدّثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية، فرأى السلطان ذلك مصلحة، لما عَلِمَ من نَفْسِ النَّاسِ وضجرهم من القتال وكثرة ما عليهم من الديون؛ وأذن للعادل في ذلك وفوض الأمر إلى رأيه، وأصبح يوم الجمعة عشرين رمضان وهو مصرٌّ على الخراب وأباح النَّاسَ ما في الهري وأحرق البلد. وأتى الرملة وخربها وخرب قلعتها. وتأخّر بالناس إلى جهة بلد الخليل، عليه السلام، وخرب قلعة النظرون. وطلب الانكثار من العادل، بعد اجتماعهما على مودة، الاجتماع بالسلطان، فقال السلطان: إذا وقع الصلح اجتمعنا. ثم إنَّ الصلح تمَّ وكان يوم الأربعاء ثاني عشرين شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسة مائة؛ ونادى المنادي أنَّ البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة من شاء من كلِّ طائفة يتردّد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور؛ وكان يوماً مشهوداً حصل فيه

السُرور العظيم للفريقين، وقد علم الله أَنَّ ذلك بغير رضى السلطان وكانت المصلحة في ذلك لآتِه توفي عُقَيْب ذلك. ثم إنَّه أعطى النجيدات دستوراً إلى بلادهم.

وعزم السلطان على الحج وأقام بالقدس يتأهب للمسير إلى مصر؛ وأقام لعمارة البيمارستان والمدرسة، ثم تفقّد البلاد والقلاع البحرية ودخل دمشق بُكْرَةَ الأربعاء سادس عشر شوال، وفيها أولاده الأفضل والظاهر والظافر المشمّر، وأولاده الصغار. وجلس يوم الخميس سابع عشرين شوال بكرة النهار وأنشده الشعراء وَبَلَّ النَّاسُ شَوْقَهُمْ مِنْهُ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنَ الْخَاصِّ وَلَا الْعَامِّ عَنْهُ، وكشف مظالم الرعايا وأنعم على الناس. ولَمَّا كَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ مُسْتَهْلٌ ذِي الْقَعْدَةِ عَمِلَ الْأَفْضَلُ لِلظَّاهِرِ دَعْوَةً وَحَضَرَهَا السُّلْطَانُ وَاحْتَفَلَ الْأَفْضَلُ بِهَا وَكَانَ يَوْمًا مُشْهُودًا.

وعاد العادل بعدما تصفّح أحوال الكرك بقصد البلاد الفُراتية، وخرج السلطان إلى لقائه ودخلا حادي عشر الحجة إلى دمشق. وانشرح السلطان بدمشق وتفرّج بها وتَصَيَّدَ وَرَوَّحَ بَدَنَهُ وَقَلْبَهُ مِنَ الْجِهَادِ وَالسَّهْرِ وَالتَّعَبِ وَنَسِيَ عِزْمَهُ إِلَى مِصْرَ. ثم إنَّه ركب يتلقى الحاج خامس عشر صفر سنة تسع وثمانين وكان ذلك آخر ركوبه. فلما كان ليلة السبت وَجَدَ كَسَلًا وَمَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ حَتَّى غَشِيَتْهُ حُمَى صَفَرَاوِيَّةٍ، وقصد في الرابع واشتدَّ مرضُهُ وَقَلَّتْ رَطَوِيَّاتُ بَدَنِهِ، وكان يغلب اليُسُّ على مزاجه؛ واشتدَّ المرض في السابع والثامن وحدث له غشي في التاسع وامتنع من المشروب، وَحُقِّقَ فِي الْعَاشِرِ دُفْعَتَيْنِ. ثم إنَّه اشتدَّ به المرضُ، وشرع الأفضل في تحليف الناس له. وتوفي صلاة الصبح يوم الأربعاء سابع وعشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمس مائة، كما تقدّم.

قال ابن الأثير عز الدين: ومن عجيب ما يحكى من التَّطْيِيرِ^(١) أَنَّ السُّلْطَانَ لَمَّا بَرَزَ مِنَ الْقَاهِرَةِ أَقَامَ لِتَجْتَمَعَ الْعَسَاكِرُ وَعِنْدَهُ الْأَعْيَانُ مِنَ الدُّوَلَةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ يَقُولُ شَيْئًا فِي الْوَدَاعِ وَفِي الْفِرَاقِ، وَفِي الْحَاضِرِينَ مَعْلَمُ أَوْلَادِهِ فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ بَيْنِ الْحَاضِرِينَ وَأَنْشَدَ: [من الوافر]

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ
فَانْقَبَضَ السُّلْطَانُ وَالنَّاسُ وَتَطَيَّرُوا مِنْ ذَلِكَ. وكان الأمرُ كذلك لم يعد إلى مِصْرَ بَعْدُ واشتغل بالبلاد الشرقية وفتوح القدس والساحل، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

(١) الطيرة: هو ما يتشاءم به من الفأل الرديء وتطير به ومنه اهـ «القاموس».

وكتب القاضي الفاضل إلى ولده الظاهر غازي يعزيه بطاقةً مضمونها: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ [الحج: ١]. كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر، أحسنَ الله عزاءه وجبر مصابه، وجعل فيه الخلف، في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً، وقد حفرت الدموع المحاجر، وقد بلغت القلوب الحناجر؛ وقد ودّعت أباك ومخدومي وداعاً لا تلاقي بعده، وقلبت وجهه عنك وعني، وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة، ضعيف القوة، راضياً عن الله عز وجل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المُعدّة ما لم يدفع البلاء ولا يملك ردّ القضاء؛ «وتدمع العين ويخشع القلب ولا نقول إلا ما يرضي الربّ وإنا عليك لمحزونون يا يوسف». وأمّا الوصايا فلا تحتاج إليها، والآراء فقد شغلني المصاب عنها، وأمّا لائح الأمرِ فإنّه إنّ وقع اتفاقٍ فما عدتم إلا شخصه الكريم؛ وإن كان غيره فالمصائبُ المستقبّلةُ أهونها موته، وهو الهول العظيم؛ والسلام.

ونُقِشَ على صندوق قبره من كلام القاضي الفاضل: «اللهم فازرّ عن تلك الروح، وافتح له أبواب الجنة وهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح». ولَمّا كان الفاضل عنده في هذه المرضة قاله له: يا خوند أو يا مولانا: «أرى أن تدفن سيفك معك فإنّه عكّازك إلى الجنة».

ذكر فتوحاته: الديار المصرية، فإنّه فتحها وطهرها من الرفض وتلك المقالات الرديّة؛ واليمن ودمشق وحمص وحماء والمعرة وكفرطاب وبارين ومنبج وعزاز وحلب والموصل وسنجار والرقّة وجعبر والرحبة والخابور ونصيبين والرها وميافارقين وسروج والكرك والشوبك والقدس وغزة وعسقلان والرملة وطبرية وكوكب وصفد والطور وعكا وصيدا وبيروت ونابلس والداروم وحيفا وقيسارية وصَفُورِيّة والناصرّة وتبنين وهونين وجبيل وحصن الأكراد وأنطرسوس واللاذقية وصهيون وبلاطُس وشُغر وبكاس وبرزيه وبغراس ودرب ساك وأنطاكية وحارم وخلاط.

وقال وجيه الدين بن المظفر منصور بن سليم في «تاريخ إسكندرية»: وبعث صلاح الدين ابن أخيه تقي الدين إلى المغرب ففتح طرابلس وقايس وأكثر بلاد أفريقيا؛ وبعث شمس الدولة إلى اليمن ففتح زبيد وعدن وتعزّ والجند، انتهى.

وأما أوقافه، وإن كانت غير مشهورة فمنها: المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي، رضي الله عنه؛ والمدرسة التي بجوار مشهد الحسين بن علي، رضي الله عنهما، بالقاهرة؛ ودار سعيد السعدا خدام المصريين وقفها خانقاه؛ ودار عباس والعاقل بن سلال، مدرسة للحنفية وهي السيوفية؛ ومدرسة زين التجار بمصر؛ وبنى بالقاهرة داخل القصر

بیمارستاناً؛ وله بالقدس مدرسة؛ وله بمصر مدرسة للمالكية؛ ووقف بقرية حطين خانقاه؛ ووقف على الغزالية بالجامع الأموي بدمشق؛ ومدرسة بحانب بیمارستان النوري بدمشق تُعرف بالصلاحيّة ولا وقف لها؛ وله بدمشق مدرسة للمالكية؛ وهو الذي عمّر قلعة الجبل بالديار المصرية؛ وهو الذي أدار السور على القاهرة ووصله بمصر بتولّي بهاء الدين قراقوش. وقيل إنه أوّل ما ولي الوزارة بمصر للعاقد جلس في الدار التي هي الآن خانقاه بيبرس المظفر.

وكتب القاضي الفاضل، رحمه الله، مرسوماً بإسقاط مكوس^(١) مصر والقاهرة عن السلطان صلاح الدين، قدس الله روحه، وجملة ذلك في كلّ سنة مائة ألف دينار؛ تفصيل ذلك: مكس البهار وعمالته ثلاثة وثلاثون ألفاً وثلاث مائة وأربعة وستون ديناراً؛ مكس البضائع والقوافل وعمالته تسعة آلاف وثلاث مائة وخمسون ديناراً؛ منفلت الصناعة عن عكس البزّ الوارد إليها والتحاس والقصدير والمرجان والمفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً؛ الصادر عن الصناعة بمصر ستة آلاف وست مائة وستة وستون ديناراً؛ سمسرة التمر ثلاثة مائة دينار؛ الفندق بالمنية عن عكس البضائع ثمان مائة وستة وخمسون ديناراً؛ رسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير؛ رسوم الملح والخشب الطويل ست مائة وستة وسبعون ديناراً؛ رسوم القلب المنسوبة إلى بليس، والبوري المنسوب إلى قاقوس مائة دينار؛ رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره مائتان وسبعة عشر ديناراً؛ ختمة ارمّت عن الوارد إليها سبعة وستون ديناراً؛ فندق القطن ألفا دينار؛ سوق الغنم بالقاهرة وبمصر والسمسرة وعبور الأغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلاث مائة وأحد عشر ديناراً؛ عبور الأغنام والكتان والأبقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار؛ واجب ما يرد من الكتان الحطب إلى الصناعة مائتا دينار؛ رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة إلى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبّانين ومقابل جزيرة الذهب وطموه وبرّ الدوح ستة آلاف دينار؛ مكس ما يرد إلى الصناعة من الأغنام ستة وثلاثون ديناراً؛ الأغنام البيتوتية اثنا عشر ديناراً؛ العرصة والسرناوي بالجيزة ومكس الأغنام مائة وتسعون ديناراً؛ منفلت الفيوم عمّا يرد من الكتان من القبلة من البضائع الواردة من الفيوم وغيره أربعة آلاف دينار ومائة وستون ديناراً؛ مكس الورق المجلوب إلى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار؛ الجفنة بساحل الغلة والأقوات والرسائل سبع مائة وثمانية وستون ديناراً؛ فلت العريف بالصناعة الصادرة مائتا دينار؛ دار

(١) المكس: النقص والظلم ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية، أو دراهم كان يأخذه

التفاح والرطب بمصر والعريضة بالقاهرة ألف وسبع مائة دينار؛ ابن المليجي مائتا دينار؛ دار الجبن ألف دينار؛ مشارفة الجزارين مائتان وأربعون ديناراً؛ واجب الحلي الوارد من الوجه البحري والقطن ألف وعشرون ديناراً؛ رسم سمسة الصفا ألف ومائتا دينار؛ منفلت الصعيد مائة وأحد وستون ديناراً؛ خاتم الشرب والديقي ألف وخمس مائة دينار؛ مكس الصوف مائتا دينار؛ نصف الموردة بساحل المقس أربعة عشر ديناراً؛ دكة السمسار ثلاث مائة وخمسون ديناراً؛ منفلت التعريف بالصناعة وجملة البهار والبضائع مائتان وستة عشر ديناراً؛ الحلفاء الواردة من القبلة مائة وخمسة وثلاثون ديناراً؛ الوتد والشرقية والطعم بدار التفاح ومنفלת القبلة بالجسر والتبائن خمسة وثلاثون ديناراً؛ رسوم الصفا والحمراء ورسوم دار الكتان ستون ديناراً؛ حماية الغلات بالمقس ودار الجبن مائة وأربعون ديناراً؛ الحلفاء الواردة على الجسر ومعديّة المقياس مائة دينار؛ خمس البرنية بالجيزة عشرون ديناراً؛ تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون ديناراً؛ منفلت الغلات بمعديّة جزيرة الذهب عشرة دنانير؛ رسوم الحمام بساحل الغلة خمس مائة وأربعة وثلاثون ديناراً؛ واجب الحناء الوارد في البر ثمان مائة دينار؛ واجب الحلفاء والقضاب ثلاثة وستون ديناراً؛ مكس ما يرد من البضائع إلى المنية مائة وأربعة وثمانون ديناراً؛ مسلخة شطنوف البرانية مائتا دينار؛ سوق السكرين خمسون ديناراً؛ رسوم سمة الجمل بالشارع وسوق وردان تسعة عشر ديناراً؛ واجب الفحم الوارد إلى القاهرة عشرة دنانير؛ معديّة الجسر بالجيزة مائة وعشرين ديناراً؛ سمة البقري أربعون ديناراً؛ السمة بدار الدباغ تسعة عشر ديناراً؛ سمسة الجبس الجيوشي ثلاث مائة واثنان عشر ديناراً؛ وكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل الحامض بالقاهرة خمس مائة دينار؛ الخل الحامض وما معه أربع مائة وخمس دنانير؛ بيوت الغزل والمصطبة ثلاث مائة وخمسون ديناراً؛ وذبائح الدلالة ثلاث مائة دينار؛ سمسة الكتان ثلاث مائة دينار؛ رسوم حماية الصناعيين أربع مائة دينار؛ مربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون ديناراً؛ معادي جزيرة الذهب وغيرها ثلاث مائة دينار؛ خاتم الشمع بالقاهرة ثلاث مائة وستون ديناراً؛ زريبة الذبيحة سبع مائة دينار؛ معديتا المقياس وانابة مائتا دينار؛ حمولة السلجم ثلاث مائة وثلاثون ديناراً؛ مكس دكة الدباغ ثمان مائة دينار؛ سوق الرقيق خمس مائة دينار؛ معمل الطبري مائتان وأربعون ديناراً؛ سوق منبوبة ثمان مائة وأربعة وستون ديناراً؛ ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل الصنط عشرة دنانير؛ نخ السمك خمسة دنانير؛ تنور الشوي مائتا دينار؛ نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون ديناراً؛ خاتم الحلي مائة وعشرون ديناراً؛ سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربع مائة دينار؛ سوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً؛ قبان الجناء ثلاثون ديناراً؛ واجب طاقات الأدم ستة وثلاثون ديناراً؛ منفلت الخام بالشاشيين ثلاثة

وثلاثون ديناراً؛ أنولة القصار والجير أربعون ديناراً؛ أعوان المراكب المنشأة والخضر والحلفا ستة وثلاثون ديناراً؛ بيوت الفروج ثلاثون ديناراً؛ الشعر والطارات أربعة دنانير؛ رسوم الصبغ والحريث ثلاث مائة وأربعة وثلاثون ديناراً؛ وزن الطفل مائة وأربعون ديناراً؛ معمل المزرة أربعة وثمانون ديناراً؛ الفاخوريات بالقاهرة ومصر مائتان وستة وثلاثون ديناراً.

وقال أبو شامة في «الروضتين»، نقلاً عن ابن أبي طي: إن الذي أسقطه صلاح الدين، وإن الذي سامح به لعدة سنين متقدمة آخرها سنة أربع وستين خمس مائة مبلغه نيف عن ألف ألف دينار وألفي ألف إردب، سامح بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه من المعاملين.

ومن كرمه، قدس الله روحه، أنه كان يهبُ البلادَ فضلاً عن الأموال؛ وجاد بآمد على ابن قرا رسلان؛ وكان يعطي في وقت الضائقة كما يعطي في وقت السعة. وحضره وفودُ بيت المقدس ولم يكن في خزائنه ما يعطيهم فباع قريةً من قُرَى بيت المال وقضى الثمن عليهم. وكان نوابُ خزائنه يُخفون عنه كثيراً من المال خوفاً أن يفرقه. وقال مرةً «يمكن أن يكونَ في الناس من ينظر إلى المال كمن ينظر إلى التراب»، وكأنه أراد بذلك نفسه؛ ولم يقل يوماً أعطينا فلاناً ولا زدنا فلاناً. وحصر ما وهبه بمزج عكا لا غير من الخيل فكان عشرة آلاف فرس ومن شجاعته أنه رابط العدو المدة المديدة بجمع يتضاعف عليه عدد أعدائه وكان يشارف بنفسه تعبئة الصفوف ويخترق العساكر ميمنة وميسرة ومعه غلام واحد لا غير ومعه جنيب له، وقرىء عليه جزء وحديث بين الصفيين؛ وقال: في نفسي أنه متى يسر الله لي فتح بقية الساحل قَسَمْتُ البلاد وأوصيت وودعت وركبت البحر إلى جزائره أتبع الكفار فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت.

وقيل إنه كان بحماه فكتب إلى أخيه العادل: [من الطويل]

ولمّا جرى العاصي وطِيع أدْمَعِي لِبُعْدِكَ قال النَّاسُ أَيُّهُمَا النَّهْرُ

وكان الفاضل حاضراً فقال: [من الطويل]

ولمّا بدا وجهُ ابن أيوب مُشْرِقاً مع البدرِ قال النَّاسُ أَيُّهُمَا البدرُ

ومدحه، رحمه الله تعالى، شعراء عصره؛ ومن أحسن ما مُدح به قصيدة ابن سناء الملك لما فتح حلب، وهي من أحسن شعره أيضاً: [من البسيط]

بِدَوْلَةِ الثُّرَكِ عَزَّتْ مِلَّةُ الْعَرَبِ وَيَا بَنَ أَيُّوبَ ذَلَّتْ شِيعَةُ الصُّلُبِ

وفي زمان ابن أيوب غدت حلب من أرض مصر وعادت مضراً من حلب

ولابن أيوب دانت كل مملكة بالصّفْح والصِّلح أو بالحرب والحرب

مُظَلَّقَر النَّصْر مَبْعُوثٌ بِهَمَّتِهِ
وَالذَّهْرُ بِالْقَدْرِ الْمَحْتَمُومِ يَخْدُمُهُ
وَيَجْتَلِي الْخَلْقُ مِنْ رَايَاتِهِ أَبَدًا
إِنَّ الْعَوَاصِمَ كَانَتْ أَيُّ عَاصِمَةٍ
مَا دَارَ قَطُّ عَلَيْهَا، دَوْرَ دَائِرَةٍ
لَوْ رَامَهَا الذَّهْرُ لَمْ يَظْفَرْ بِبُغْيَتِهِ
وَلَوْ أَتَى أَسَدُ الْأَبْرَاجِ مُنْتَصِرًا
جَلِيْسَهُ النَّجْمُ فِي أَعْلَى مَنَازِلِهِ
تَلْقَى إِذَا عَطِشَتْ وَالْبَرْقُ أَرَشِيَّةً
كُلُّ الْقِلَاعِ تَرُومُ الشُّحْبَ فِي صَعْدِ
حَتَّى أَتَى مَنْ مَنَالَ النَّجْمَ مَطْلَبُهُ
مَنْ لَوْ أَبَى الْفَلَكَ الدَّوَارَ طَاعَتَهُ
أَتَى إِلَيْهَا يَقْوُدُ الْبَحْرَ مَلْتَطْمًا
تَبْدُو الْفَوَارِسُ فِيهَا فِي سَوَابِغِهَا
مَسْتَلْتَمِينَ وَلَوْ لَا أَنَّهُمْ حَفَظُوا
جَمَالَهُمْ فِي مَغَازِيهِمْ إِذَا قَفَلُوا
فَطَافَ مِنْهَا بِرُكْنٍ لَا يَقْبَلُهُ
وَحَلَّ مِنْ حَوْلِهَا الْأَقْصَى عَلَى فَلَكَ
وَمَنَاعَتُهُ كَمَعَشُوقٍ تَمْتَعُهُ
فَمَرَّ عَنْهَا بِلا غِيْظٍ وَلَا حَنَقٍ
تَطْوِي الْبِلَادَ وَأَهْلِيهَا كَتَائِبُهُ
وَافِي الْفِرَاتِ فَالْقَى فِيهِ ذَا لَجَبٍ
رَمَتْ بِهِ الْجَرْدُ فِي الْتِيَّارِ أَنْفَسَهَا
لَمْ تَرْضَ بِالسُّفْنِ أَنْ تَغْدُو حَوَامِلَهَا
وَكَانَ عَلَمُهَا قَطْعَ الْفُرَاتِ بِهِ
وَجَاوَزَتْهُ وَأَبْقَى مِنْ فَوَاقِعِهِ

إِلَى الْعِزَائِمِ مَدْلُولٌ عَلَى الْعَلَبِ
وَالْأَرْضُ بِالْخَلْقِ وَالْأَفْلَاكُ بِالشُّهُبِ
مُبَيِّضَةُ النَّصْرِ مِنْ مُضْفَرَّةِ الْعَذَبِ
مَعْصُومَةٌ بِتَعَالِيهَا عَنِ الرُّتَبِ
كَلَا وَلَا وَاصَلَتْهَا نَوْبَةُ النُّوبِ
وَلَوْ رَمَاهَا بِقَوْسِ الْأَفَقِ لَمْ يُصِيبْ
خَارَتِ قَوَائِمُهُ عَنْهَا وَلَمْ يَثْبِ
وَطَالَمَا غَابَ عَنْهَا وَهِيَ لَمْ تَغِبْ
كَوَكَبَ الدَّلْوِ فِي بَثْرِ مِنَ الشُّحْبِ
إِلَّا الْعَوَاصِمَ تَبْغِي السَّحْبَ فِي صَبَبِ
يَا طَالِبَ النَّجْمِ قَدْ أَوْغَلْتَ فِي الطَّلَبِ
لَصَيَّرَ الرَّأْسَ مِنْهُ مَوْضِعَ الذَّنْبِ
وَالْبَيْضُ كَالْمَوْجِ وَالْبَيَضَاتُ كَالْحَبِّ
بَيْنَ التَّقْيِضِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ لَهَبِ
عَوَائِدَ الْحَرْبِ لَا سَتَغْنَوْنَ عَنِ الْيَلْبِ
حَمَالَةُ السَّبْيِ لَا حِمَالَةُ الْحَطَبِ
إِلَّا أَسِنَّةُ أَطْرَافِ الْقَنَا السَّلْبِ
وَدَارَ مِنْ بُرْجِهَا الْأَعْلَى عَلَى قُطْبِ
أَشْهَى مِنَ الشَّهْدِ أَوْ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ
وَسَارَ عَنْهَا بِلا حِقْدٍ وَلَا غَضَبِ
طِيًّا كَمَا طَوَتْ الْكُتَّابُ لِلْكُتْبِ
يَظْلُ يَهْزَأُ مِنْ تِيَّارِهِ اللَّجْبِ
فَعَوْمُهَا فِيهِ كَالْتَقْرِيبِ وَالْحَبِّ
فَعَزُّهَا لَيْسَ يَرْضِي ذِلَّةَ الْخَشْبِ
تَعْلُمُ الْعُومَ فِي بَحْرِ الدَّمِ السَّرْبِ
دُرًّا تَرْضَعُ فَوْقَ الْعُرْفِ وَاللَّبِّ

إلى بلادٍ أجابت قبل أن دُعِيَتْ
لو لم تجب يُوسُفًا من قَبْلِ دَعْوَتِهِ
خَافَتْ وخاف وفرَّ المالكون لها
ثم استجابت فلا حصنٌ بِمُتَمَنِّعٍ
وأصبحوا منه في هَمٍّ وصَبَّحهم
تفرَّغوا للنعيم العَيشِ واشتغلوا
أرضَ الجزيرة لم تَظْفَر ممالكُها
ممالكٌ لم يُدَبِّرْها مُدَبِّرُها
حتى أتاها صلاحُ الدين فانصلحت
واستعمل الجَدَّ فيها غيرَ مُكْتَرِثٍ
وقد حواها وأعطى بعضُها هبةً
يعطي الذي أخذت منه ممالكُها
ويمنح المُدُنُ في الجدوى لائله
ومُذْ رَأَتْ صَدَّه عن رَبْعِها حلبٌ
غارت عليه ومدَّتْ كَفَّ مَفْتَقِرٍ
واستعظَفَتْهُ فوافتها عواطفُها
وحلَّ منها بأفقرٍ غيرٍ منخفِضٍ
فتح الفتوح بلا مَينٍ وصاحبُها
ومعجزٍ كم أتانا منه مُشَبِّهُهُ
تَهَنَّنَ بالفتح يا أُولَى الأنام به
فافخر ففتحك ذا فخرٍ لمفتخر
بك العواصِمُ ذابت بعدما خَبُثَتْ
فليت كل صباح ذرَّ شارِقُه
إني أحبُّ بلاداً أنت ساكنُها
إلا لأتُك قد أصبحت مالِكُها
فجودُ كَفِّك دُخْرِي في يدي ويدي

للخاطبين ولولا الخوفُ لم تُجِبْ
لعاد عامرُها كالجَوْسَقِ الحَرِبِ
فالمُدُنُ في رَهَبٍ والقوم في حربٍ
منها عليه ولا مُلْكٌ بِمُخْتَجِبٍ
وهم سُكَّارِي بكأسِ اللُّهُو والطربِ
عن الثغور بلثمِ الثُّغَرِ والشَّنْبِ
بممالكٍ قَطَنَ أو سائسِ دَرِبٍ
إلا برأيٍ خصي أو بِعَقْلِ صبي
من الفساد كما صَحَّتْ من الوَصَبِ
بالجد حتى كأنَّ الجَدَّ كاللعِبِ
فهو الذي يهبُ الدُّنيا ولم يَهَبِ
وقد يَمُنُّ على المسلوبِ بالسلبِ
كما تَرَقَّع في الجدوى عن الذهبِ
ووصله لبلادٍ حُلُوهُ الحَلَبِ
منها إليه وأبَدَتْ وَجَهَ مُكْتَتِبِ
وأكتب الصُّلحَ إذ نادته عن كُتُبِ
للصاعدين وبُزْجٍ غيرٍ منقلبِ
مَلِكُ الملوِكِ ومولاها بلا كذبِ
فصار لا عجباً من فضله العجبِ
فالفتحُ إرْتُك عن آبائك النُجُبِ
دُخْرٌ لمدَّخرٍ كسبٌ لمكتسبِ
بمالِكِها ولولا أنت لم تُطِبِ
«فداء ليلِ فتى الفتيان في حَلَبِ»
وساكنيها وليسوا من ذوي نسبِ
دون الأنام وهل حُبُّ بلا سَبَبِ
وحُبُّ بيتك إرْتُك عن أبي وأبي

ألهى مديحك شعري عن تَعَزُّله
فلم أقل فيه لا إن الصبابة لي
ورثاه لما مات، رحمه الله، جماعة منهم ابن الساعاتي، كتبها للملك العزيز عثمان بن
صلاح الدين يقول له: [من الطويل]

لئن كان ليلُ الحزنِ عَمَّتْ غياهبُه
وإن كان ليثُ الغابِ أخلى عرينه
له لِبَدٌ: ما ذِيئُه ورمأخه
وإن فارق الغُمدَ المحلَّى حسامُه
وإن أفقرَ الفسطاط منه فإنّه
أقام عمادُ الدين رَفَعَ بنايَه
يردُّ العيونَ الشُّوسَ عنه كليله
كأنَّ شُعاعَ الشَّمْسِ يلقاك دونه
ولا بدَّ من شكوى إلى الدهر محضة
هوى جبلُ الدِّينِ الحنيفِ وزُغزعت
وأغمد سيف الله من كلِّ مارقٍ
وما ابتسم البرقُ السماوي بعده
وما كان عقدُ المُزْنِ إلا منظرًا
وما اهتزَّ عطفُ الدَّهرِ إلا كآبةً
لمن تلبسُ الأطواقَ وُزُقَ خواطِبُ
حدَّثني المنيّا أن أقومَ أمامَه
لو أنَّ جهاداً مُفصِّحاً عن شجونه
لقد أظلمت أبرأجه بعد شمسِه
عجبتُ لناعيَه تخبُّ جياذِه
وينطقُ في النادي فصيحاً لسائِه
وما زلتُ للإشفاقِ إذ أستعيده
وأستفسرُ الألفاظَ وهي تسوؤني

فجاء مقتضباً في إثر مقتضب
يومَ الرحيل ولا إن المليحة بي
فقد ناب عن بَذْرِ التمام كواكبُه
وغاب، فهذا شبْلُه وكتائبُه
وبيض ظُباه: غابُه ومخالِبُه
فهذا حسامٌ لا تُقَلُّ مضارِبُه
منازلُه مأهولةٌ وملاعبُه
فما ضلَّ مسعاُه ولا ذلَّ جانبُه
من الحقِّ نورٌ ليس يعدوه لازِبُه
ولم ترَ ملكاً حاجبُ الشمس حاجِبُه
وإنَّ خاب من يشكوه أو من يُعَاتِبُه
بريحِ المنيّا العاصفاتِ مناكبُه
وسيمتُ وكانت مُخرماتٍ قواضبُه
ولكنَّه خلَّت عليه ذوائِبُه
ولكنَّ لنارِ اللّوعة انهلَّ ذائبُه
غداة ثوى عنه أخوه وصاحبُه
وقد طويث عن كلِّ أرضٍ سحائبُه
يخاطبني إحسانُه وأخاطبُه
شجاك من البيت المقدس نادِبُه
نعم، وانحنت حُزناً عليه محاربُه
وتنجو على طيِّ الموامي ركائبُه
وقد رجعت عنه خلاء حقائبُه
أغالِظُه عن قوله وأجاذِبُه
رجاء حديثٍ يُخلفُ الظنَّ كاذِبُه

لعلّ مقالاً آخرأ مثلُ أوّل
أخادعُ دمعِي راجياً وأكفُّه
تذكرُ نَعْمَى سافراتٍ وجوهُها
فلما بدا من تحت من في ضريحه
ظلمت كأنّ السيفَ غَتى ذبابه
وما هو إلّا البينُ زُمْتُ رِكابُه
وما الليلُ في الأفاق إلا جِداؤه
تمادت لديه راجفاتٍ رماحه
وشُقَّتْ جيوبُ الفضلِ وجداً وأصبحت
ونامت عيونُ الرّعفِ بعد سُهادها
كانَ غديراً سرّاً كُلُّ مُفَاضَةٍ
فلله يوماً أسمعَ الضمَّ خطبُه
وما خلّت أنّ الشمسَ تكسّفُها يدُ
خبا بعد ما عمّ الفضاءَ شهابُه
ولم يكُ فينا يوسفٌ غيرُ يوسفٍ
وقد كان لا يُعصى وإن شقَّ أمرُه
فكم أجلُ ناءٍ قضاءً حسامُه
وجيش حشاه السمهرية والظبا
لقد جلّ قدرُ الموت بعد خموله
أبغَدَ ابنُ أيوبٍ يصاغُ مديحُه
كان لم يُعَدّه عن كُماةٍ عُدائُه
ولا سارَ سَيْرَ العبد تحت رِكابِه
عَجِبْتُ له لم تُغْنِه سطوائُه
ويغتاله المقدارُ لا هو دافعٌ
وكيف أطاعته عوائدُ جهله
لها لذّ طعمُ الشُّكلِ من كلِّ هالك

تغذُّ به فرسانُه ونجائبه
بهذبٍ جفوني جارياً وأغالبه
إلَيَّ وَجُودٌ باسماتٍ مواهبه
وجُمْتُ وقلبي بالوجيب يجاوبه
وقدر قصت أحشاؤه وترائبه
وطارت به في الخافقين نواعبُه
وما هذه الأيام إلّا أشايبه
وناحت عليه صاهلاتٍ سلاهبُه
أراملَ منه عينُه وكواعبه
فما راعها من وابلِ النبل خاضبه
تجعّد وهناً بالنّسيم جوانبه
وأفهم حتّى أفحم الخلق خاطبه
ولا أنّ نجمَ الأفق يخفيه طالبه
ونور حتّى ظلمة الظلم ثاقبُه
لكفّ زمانٍ موبقاتٍ مساغبه
مضاءً ولا تحصي ثناءً مناقبه
ورقٌ كريمٍ جود كقّيه واهبه
فَحَطَّيْهِ تردّي الأسودِ ثعالبُه
فكلّ منيع باذخ فهو غاصبه
وحاشاك أو عيشٌ تساغٍ مشاربه
وقد دميت أنيابه ونوائبه
إلى كلّ ذي ملك تدبُّ عقاربُه
ولم تثنِه آراؤه وتجاربه
بواذره عنه ولا ذاك هائبه
إلى أن تخظى سيفُه وهو نائبه
فما شاء فلتُجلب عليه مصائبُه

فبالصبر يدنو من رجائك عازبه
 فإن جواد الحزم ما أنت راكبه
 تدانت له أسبابه وسبابه
 فساءت مبادئه وسرّت عواقبه
 وينجو سليماً من سيوفك سالبه
 وهذا سنأتم المجد قد جُبّ غاربه
 مشارقه مهجورة ومغاربه
 ونامت عيون كنّ قبل تراقبه
 وأملاكها عيدانه ومقانبه
 ولم يُجلّ يوماً كاسف اللون شاحبه
 وقد خفقت رايأته ومناكبه
 ومن فوق تيجان الملوك مساجبه
 وذللّ به من كل حي مصاعبه
 كما هام وجداً بالتمحبّ حبابه
 لما غازل الأجفان والدّم خاضبه
 فما تنقضي آيأته وعجائبه
 سوى أنه خلّق إذا جدّ عائبه
 فعَيرُ أبيك الناصِر المُلْك غائبه
 بحُسن بلاء أو عصياً توائبه
 وناقطة الخطي والسيف كاتبه

فيا مالك الأملاك صبراً وعزّة
 تنبّه لها عظمى ولست بها جع
 ومن كان في المسعى أبوه دليله
 فربّ مُلِمّ فادح جلّ أمره
 أيسلبُ خيرُ الناس حياً وميتاً
 وكيف تَقَرُّ الهام في سكناتها
 ثوى بين أكتاف الشام وأصبحت
 لقد قرّ زلزال الفرنجة بعده
 وقد كانت الأرض البسيطة داره
 كأن لم يُجلّ جنح الدجى بعجابه
 ولم تشك عين الشمس من هبواته
 ولا جرّ في أرجائها ذيل جيشه
 لدان له من كل مصر شريفه
 وهام إلى أعلامه كل معقل
 ولو لم يشب للهول صفح حسامه
 هو البحر حدث عنه غير مكذب
 ولم يك في أوصافه ما يُعيبه
 فدام لهذا الملك منك عزيزه
 فليس الوري إلا مطيعاً تُثيبه
 وعهدك هامات الأعادي طروسه

٦٢ - «البغدادى» يوسف بن أبي بكر بن أبي الحسن الأدمي البغدادي^(١)، من أهل السّمية. قال ابن النجار: ذكر لنا أنه سمع من أبي الوقت الصوفي، وأنه كان يحفظ من كتاب «الإفصاح في شرح الأحاديث الصحاح» لابن هبيرة شيئاً، ويقرؤه على ابن هبيرة، وقرأ علينا شيئاً من ذلك من حفظه وهو في عشر المائة، بلسان ذلق، وذهن حاضر. مولده سنة أربع وخمسمائة، وتوفي في رجب سنة تسع وثلاثين وست مائة.

٦٣ - «ضياء الدين خطيب بيت الأَبَار» يوسف بن أبي بكر القاضي ضياء الدين ابن خطيب بَيْتِ الأَبَار^(١). رئيسٌ كبيرٌ، وجوادٌ مفضلٌ، وصدرٌ رحيبٌ الباع في المكارم، أخلاقُه ترشفتُ سُلَافاً، وطباعُه تَلين كالغصون انعطافاً. لم أرَ في عصري ولا عاصرتُ في عمري من له سيادته ولا فيه مكارمه. أعجبُ ما رأيتُ فيه بعدَ المروّة الزائدة والجدود المفرط، أنّه يعاملُ عدوّه وصديقَه بمعاملةٍ واحدة، يملك نفسه ولا يتأثر بحادثة تنزل به، وشكلُه تامٌ. ولَمّا توجّه إلى مصر لم يجدِ الشاميّون ملجأً غيرَه، ولا كهفاً يأوون إليه سواه، وكان في ديوان تَنكِز يباشرُ وله سيادةٌ، وداره مألُفُ الضّيفان ومأوى الأصحاب، متى جاء الإنسانُ إلى منزله وجد كلَّ ما يختاره، إنّ كان هو فيه أو لم يكن يجدُ جميعَ ما يدعوه إلى أن يروح. ولما تولّى القاضي جلالُ الدين، رحمه الله، قضاء القُضاة بالشام، ولآه نظر الصّدقات فضبطها وأجمل مباشرتها، فلما طُلِبَ القاضي إلى مصر وتولّى قضاء القضاة بالقاهرة، طلبه من السلطان فرسم بإحضاره على البريد، فتوجّه إليها في سنة سبع وعشرين وسبع مائة، وولي نَظَرَ الصّدقات والأوقاف بالقاهرة، وساد في مصر ورأس في القاهرة وأحبّه المصريون لمكارمه وحلمه، وولآه السلطان الملك (الناصر مطابخ السُكَّر، وولاه نظر الأهرام مع ما بيده من القاضي جلال الدين، وتولّى نظر البيمارستان المنصوري، فسلك فيه أحسنَ سلوكٍ ورافق فيه الأمير جمال الدين نائب الكرك، وبعده الأمير علم الدين الجاولي، ثم الأمير بدر الدين جَنكَلِي ابن البابا، ووقع بينهما وعُزِلَ منه في الأيام الصّالحيّة، ثم تولاه ثانياً ورافق فيه الأمير سيف الدين أَرَقْطاي. وتولّى أيام السلطان الملك الناصر حسبة القاهرة ومصر، وكان قبلها محتسب القاهرة مع البيمارستان، فلما كان الغلاء في سنة ست وثلاثين وسبع مائة جمع له السلطان بين الحسبتين، ولما خرج القاضي جلال الدين من القاهرة تعصّب عليه النشو وغيره وأخذوا منه الحسبتين ونظر الأوقاف والصدقات وأبقوا عليه البيمارستان، فلما كان في أيام الصّالح ولآه نظر الدولة مع نظر البيمارستان، فباشر ذلك مديدةً ثم استعفى فأعفاه، ثم ولّاه الجوالي مع حسبة القاهرة والبيمارستان، ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدين جنكلي فَعُزِلَ من الجميع في أواخر دولة الصّالح ولزم بيته؛ فلَمّا كان في أيام الكامل، وُخِّلِعَ الكامل، تولّى القاضي ضياء الدين نظر البيمارستان والحسبة على عادته ثم إنّ علاء الدين ابن الأطروش نازعه في وظائفه مرّات وتولاها ثم أعيدت إليه، ثم إنّ الأمير سيف الدين صَرغتمش اعتمد عليه في الأوقاف بمصر والشام، وكان يدخل في كل قليل إلى السلطان ويخرج من عنده بتشريف، وزاد عظمتَه ووجاهةً، وبالع في إكرامه وتقديمه

(١) انظر ترجمته في «أعيان العصر» (٣/٣٤١)، و«درة الأسلاك» (٢/٣٤٣).

على الناس كلهم. ولما أُمسِكَ صرغتمش، قُبِضَ عليه وعُصِرَ وضُرِبَ وأُخِذَ منه شيء قليل، ثم رسم بتوجهه إلى قوص، فتوجه إليها وأقام بها سنة وأكثر، ثم رُسِمَ بعوده إلى القاهرة وأقام في بيته بظلالاً إلى أن توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مائة، تغمّده الله بالرحمة والرضوان، وخرّج له الشيخ شهاب الدين المحدث أحمد بن أبيك الدميّاطي أربعين حديثاً عن أشياخه الذين سمع منهم صغيراً، ونظم على أحاديثها، ووسّع العبارة فيها فجاءت مجلدةً جيّدةً وجوّداً، وحدث بها في داره بالقاهرة، وسمعتها من لفظه على القاضي ضياء الدين في جملة مَنْ سمع، وكتبْتُ أنا عليها:

«وقفت على هذا التخريج الذي لا يردّه ناظر، ولا يدفع أدلّته مناظر، ولا يستغني عنه مُذاكر ولا محاضر، ولا يُشبه حسنه إلاّ الرياض النواضر، على أنّه لمعةٌ من شهاب، وهَمْعَةٌ من سحاب، وجرةٌ من شراب، ودفعةٌ من عباب، لأنّ مُخرّجه شهابُ زين ليل العلم الدّاج، وبحرُ ألفاظه درر وفوائده أمواج، فلو عاصره ابن عساكر لم يذاكر، أو الخطيب لما كان طيب، أو ابن الجوزي لا نكسر قلبه وذهب لبه، أو ابن نقطة لغرق في بحر وبّله بقطره، أو الحاكم لقضي له بالتفضيل ولم ينظر في جرح ولا تعديل، خرّجه لمولى حمل البلدين ورئيس يوضع تاج سيادته على مُفرّق الفرقَدين: [من الوافر]

كريمٌ ساد بالإفضال حتّى	غدا في مجده بادي السّنَاء
له ذكرٌ يطبّق كلّ أرض	فيملأ جوّها طيبُ الثّنَاء
فما تخفى غُلاه على بصير	وإنّ تخفى فذو حَسَدٍ يُرائي
وهَبْنِي قلت هذا الصُّبْحُ ليلٌ	أيعمى العالمون عن الضّيَاء

فلا أعلم تخريجاً أحسن منه، ولا جزءاً غيره كل الفوائد تؤخذ عنه؛ جمع فيه بين الرواية والدراية، وبلغ فيه إلى غاية تدل على أنّه آية؛ فالله يشكرُ سَعْيَه ويتولّى بعينه رعيّه، بمَنه وكرمه إن شاء الله تعالى».

ولما كنت في الدّيار المصرية في سنة خمس وأربعين وسبع مائة في أيّام السلطان الملك الصالح إسماعيل، كتبْتُ له توقيعاً بنظر الجوالي بالقاهرة ومصر والوجهين قبلياً وبحرياً، ونسخته:

«الحمد لله الذي جمّل أيّامنا الزاهرة بضيائها، وكَمَّلَ دولتنا القاهرة بمحاسن أوليائها، وجعل نِعَمنا الغامرة تكاثر الغمام بالإبهاء، وضوء ممالكنا العامرة بمن يجمّل النظر فيما يتولاه من نواحيها وأرجائها، نحمده على نعمه التي لا تزال تجول وتجوّد، وتروم اختصاصنا بالمزيد من كرمها وتروّد، وتؤمّ حرمنا بأفضالها فتصول بنصول النصر على الأسود وتسود،

وَتَرَدُّ عَلَى حَمَانَا الرَّحْبِ فَتَجُودُ بِوَافِرِ إِحْسَانِهَا عَلَى أَهْلِ التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَرْغَمُ مِنَ الْكُفَّارِ مَعَاطِسَهُمْ، وَتَجْذِبُ بِحُدُودِهَا مَنَابِتَ بَهْتَانِهِمْ وَمَغَارِسَهُمْ، وَتَحْسِمُ بِحَسَامِهَا أَبْطَالَ بَاطِلِهِمْ وَفَوَارِسَهُمْ، وَتَهْدِمُ بِإِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ مَعَابِدَ ضَلَالِهِمْ وَكُنَائِسَهُمْ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَرَغْبِهَا فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالدرْجَةِ الْعُلْيَا، وَشَغَلَ لِسَانَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْبِقِظَةِ وَقَلْبِهِ فِي الرُّؤْيَا، وَقَامَ فِي نَصْرَةِ الْحَقِّ يَسْعَى، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ مَقَامًا وَسَعِيًّا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكَوا بِهْدَاهِ خَيْرَ سَبِيلٍ، وَفَازُوا لَمَّا اتَّبَعُوهُ بِالْفَخْرِ الْمَعْظَمِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ، وَنَصَرُوا الدِّينَ الْحَنِيفَ بَطْنِ الْأَسْمَرِ الْمُثَقَّفِ، وَضَرَبَ الْأَبْيَضَ الصَّقِيلِ، وَعَزَّ وَجُودُ مِثْلِهِمْ لَمَّا ضَرَبَ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، صَلَاةٌ لَا يَبْلُغُ الْعَدَدُ أَمْدَهَا، وَلَا يُنْفِذُ الزَّمَنُ مَدَدَهَا، مَا تَبَسَّمَ ثَغْرُ صَبَاحٍ عَنْ لَعَسِ ظَلَامٍ، وَتَنَسَّمَ رَوْضُ أَرْضٍ عَنْ نَفْسِ شَيْخٍ أَوْ رِيحِ خُزَامٍ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْمَنَاصِبَ تَعْلُو بِمَنْ يَلِي أَمْرَهَا، وَتَشْرَفُ عَلَى غَيْرِهَا بِمَنْ يَعِظُمُ النَّاسُ لِأَجَلِهِ قَدْرَهَا، وَتَفُوقُ بِمَنْ يُطْلَعُ فِي لِيَالِي التَّمَامِ وَالْكَمَالِ بِدَرَجَاتِهَا، وَتَكْبَرُ بِمَنْ إِذَا تَحَدَّثَ فِيهَا أُجْرَى بِالْأَمْوَالِ وَالْأَمْوَاهِ بِحَرِّهَا، وَتَفْخَرُ بِمَنْ إِذَا تَوَلَّى نَظَرَهَا جَمَعَ نَفْعَهَا وَمَنَعَ ضَرَّهَا، وَنَظَرُ الْجَوَالِي مِنَ الْوُضَائِفِ الَّتِي فِي الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ عِدَادُهَا وَإِلَى الْقَرَبِ السَّنِيَّةِ مَعَاجِزُهَا وَمَعَادُهَا، وَإِلَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مِيلُهَا وَاسْتِنَادُهَا، وَبِسَيْفِنَا الَّذِي تَجَرَّدَ مَهَابَتِنَا انْتِصَارُهَا وَاعْتِضَادُهَا، لِأَنَّهُ اسْتَخْرَاجُ مَالٍ قَدْ تَقَرَّرَ شَرْعًا، وَأَخْصَبَ فِي الْحِلِّ مَرْعَى وَدَرَ بِالْبَرَكَاتِ ضَرْعًا، وَاتَّسَعَ بِهِ الْإِسْلَامُ صَدْرًا لَمَّا ضَاقَ بِالْكَفْرِ ذَرْعًا، وَقَرَّتْ بِهِ عِيُونَ الدِّينِ، وَكَيْفَ لَا تَقَرَّ إِذَا أَخَذَتْ الْعِيُونَ مِنْ عَدُوِّهَا وَهِيَ لَا يَسْتَطِيعُ مَنَعًا، لَا يَدْخُلُ الْحَوْلُ عَلَى ذِمِّيٍّ إِلَّا جَاءَ إِلَيْهِ مَنْ يَطْلُبُ الْجَالِيَّةَ وَأَحَاطَ بِهِ الذِّلُّ الَّذِي يَقُولُ مَعَهُ ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ [الْحَاقَّةُ: ٢٨/٦٩] وَتَجَدَّدَتْ لَهُ حَالَةٌ حَالِكَةٌ وَحَالُ الْإِسْلَامِ حَالِيَّةٌ، عَلَى أَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ فِي الذَّلَّةِ مَائِقُونَ، وَتَمَامُ مَصِيبَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْطُونَ ﴿الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٩]. وَكَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِي الضِّيَائِي أَبُو الْمُحَاسَنِ يَوْسُفُ مِمَّنْ جَمَلَ الدُّوَلِ، وَأَسْعَفَتْهُ الْأَيَّامُ بِمِرَادِهِ حَتَّى كَانَهَا لَهُ مِنْ جَمَلَةِ الْخَوْلِ، وَفَخَّرَ زَمَانُهُ بِوُجُودِ مِثْلِهِ وَشَهِدَ حَتَّى حُسَّادُهُ بِوُفُورِ فَضْلِهِ، وَأَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى نَهْرَ ذَرِيَّتِهِ فَكَانَ غَيْرَ آسِنٍ، وَبَهَرَ حَسَنَ أَوْصَافِهِ حَتَّى صَدَقَ مَنْ قَالَ إِنَّ يَوْسُفَ أَبُو الْمُحَاسَنِ، وَرَفَعَ اللَّهُ خَبْرَهُ فَانْتَصَبَ تَمَيِّزًا، وَمَضَتْ لَهُ مَدَّةٌ فِي الشَّامِ وَالسَّعْدُ يَقُولُ هَذَا فِي مِصْرَ يَكُونُ عَزِيزًا، وَخُطِبَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ فَوَرَدَهَا وَحَلَّ بِهَا، فَحَلَّ الْأُمُورَ تَصَرُّفًا وَعَقْدَهَا، وَوَلَّى الْمَنَاصِبَ الْعُلْيَا وَبَاشَرَ الْوُضَائِفَ السَّنِيَّةَ، أَحَسَّنَ نَظَرَهُ فِي الْأَوْقَافِ وَأَجْرَى أُمُورَهَا عَلَى أَجْمَلِ الْأَوْصَافِ، وَنَظَرَ فِي أَمْوَالِ الْأَيْتَامِ فَفَتَمَى حَاصِلَهُمْ وَرَبَّى، وَأَجْمَلَ الْمَعَامِلَةَ لَهُمْ فَمَا انْتَهَى لَهُمْ سَبَبٌ حَتَّى أَتْبَعَ سَبِيًّا،

وتولّى نظرَ البيمارستان المنصوري فغمره بحسن النظر وعمره، وأثر فيه بناءً تلاً بالضياء
شمسه وقمره، وزاد أوقافه ريعاً وملكاً، ونظم درّ تدبيره الجميل سلكاً، وباشرَ الحسبةَ
الشريفة فكانت بمعارفه أليقَ وأشبه، وأصبح قدرُها بولايته أقبلَ وأنبه، ورَوَّع أصحاب الغش
بمهابته وما لكل محتسب عند الناس حسبة، إلى غير ذلك من نظر الأهرء التي ملأها حبّاً،
وصبّ اللّه البركات فيها بنيته الطاهرة صبّاً، ونظر دار القنود التي حلت بحدِيثه فيها وتميّز
ارتفاعها جملاً تعجز واصفيها؛ هذا إلى صدر رحيب وخلق ما له مشاكل ولا ضريب، وثناء
هو في الذكر أبو الطيّب، ووجه إلى القلوب حبيب، مكانه كعبة قصّاد ومنزل رُوّاد، ومنهل
الورّاد، وحلّة جود سبق فيها حاتماً هذا الجواد، قد تورّع عن المناصب الدنيّة، وعرضت
عليه أيامنا وأيام الدنا الشهيد فلم يكن له فيها رغبة ولا نيّة، وندبناه لنظر دولتنا الشريفة
ورقّيناه ذرى شرفاتها المنيفة، فجعل نجوم أموالها أهلة، وأمطر سحائبها المستهلة، وأعرض
عنها فما باشرها إلا بحلّة، ولوى جيده عنها واستعفى، ورثّق الإهمال في ناظره حتى أعفى،
فأجبننا قصده وأعفيناه وعلمنا تورّعه فأثّرنا راحته إلّا ممّا استثنيناه، وخبّأنا له عندنا ما يناسب
مراده، ويوافق اجتهداه، ويعاضد اعتماده، علماً بإعراضه عن العرض الأدنى، وزهده فيما
وزره يبقى وحطامه يفتنى؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي
الصالح العمادي، أن يفوّض إليه نظر الجوالي بمصر والقاهرة والمحروستين والوجه القبلي
والوجه البحري، مضافاً إلى ما بيده، فليباشر ما فوّض إليه مباشرة عهدت من حسن اعتماده،
وشهدت من وافر اجتهداه، وهو بحمد الله غنيّ عن الوصايا التي تشير إليها أنامل الأفلام،
وتخفق بها من قعقة الطروس أعلام، «فما تُعلّم عَوانة فيها خِمرة»، ولا تطلع في أفق هذا
التوقيع نجماً، ولو شاء هو أطلع شمس الصواب وبدره، ولكن تقوى الله تعالى ملاكُ
الوصايا المهمة والأمور التي إذا راعها الإنسان لم يكن أمره عليه غمّة؛ فليجعلها لعينه
نصباً، ولقربه من الله تعالى قربى، والله تعالى يديم صوّنه ويجدّد في كل حال عوّنه. والخطُّ
الشريفُ أعلاه الله تعالى، أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه، والله الموفق بمنّه وكرمه
إن شاء الله تعالى.

وقلت لما بلغتنى وفاته بالقاهرة، رحمه الله تعالى، في ذي الحجة سنة إحدى وستين
وسبع مائة: [مجزوء الرمل]

مَالِنَا فِي بُؤْسِ عَالِسٍ عَمَّنَا مِنْهُ الشَّقَاءُ
وَعَلَى الدُّنْيَا ظِلَامٌ إِثْرَ مَا مَاتَ الضَّيَاءُ

٦٤ - «صاحب مراكش»^(١) يوسف بن تاشفين - بالتاء ثالثة الحروف وألف ثم شين معجمة وفاء وياء آخر الحروف ونون - السلطان أبو يعقوب اللمتوني المغربي البربري، الملقَّب بأمير المسلمين وبأمر الملتمين وبأمر المرابطين، والأوَّل هو الذي استقر. كان أحد ملوك البلاد، دانت بطاعته العباد، واتَّسعت ممالكُه وطال عمره، وقُلَّ أن عُمر أحد من ملوك المسلمين والإسلام كما عُمر، وهو الذي بنى مدينة مراكش، وهو الذي أخذ الأندلس من المعتمد بن عبَّاد، وواقعته معه مشهورة. وهو أوَّل من تسمَّى بأمير المسلمين. وكان يحب العفو والصفح وفيه عدل وخير، وكان معتدل القامة نحيفاً، خفيف العارضين، دقيق الصوت حازماً، سائساً يخطب لبني العباس.

كان برَّ المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زناتة برابر، فخرج عليهم من جنوب المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملتمون يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم، وكان رجلاً ساذجاً خيَّر الطُّباع موثراً لبلاده على بلاد المغرب، غيرَ ميَّالٍ إلى الرفاهية، وكان ولاؤه المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملتمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط، فلما حصلت البلاد لأبي بكر بن عمر المذكور سمع أن عجوزاً في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة، فبكت وقالت: لقد ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب فحمله ذلك على أن استخلف يوسف بن تاشفين هذا، ورجع إلى بلاده الجنوبية فاستمرَّ هناك وساس الناس سياسةً حسنةً، واختطَّ مراكش في سنة خمس وستين وأربع مائة، وكان موضعها مكنناً للصوص، ومراكش بلغة المصامدة «امش مسرعاً أو خوفاً من اللصوص» وكان مُلكاً لعجوز مصمودية.

ولما تمهّدت له البلاد تاق إلى العبور إلى جزيرة الأندلس وكانت محصّنة بالبحر، فأنشأ الشواني والمراكب والمقاتلة، فلما علم ملوك الأندلس بذلك استعدّوا له وكرهوا إمامه بجزيرتهم، لكنهم كرهوا أن يصبحوا بين عدوين: الفرنج من شماليهم والملتزمون من جنوبيهم، وكانت الفرنج تشدُّ الوطأة عليهم وأهل الأندلس ترهبهم بإظهار موالاة يوسف بن تاشفين، وكان له اسمٌ كبير لنقله دولة زناتة ومُلْك المغرب إليه في أسرع وقت، وكان قد

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٥٢/١٩)، «الكامل في التاريخ» (٤١٧/١٠، ٤١٨)، «المعجب» (١٦٢)، «وفيات الأعيان» (٧/ ١١٢ - ١٣٠)، «دول الإسلام» (٢/ ٢٨ - ٢٩)، «العبر» (١/ ٣٥٦/٣٥٧)، «تتمة المختصر» (٢/ ٩٢ - ٣٠)، «عيون التواريخ» (١٣/ ٨١ - ١٩٤)، «الحلل الموشية» (١٢/ ٦٠) «بغية الرواد» (١/ ٨٦)، «صبح الأعشى» (١/ ٣٦٣)، «النجوم الزاهرة» (١٩١/ ١٩٥)، «الروض المعطار» (٢٨٨/ ٢٨٩)، «نفع الطيب» (٤/ ٣٥٤)، «شذرات الذهب» (٣/ ٤١٢ - ٤١٣)، «الاستقصا» (١/ ٢٢٤)، «معجم الأنساب» (١١٣) «تراجم إسلامية» (٢٢٥ - ٢٣٤).

ظهر لأبطال المثلثين في الحروب ضربات بالسيوف تقذ الفارس، وطعنات تنظم الكلى، وكان له بذلك ناموس ورعب، فراسل ملوك الأندلس بعضهم بعضاً وفزعوا في ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه أشجع القوم وأكبرهم مملكة، فكتب عنهم كاتباً من أهل الأندلس وهو:

«أما بعد، فإنك إن أعرضت عنا نُسبتَ إلى كرمٍ ولم تُنسبَ إلى عجز، وإن أجبنا داعيك نُسبنا إلى عقل ولم تُنسبَ إلى وهن، وقد اخترنا لأنفسنا أجملَ نسبتنا، فاختر لنفسك أكرم نسبتك، فإنك بالمحل الذي لا يجب أن تُسبقَ فيه إلى مكرمة، وإن في استبقائك ذوي البيوت من دوام أمرك وثبوت ملكك والسلام». فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا وكان لا يعرف باللسان العربي لكنه كان يجيد فهم المقاصد، وله كاتب يعرف باللغة العربية والمرابطة، فقال له: «أيها الأمير هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظّمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أنك لا تجعلهم في منزلة الأعداء فإنهم مسلمون ومن ذوي البيوت، تعزهم وتكفيهم من وراءهم من الأعداء الكفار، وبلدّهم ضيق لا يحتمل العساكر فأعرض عنهم إعراض من أطاعك من أهل المغرب». فقال ابن تاشفين: فما ترى أنت؟ فقال الكاتب: «أيها الملك إن تاج الملك وبهجته وشاهد الذي لا يرد بأنه خليف بما حصل في يده من الملك أن يعفو إذا استغفي، وأن يهب إذا استُوهب، وكلما وهب جزيلاً كان أعظم لقدره فإذا عظم قدره تأصل مُلكه، وإذا تأصل مُلكه تشرف الناس بطاعته، وإذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ولم يتجشّم المشقة إليهم، وكان وارث الملك من غير إهلاكه لآخرته؛ واعلم أن بعض الملوك الأكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال: من جاد ساد، ومن ساد قاد، ومن قاد ملك البلاد». فلما فهمه بلغته هذا الكلام وعلم أنه صحيح قال: أجب القوم، فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من سالمكم وسلم إليكم، وحكمه النصر والتأييد فيما حكم عليكم، فإن ما بأيديكم من الملك في أوسع باحة، مخصصون منا بأكرم إيثار وسماحة، فاستديموا وفاءنا بوفائكم، واستصلحوا إخواننا بصلاح إخوانكم، والله وليّ التوفيق لنا ولكم والسلام». وقرأه عليه وفهمه ذلك بلغته فاستحسنه وجّهه وقرن به درقاً لمطية مما لم يكن إلا في بلاده، ولمطة بلدة عند السوس الأقصى بينها وبين سجلماسة عشرون يوماً. ولما وصل ذلك إليهم أحبوه وعظّموه وفرحوا به وقويت نفوسهم على دفع الإفرنج؛ ثم إن الأذفونش جاس خلال الأندلس واشتط على ملوكهم يطلب البلاد منهم، وخصوصاً المعتمد بن عباد فلما رأى ابن عباد طمع

الأذفونش فيه استدعى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وقال: «لأن ترعى أولادنا جمال الملتمين أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج». وكان ابن تاشفين على أتم أهبة فعبر إلى الأندلس واجتمع إليه ملوكها، واستنفر الأذفونش جميع الفرنج فخرجوا في عدو لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم تزل الجموع تتزايد وتتواتر إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً ورجلاً من الفريقين، وأمر ابن تاشفين بعبور الجمال، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء، ولم يكن أهل الجزيرة قد رأوا جملاً قط ولا رأوا خيلاً صورها ولا سمعت أصواتها، فكانت تدعّر منها وتقلق، وكان ابن تاشفين يحرق عسكره بالجمال وكانت خيل الفرنج تحجم عنها. ثم إن ابن تاشفين قدّم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض عليه الإسلام والدخول فيه أو الحرب أو الجزية، فأبى إلا القتال فاختر ابن عباد أن يكون هو المصدام أولاً، ففعلوا ذلك وتلاقوا واستحرق القتل فيهم فلم يفلت من الفرنج غير الأذفونش من دون الثلاثين من أصحابه، فغنم المسلمون أثاثهم وخيولهم بما ملأت أيديهم. وكانت الواقعة في الزلافة خامس عشر شهر رجب سنة تسع وسبعين وأربع مائة، وقيل في العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة المذكورة. وحكي أن موقع المعركة على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أو دم، وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جُمعت الغنائم، فلما أن حصلت عف عنها ابن تاشفين وأثر بها ملوك الأندلس وقال: «إنما أتينا للغزو لا للنهب»، فلما رأى ذلك ملوك الأندلس استكرموا وأحبوا وشكروا له. فلما فرغ ابن تاشفين من الحرب عزم على العودة إلى بلاده، وكان عند دخوله إلى الجزيرة تحرّى المسير بالعراء من غير أن يمر بمدينة أو رُستاق، فسأله ابن عباد أن يجوز إلى بلده وينزل عنده فأجابه إلى ذلك، فلما انتهى إلى إشبيلية مدينة المعتمد، وكانت من أجمل المدن، ونظر إلى وضعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع من بر المغرب وحاملة إليه في غربيته، وهو رستاق عظيم يشتمل على الآلاف من الضياع، كلها تين وعنب وزيتون، وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد على غاية الحسن والبهاء، فأنزل ابن تاشفين في أحد القصور وبالغ في خدمته وإكرامه، فأخذ أصحاب ابن تاشفين في إغرائه على اتخاذ مثل تلك المنازل، ويقولون له: إن فائدة الملك قطع العمر بالعيش المنعم والتلذذ كما هو المعتمد وأصحابه، وكان ابن تاشفين مقتصدًا في أموره غير متطاوّل ولا مبذّر، وكان قد أذهب صدر عمره في بلاده في شطف العيش، فأنكر على مغريه بذلك الإسراف وقال: «الذي يلوح من أمر هذا الرجل أنه مضى لما في يده من المال والمُلْك، لأن هذه الأموال التي تعينه في هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب، ولا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبداً، فأخذ بالظلم وأخرجه بالترهات، وهذا من أفحش الاستهتار ومن كانت

هَمَّتْهُ فِي هَذَا الْحَدِّ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَا لَا يَعْدُو الْأَجُوفِينَ مَتَى يَشْحَذُ هَمَّتَهُ فِي حِفْظِ بِلَادِهِ وَضَبْطِهَا؛ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ تَاشَفِينَ سَأَلَ عَنْ حَالِ الْمُعْتَمِدِ فِي لَذَاتِهِ هَلْ تَخْتَلِفُ فَتَنْقُصُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ؟ فَقِيلَ لَهُ: بَلْ كُلُّ زَمَانِهِ عَلَى هَذَا، قَالَ: وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ مُنْجِدُوهُ عَلَى عَدُوِّهِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: كَيْفَ تَرَوْنَ رِضَاهُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: لَا رِضَا لَهُمْ عَنْهُ، فَاطْرَقَ وَسَكَتَ، وَأَقَامَ عِنْدَ الْمُعْتَمِدِ أَيَّامًا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ.

وَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى الْمُعْتَمِدِ فَأَدْخَلَ، وَهُوَ ذُو هَيْئَةٍ رَثَّةٍ فَأَذَّنَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ شُكْرُ النِّعْمَةِ، وَمِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ إِهْدَاءُ النَّصَائِحِ، وَإِنِّي رَجُلٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ خَبْرٌ وَقَعَ فِي أَذْنِي مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ ضَيْفِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَمِلِكَهُمْ أَحَقَّ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ مِنْكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا إِنْ أَثَرَتِ الْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ قَلْتَهُ، قَالَ: قُلْ؛ قَالَ: رَأَيْتَ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي أَطْلَعْتَهُ عَلَى مَلِكِكَ رَجُلٌ مُسْتَأْسَدٌ عَلَى الْمُلُوكِ، قَدْ حَقَّظَ بِبِرِّ الْعُدُوِّ زَنَاتَهُ وَأَخَذَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُبَيِّنْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا يُؤْمِنُ أَنْ يَطْمَحَ عَلَى الطَّمَاعِيَةِ فِي مَلِكِكَ، بَلْ فِي مَلِكِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا لَمَّا قَدْ عَايَنَهُ مِنْ بُلْهْنِيَةِ عَيْشِكَ، وَأَنَّهُ يَتَخِيلُ أَنَّ كُلَّ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ حَالِكَ، وَأَنْ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ وَالْأَقَارِبِ مَنْ يُوَدُّ أَنْ يَكُونَ فِي عَيْشِهِ مِثْلَ عَيْشِكَ، وَقَدْ أَوْدَى الْأَذْفُونُشُ وَجِيشَهُ وَاسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ وَأَعْدَمَكَ مَنْ هُوَ أَقْوَى نَاصِرٌ عَلَيْهِ لَوْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ، وَيَعْدُ إِنْ فَاتَ الْأَمْرَ لَا يَفْتِكُ الْحَزْمَ فِيمَا هُوَ مُمْكِنُ الْيَوْمِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ تَجْمَعَ أَمْرَكَ عَلَى قَبْضِ ضَيْفِكَ هَذَا وَاعْتِقَالِهِ فِي قَصْرِكَ، وَتَجْزِمَ أَنَّكَ لَا تَطْلُقُهُ حَتَّى يَأْمَرَ كُلُّ مَنْ بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ عَسَاكِرِهِ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ بِالْجَزِيرَةِ طِفْلٌ، ثُمَّ تَتَّقَى أَنْتَ وَمُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى حِرَاسَةِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ سَفِينَةٍ تَجْرِي فِيهِ لَغْزَاةٌ لَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَسْتَحْلِفُهُ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ أَلَّا يَضْمُرَ فِي نَفْسِهِ عَوْدًا إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِلَّا بِاتِّفَاقٍ مِنْكُمْ، وَتَأْخُذَ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ رَهَائِنَ، فَإِنَّهُ يَعْطِيكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَشَاءُ، فَنَفْسُهُ أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ مَا تَطْلُبُهُ مِنْهُ، وَيَقْنَعُ بِبِلَادِهِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَتَكُونُ قَدْ اسْتَرَحَتْ مِنْهُ، وَيَرْتَفِعُ ذِكْرُكَ عِنْدَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعْتَمِدُ ذَلِكَ اسْتَصْبَوهُ وَجَعَلَ يَفْكَرُ فِي انْتِهَازِ الْفُرْصَةِ، وَكَانَ لِلْمُعْتَمِدِ نَدَمَاءٌ قَدْ انْهَمَكُوا مَعَهُ فِي اللَّذَاتِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِلرَّجُلِ النَّاصِحِ: مَا كَانَ الْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَادٍ مِمَّنْ يِعَامَلُ بِالْحَيْفِ وَيَغْدُرُ بِالضَّيْفِ، وَهُوَ إِمَامُ الْمَكْرُمَاتِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا الْغَدْرُ أَخْذُ الْحَقِّ مِنْ صَاحِبِهِ، لَا دَفْعُ الرَّجُلِ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ إِذَا ضَاقَ بِهِ وَاسْتَدْرَكَ الْأَمْرَ وَتَلَفَاهُ، فَقَالَ ذَلِكَ النَّدِيمُ: «لَضِيْمٌ مَعَ وِفَاءٍ خَيْرٌ مِنْ حَزْمٍ مَعَ جَفَاءٍ»، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ اسْتَدْرَكَ الْأَمْرَ وَتَلَفَاهُ، فَشَكَرَ لَهُ الْمُعْتَمِدُ وَوَصَلَهُ؛ وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِابْنِ تَاشَفِينَ فَأَصْبَحَ غَادِيًا، فَقَدَّمَ لَهُ الْمُعْتَمِدُ الْهَدَايَا السَّنِيَّةَ فَقَبِلَهَا وَرَحَلَ، فَعَبِرَ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءَ إِلَى سَبْتَةِ، وَلَمَّا عَبَرَ يَوْسُفَ وَأَقَامَ عَسَاكِرَهُ بِالْجَزِيرَةِ رِيثًا اسْتَرَاخَ وَتَتَبَعَ آثَارَ الْأَذْفُونُشِ وَتَوَغَّلَ فِي بِلَادِهِ. وَمَاتَ الْأَذْفُونُشُ

هَمًّا وَغَمًّا، وَخَلَفَ بِنْتًا تَحَصَّنَتْ بِطَلِيلَةَ وَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا، وَكَسَبَ عَسْكَرُ ابْنِ تَاشْفِينٍ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يَوْصَفُ، وَكَانَ ابْنُ تَاشْفِينٍ قَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِمْ سِيرَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ افْتَتَحَ مَعَاقِلَ وَثُغُورًا وَفَتَحَ أَمَاكِنَ وَرَتَّبَ بِهَا الْمُسْتَحْفَظِينَ وَأَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لِهَذِهِ الْجِيُوشِ أَنْ تَقِيمَ بِالشُّغُورِ عَلَى ضَنْكٍ مِنَ الْعَيْشِ، تَصَابِحُ الْعَدُوَّ وَتَمَاسِيهِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِمُحَارَبَةِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَالْأَنْفُسِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَيُلْجِئُهُمْ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُدُوَّةِ، وَلِيَبْدَأَ مِنْهُمْ بِمُجَاوِرِي الشُّغُورِ وَالْأَنْفُسِ لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَادٍ مَا لَمْ يَسْتَوْلِ عَلَى الْبِلَادِ. فَابْتَدَأَ سِيرَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بِمُلُوكِ بَنِي هُودٍ، وَتَسَلَّمَ حَصْنَ رُوطِهِ، ثُمَّ نَازَلَ بَنِي طَاهِرٍ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ فَسَلَّمُوا إِلَيْهِ وَلَحِقُوا بِالْعُدُوَّةِ، ثُمَّ نَازَلَ بَنِي صُمَادِحَ بِالْمَرِيَّةِ فَلَمَّا عَلِمَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صُمَادِحٍ أَنَّهُ مَغْلُوبٌ دَخَلَ قَصْرَهُ وَأَدْرَكَهُ أَسْفُ فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، وَتَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ نَازَلَ الْمُتَوَكِّلَ عُمَرَ بْنِ الْأَفْطُسِ، وَكَانَ رَجُلًا عَظِيمًا فَاضِلًا، فَخَامَرَهُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدَيْهِ فَقَتَلُوا صَبْرًا، وَحُمِلَ أَوْلَادُهُ الْأَصَاغِرُ إِلَى مَرَاكِشٍ؛ وَسَاثَرَ مُلُوكُ الْجَزِيرَةِ سَلَمُوا وَتَحَوَّلُوا إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَادٍ، فَإِنَّ سِيرَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ كَتَبَ إِلَى ابْنِ تَاشْفِينٍ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلُوكِ الْجَزِيرَةِ غَيْرُ ابْنِ عَبَادٍ فَارْسَمَ فِي أَمْرِهِ مَا تَرَاهُ، فَأَمَرَ بِقَصْدِهِ وَأَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ التَّحَوُّلُ إِلَى بَرِّ الْعُدُوَّةِ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ فَإِنْ فَعَلَ فِيهَا وَنَعِمْتَ، وَإِنْ أَبَى فَنَازَلَهُ، فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَبَى وَحَاصِرَهُ أَشْهُرًا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْبَلَدَ قَهْرًا وَحَمَلَهُ مَقِيدًا إِلَى أَغْمَاتٍ كَمَا تَقْدُمُ فِي تَرْجُمَتِهِ. وَلَمْ يَعْتَقِلْ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ غَيْرَهُ. وَقِيلَ فِي سَبَبِ تَغْيِيرِ ابْنِ تَاشْفِينٍ عَلَى مُلُوكِ الْجَزِيرَةِ وَابْنِ عَبَادٍ غَيْرِ هَذَا. وَاسْتَحُوذَ ابْنُ تَاشْفِينٍ عَلَى مَلِكِ الْجَزِيرَةِ، وَمَاتَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لثَلَاثَ خُلُودٍ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ مِائَةٍ، وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً، مَلَكَ مِنْهَا مِئَةً خَمْسِينَ سَنَةً، وَأَوْصَى بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدُهُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ حَرْفِ الْعَيْنِ وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ وَلَدِهِ إِسْحَاقَ بْنِ عَلِيٍّ، وَذَكَرَ وَلَدَهُ تَاشْفِينُ بْنُ عَلِيٍّ فِي مَكَانَيْهِمَا، وَانْتَهَى مَلِكُ بَنِي تَاشْفِينٍ.

وَكَانَ يَوْسُفُ مُعْتَدِّلَ الْقَامَةِ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، نَحِيفَ الْجِسْمِ خَفِيفَ الْعَارِضِينَ، دَقِيقَ الصَّوْتِ، حَسَنَ السَّيْرِ، خَيْرًا عَادِلًا، يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيَحْكُمُهُمْ فِي بِلَادِهِ وَيَصْدُرُ عَنْ آرَائِهِمْ، وَكَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ عَنِ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ. قِيلَ إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ اجْتَمَعُوا فَتَمَنَّى أَحَدُهُمْ أَلْفَ دِينَارٍ يَتَجَرَّ فِيهَا، وَتَمَنَّى الْآخَرُ عَمَلًا يَعْمَلُ فِيهِ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَمَنَّى الْآخَرُ زَوْجَتَهُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النِّسَاءِ وَلَهَا الْحُكْمُ فِي بِلَادِهِ فَلَبِغَهُ الْخَبِيرُ فَأَحْضَرَهُمْ وَأَعْطَى تَمَنِّيَ الْمَالِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَاسْتَعْمَلَ الْآخَرَ، وَقَالَ لِلَّذِي تَمَنَّى زَوْجَتَهُ: يَا جَاهِلُ مَا حَمَلَكَ عَلَى تَمَنِّيِ الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا، فَتَرَكْتَهُ فِي خِيَمَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَحْمِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَعَامًا وَاحِدًا ثُمَّ أَحْضَرْتَهُ وَقَالَتْ لَهُ: مَا أَكَلْتَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؟ قَالَ: طَعَامًا وَاحِدًا فَقَالَتْ لَهُ: كُلْ النِّسَاءَ شَيْءًا وَاحِدًا، وَأَمَرَتْ لَهُ بِمَالٍ وَكَسَوَتْهُ وَأَطْلَقَتْهُ.

وأصل المثلثين أنهم قومٌ من حمير بن سبأ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء، يسكنون الصحارى الجنوبية وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب، ويؤتاهم الشعر والوبر، فأول من جمعهم وحرّضهم على القتال عبدُ الله بن ياسين الفقيه، وقُتِل في حربٍ جرت مع برغواطية، وقام مقامه أبو بكر بن عمر الصنهاجي الصحراوي ومات في حرب السودان، ويوسف بن تاشفين هو الذي سَمَّى أصحابه المثلثين لأنهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف؛ وسبب ذلك على ما قيل أنّ حمير كانت تتلثم لشدة الحرِّ والبرد، يفعلُه الخواص منهم، فكثُر ذلك فيهم حتى فعله عوامهم؛ وقيل إنّ سبب ذلك هو أنّ قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي ويأخذون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية، ويقعدوا في البيوت في زي النساء، فإذا أتاهم العدو وظنوا أنهم النساء يخرجون عليهم، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوه، فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدو.

وقال عز الدين بن الأثير رحمه الله تعالى: سبب اللثام أنّ طائفةً من لمتونة خرجوا مغيرين على عدوهم، فخالفهم العدو إلى بيوتهم ولم يكن بها إلا المشائخ والصبيان والنساء، فلما تحقّق المشائخ أنهم العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيّقن اللثام حتى لا يُعرفن ويحملن السلاح ففعلن ذلك، وتقدّم الصبيان والمشائخ أمامهن، واستدار النساء بالبيوت، فلما أشرف العدو ورأى جمعاً عظيماً، فظنّه رجالاً وقالوا: هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهنّ قتال الموت، والرأي أن نسوق النعم ونمضي، فإن القوم اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم، فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ أقبل رجال الحي، فبقي العدو بينهم وبين النساء، فقتلوا من العدو وأكثروا، وكان من قبل النساء أكثر، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنةً يلزمونه ولا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً.

ومما قيل في اللثام: [من الكامل]

قَوْمٌ لَهُمْ دَرْكُ الْعَلَى فِي حَمِيرٍ وَإِنْ انْتَمَوْا صَنْهَاجَةً فَهُمْ هُمْ
لَمَّا حَوَّزُوا إِحْرَارَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّثَمُوا

٦٥ - «كمال الدين الأسنائي ابن الأستاذ الشافعي»^(١) يوسف بن جعفر بن حيدرة بن حسان الأسنائي، كمال الدين الشافعي. قرأ على الشيخ بهاء الدين القفطي وكان كريماً

(١) انظر ترجمته في «الطالع السعيد» (٧١٩).

جواداً، تولّى الحكم بأصفون من بلاد قُوص، والمنشأة من بلاد إخميم، وتوفي سنة اثنتين وتسعين رست مائة بمنشأة إخميم. وكان لشمس الدين بن السديد أخوان من أبيه فماتا وأتاهم بقتلهما، فهرب كمال الدين وكتب ورقة فيها: «ولمّا أحسّ المملوك الشُّرْبَةَ المستعملة من دم الأخوين، شرب لها حبّ الغاريقون، وقال إنا لله وإنا إليه راجعون».

وله رسائلٌ وشعرٌ منه قوله: [من الكامل].

لا تطلبنّ من السواقي ثروةً يوماً فما لفسادهنّ صلاح
فالشّدُّ حلٌّ والرسوم تراشُمُ والعُشُرُ عُشُرٌ والخراجُ جراح
ومنه يمدح موقعاً وأجاد: [من الكامل]

يا من إذا خطّ الكتابَ يمينُهُ أهدى إلينا الوشي من صنعاء
لم تجرِ كُفُك في البياض مُوقِعاً إلا تَجَلَّتْ عن يدٍ بيضاء

٦٦ - «ابن الصّيقِل» يوسف بن الحجاج الصّيقِل^(١)، يقال إنّه من ثقيف، وقيل هو مولاهم. ذكر محمد بن داود بن الجراح أنّه كان يلقب «لقوة». كان يصحب أبا نواس ويأخذ عنه ويروي له. وأبوه الحجاج بن يوسف محدث ثقة، روى عنه جماعة كثيرة. ذكره أبو الفرج [في] كتاب الأغاني: وكان يوسف بن الصيقل كاتب سرّ بالكوفة، أخذ من الرشيد مالاً كثيراً، وقال ابن الجراح: كان يوسف مجاهرّاً باللواط وله في ذلك أشعارٌ كثيرة، منها قوله: [من الخفيف]

لا تنيكنّ ما بقيت غلاماً مكابرةً
لا تُمرّنّ بأسَرتِهِ غيرَ دفعِ المؤامرة
إنّ هذا اللواط دينٌ بـبـراه الأسـاورة
وهم فيه منصفو حُشنِ المـعاشـره

وقوله: [من الرمل]

ضع كذا صدركَ لي يا سيّدي واتّخذْ عندي إلى الحشرِ يدا
إنّما ردُّفك سرجٌ مُذهَّبٌ كَشَفَ البُزَيون عنه فبدا
فأعزّنيه ولا تبخل به ليس يُبليّه ركوبي أبدا

(١) انظر ترجمته في «الأغاني» (٩٣/٢٠) و«تهذيب التهذيب» (٢٠٩/٢)، و«المرياني» (٥٠٨)، و«معجم

بل يُضَفِّيه ويحلُّو ولا أبداً فيه تراه أوصدا

ابن الحسن

٦٧ - «ابن السِّيرافي النحوي»^(١) يوسف بن الحسن بن عبد الله المرزبان أبو محمد بن أبي سعيد السِّيرافي النحوي. قرأ على أبيه وخَلَفَهُ بعد وفاته في حلقة وأقرأ الناس، وتمم كتاباً بدأ فيه أبوه، وشرح «أبيات غريب المصنف»، وأبيات «إصلاح المنطق»، وأبيات «كتاب سيبويه»، وروى عن أبيه. وروى عنه أبو الحسن عمر بن أبي عمر النُّوفاني، وعبد العزيز بن أبي طلحة الجرجاني. وكان من الورع والزهد والتَّقشُّف على طريقة عجيبة. وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاث مائة.

٦٨ - «التَّفَكُّري الشافعي»^(٢) يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو القاسم التَّفَكُّري - بالتاء ثالثة الحروف والفاء والكاف والراء - الزَّنْجاني. رحل وقرأ «معاجم الطبراني» على أبي نعيم الحافظ؛ وتوفي سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة. وكان شافعيًا، تفقه على الشيخ أبي إسحاق، وكان كثيرَ الذكر والعبادة.

٦٩ - «صاحب عُقلاء المجانين»^(٣) يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن، أبو يعقوب العطار البغدادي، جمع كتاباً فيه «عُقلاء المجانين» وحَدَّث به بطرسوس، روى فيه عن أبي بكر بن أبي الدنيا، والعباس بن محمد الدوري، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري، وهارون بن موسى العطار البغدادي، ويحيى بن محمد المكي، وعبد الرحمن بن عبيد البزاز، وإبراهيم ابن راشد الأدمي، وعمر بن شَبَّة النمري، وغيرهم. ورواه عنه أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حكيم المدني الإصبهاني، وتوفي...

٧٠ - «قاضي القضاة بدر الدين السَّنْجاري»^(٤) يوسف بن الحسن بن علي، قاضي القضاة بدر الدين أبو المحاسن السَّنْجاري الشافعي الزراري. كان صدرًا محتشمًا جواداً ممدحاً، تقدَّم في شبوبيته عند الأشراف وهو بسنجار، فلما ملك دمشق ولاه قضاء البقاع وبعلبك والزبداني وكتبوا في أسجالاته قاضي القضاة؛ وكان يسلك بالخيال والجمال

(١) انظر ترجمته في «الوفيات» (٣٥٠/٢)، و«الجواهر المضية» (٢٢٦/٢)، و«بغية الوعاة» (٤٢١)، و«مرآة الجنان» (٤٢٩/٢).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٥١/١١)، و«المتنظم» (٢١٥/١٦)، و«الكامل» (٤٢٤/٨).

(٣) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٤) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٣١٣/٥)، و«النجوم الزاهرة» (٢١٩/٧)، و«البداية والنهاية» (١٣/٢٤٦).

والممالك والتجمل ما لا يسلكه الوزراء، ثم إنّه عاد إلى سنجار، ولما مات الكامل وخرجت الخوارزمية عن طاعة ولده الصالح راح الصالح إلى سنجار، فطمع فيه صاحب الموصل ونازله بسنجار ولم يبق إلّا أن يشملها، وبدر الدين بها قاضٍ فأرسله الصالح تلك الليالي من السور، فنزل وذهب إلى الخوارزمية وخاطر بنفسه وركب الأهوال واستمالهم ومَنّاهم وساروا معه، ووافاهم المغيث ولد الصالح من حران وأقبلوا إلى سنجار، فرحل صاحب الموصل هارباً، فعظمت منزلته عنده، فلما ملك الصالح البلاد وفد إليه القاضي بدر الدين ففرح به وأكرمه. وكان شرف الدين بن عين الدولة قاضي الإقليم بكماله فأفرد عنه مصر والوجه القبلي وفوضه إلى بدر الدين، فلما مات ابن عين الدولة ولّاه قضاء القضاة والوجه البحري. وكان له ذكر جميل وسيرة حسنة معروفة في أخذ الرشا من قضاة الأطراف والشهود والمتحاكمين، وحصل له ولأتباعه تشبُّت في البلاد ومصادرات وتوفي سنة أربع وستين وست مائة.

وكتب إليه السَّراج الوراق يهنئه بشهر رجب: [من البسيط]

الشهرُ مثلكُ فردٌ غيرُ ثانيه	وأنتَ أجدرُ من يلقى تهانيه
وهو الأصمُّ ولكن قد أصاغ إلى	من ينظم الدُّرَّ مدحاً فيك من فيه
وما نُهنِّيك يا أذكى الورى شيما	بالدَّهر بل هو أولى من نهنيه
يا سيداً آدابُه مالا يُفَرِّقه	وحسنَ ذكرٍ مدى الأيام تحويه
يا ابن الأولى شيّدوا مجداً سما وعلا	فبالكواكبِ قد شُدَّت أواخيه
ما بثَّ أنظُم مدحي في محاسنكم	إلا وقد سبقت فكري قوافيه

٧١ - «ابن مُقَوِّز»^(١) يوسف بن أبي الحسن بن مفوز. أنشدني من لفظه العلامة أثير

الدين أبو حيان، ليوسف هذا في ملبح نظره فمنعته الشَّمْسُ أن ينظرَ إليه: [من الرمل]

وهلالٍ لاح في رَأْد الضُّحى	كلُّ حُسْنٍ من محيَّاه استمذ
حجبته الشمسُ لما أن رأت	كلَّ لحِظٍ في سنّاه قد ورَدَ
منعت مرآةً إمّا عن هوى	علقت منه وإمّا عن حَسَدُ

٧٢ - «الخارزنجي»^(٢) يوسف بن الحسن بن يوسف بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل

أبو القاسم الخارزنجي. ذكره عبد الغافر ووصفه فقال: الإمام البارِع جُمْلَةً، الأديبُ

(١) انظر ترجمته في «مسالك الأبصار».

(٢) انظر ترجمته في «إنباه الرواة» (٤/٦٥) و«معجم البلدان» (٢/٣٣٦).

الأصولي الشافعي من وجوه الأفاضل من أصحاب أبي عبد الله، أخذ الكلام وأصول الفقه عن أصحابه، واختلف إلى دروس إمام الحرمين وعلّق عنه الكثير، ثم خرج إلى مرو سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، وأقام بها مدةً، واختلف إلى الإمام أبي المظفر السمعاني، وأبي محمد عبد الله بن علي الصفار، وأبي الحسن البستي، ثم عاد إلى نيسابور وأمعن في الإفادة. وصنّف في غير نوع من النظم والنثر والخطب البليغة المرصعة، ومجالس الوعظ والتذكير. وولد بخارزنج من ناحية بُست، وله بها سلف صالح، سنة خمس وأربعين وأربع مائة، ودخل نيسابور، ولم يسمع في مبادئ أمره اشتغالاً بالعلم، ثم سمع أبا إسحاق الشيرازي، وأبا بكر بن خلف، وأبا سعيد القشيري وجماعة سواهم.

وله من قصيدة: [من الكامل]

لبسَ الزمانَ ملابسَ الإدلال وبكى الغمامُ بطرفه الهطال
فترى السماءَ تقنّعت بنصيفها مثل الغواني في خُدورِ حجال
وإذا العوارضُ أرزمت ثم أثبرت تذري الجمآن على الرُبى بسجال
وكانَ عينَ الغيمِ عينُ متيمٍ وكانَ وجهَ الأرضِ وجهُ هلال

ابن الحسين

٧٣ - «الرازي الصوفي»^(١) يوسف بن الحسين بن يعقوب الرازي، شيخ الصوفية. صاحب ذا النون المصري. قال: «متى رأيت المريدَ يشتغلُ بالرَّخص فاعلم أَنه لا يجيء منه شيء» وكتب إلى الجُنيد قال: «لا أذاقك الله طعمَ نفسك فإن دُفَّتْها لا تذوق بعدها خيراً». وتوفي سنة أربع وثلاث مائة.

٧٤ - «الحافظ ابن بكار الشافعي»^(٢) يوسف بن الحسين بن بدر بن الحسن بن المفرج ابن بكار، الحافظ المفيد الإمام المسند شرف الدين أبو المظفر، النابلسي الأصل الدمشقي الشافعي. ولد سنة ثلاث وست مائة وتوفي سنة إحدى وسبعين وست مائة. وسمع من ابن البُن وغيره، ورحل وعني بهذا الشأن، ونسخ بنفسه وبالأجرة وخطّه طريقة مشهورة حلوة، وخرّج لنفسه «الموافقات» في خمسة أجزاء، وحدّث بدمشق والإسكندرية والقاهرة، وروى عنه الدمياطي وابن الخباز وابن العطار وأبو الحسن الكندي. وكان ثقة حافظاً متقناً جيداً

(١) انظر ترجمته في «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/١٠٢)، و«شذرات الذهب» (٢/٢٤٥).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٥/٣٣٥)، و«النجوم الزاهرة» (٧/٢٧٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/١٤٦٢).

المذاكرة، جيّد النظم، حسن الديانة ذا عقل ووقار. ولي مشيخة دار الحديث النورية بدمشق.

ومن شعره: [من الطويل]

بلى في بلى في سورة ليس تُختم فمُشتبه من هجره ومحكم
يكرّر تلقائي دروس خلافه فقلبي به يشقى وطرفي ينعم
أناظره في الهجر كيف استباحه فيدرك معنى الحسن مني فأسلم
ولما تولى الخد والى عذاره دفعت إليه قبضتي أتظلم

٧٥ - «والد الحجاج»^(١) يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. تقدّم بقيّة النسب في ترجمة ولده الحجاج بن يوسف في حرف الحاء مكانه. له حديث واحد يرويه عن سعد بن أبي وقاص. توفي في حدود السبعين للهجرة.

٧٦ - «الشريف جمال الدين المشهدي»^(٢) يوسف بن حمّاد الشريف جمال الدين الحسيني المشهدي الإمامي، شيخ الشيعة ومفتيهم. توفي سنة سبع وعشرين وسبع مائة. حجّ مرّات وجاور، وله نظم؛ كان فيه تواضع. مات في المعترك. ومن نظمه^(٣).

٧٧ - «الرّحبي الطبيب رضي الدين»^(٤) يوسف بن حيدرة بن حسن، العلامة رضي الدين أبو الحجاج الرّحبي، شيخ الطب بالشام، له القدم والاشتهار عند الخاص والعام، ولم يزل مبعلاً عند الملوك. كان كبير النفس عالي الهمة حسن السيرة محباً للخير عديم الأذية، وكان أبوه من الرّحبة كحلاً، قدم مع أبيه إلى دمشق، واشتغل على مهذب الدين النقاش ولازمه فنوّه بذكره، وخدم السلطان صلاح الدين، وجعل له في الشّهر ثلاثين ديناراً على أن يكون ملازم القلعة والبيمارستان ولم تزل عليه إلى أن نقصه المعظم النّصف، ولم يزل يتردد إلى البيمارستان إلى أن مات. واشتغل عليه جماعة.

(١) انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» (١١/٤١٠)، و«تهذيب الكمال» (٣٢/٤١٧)، و«تاريخ الطبري» (٥/٦١٢)، و«الجرح والتعديل» (٩/٢٢٠).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٥/٢٢٨)، و«أعيان العصر» (٣/٣٤٥).

(٣) هكذا في الأصل يوجد نقص.

(٤) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٢/٣٧١) ترجمة ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» والذهبي في «تاريخ الإسلام» (الورقة: ١١٧ من مجلد أيا صوفيا) و«العبر» (٥/١٢٧) وهو «الرحبي» بخط الذهبي، لكن جاء في «الشذرات» (٥/١٤٧)، وفيها الرضي الرّحبي - بتشديد الخاء المعجمة نسبة إلى الرخ ناحية نيسابور - أبو الحجاج يوسف بن حيدرة شيخ الطب بالشام.

وكان لا يقرئ أحداً من الذمّة، ولم يقرئ في عمره منهم سوى اثنين: عمران الإسرائيلي وإبراهيم السّامري بعد أن ثقلاً عليه وتشقّعا، وكلاهما نبغ وتميّز. وكان لا يطلع في سلّم ويسأل عن ذلك أولاً إذا طُلب إلى مريض. وكان ابن سُكر يلزم أكل الدجاج، فشحب لونه، فقال له الرضي: ألزم لحم الضأن، ألا ترى لحم هذا ولحم هذا؟.

وخلف ولدين شرف الدين عليا، وجمال الدين عثمان، وكلاهما طبيب فاضل. وتوفي رضي الدين سنة إحدى وثلاثين وست مائة.

٧٨ - «أبو الحجاج الأدمي الدمشقي»^(١) يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الأدمي أبو الحجاج الدمشقي، الحافظ شمس الدين طلب الحديث بنفسه وسمع الكثير من شيوخ بلده، وقدم بغداد سنة سبع وثمانين وخمس مائة، وسمع بها من أصحاب أبي القاسم بن [بيان]، وأبي علي بن نبهان، وأبي سعد بن الطيوري، وأبي طالب بن يوسف، وأبي علي ابن المهدي، وأبوي الغنائم بن النرسي وابن المهدي، وأكثر عن أصحاب أبي القاسم بن الحصين، وأبي العزّ بن كادش، وأبي غالب بن البّاء، وأبي بكر بن عبد الباقي. وسافر إلى أصبهان وسمع بها من أصحاب أبي علي الحداد، وغانم البرجي، وأبي منصور الصيرفي، وأبي طاهر الدايشياني، ومن جماعة دونهم وعاد فسمع بالموصل لا من واحد، ودخل مصر وسمع بها من الأبو صيري، وإسماعيل بن صالح وغيرهما؛ وكتب بخطه كثيراً ممّا سمع، وكان يكتب خطأ حسناً ويعرف هذا الشأن معرفة جيدة. وقدم بغداد بعد العشرين وست مائة حاجاً وحَدَّث بها، ثمّ إنّه عاد إلى حلب واستوطنها وحَدَّث بها بالكثير، على استقامة وصدقٍ وحُسن طريقة ومعرفة. قال ابن النجار: كتبت عنه بحلب في رحلتي الثانية، ونعمَ الشيخ هو؛ سألتُه عن مولده فقال: دَكَرَ لي أبي أنّي ولدت في سنة خمس وخمسين وخمس مائة بدمشق. قال الشيخ شمس الدين: وجلب إلى الشام خيراً كثيراً، وروى عنه الكبار، وتوفي سنة ثمان وأربعين وست مائة، وكان مُشْتَغلاً بصنّعته إلى أن مات؛ وأخوه يونس بن خليل الأدمي، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٣/١٥١)، «صلة التكملة لوفيات النقلة» للحسيني الورقة: ٦٢، «تاريخ الإسلام» للذهبي (أيا صوفيا) (٣٠١) ج ٢٠ الورقة: (٩١ - ٩٢)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/١٤١٠)، «الترجمة» (١١٣٢)، «العبر» للذهبي (٥/٢٠١)، «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» لأحمد بن أليك الديماطي الورقة: (٨٢/أ)، «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/٢٤٤ - ٢٤٥) «الترجمة» (٣٥٣)، «النجوم الزاهرة» (٧/٢٢)، «طبقات الحفاظ» للسيوطي (٤٩٥ - ٤٩٦) «الترجمة» (١١٠٠)، «شذرات الذهب» (٥/٢٤٣ - ٢٤٤)، «التاج المكلل» للقلقوجي (٢٤٠ - ٢٤١).

٧٩ - «ابن الدرّاء»^(١) يوسف بن دُرّة - واحد الدرّ - الشاعر المعروف بابن الدرّاء - بفتح الدال المهملة والراء المشددة وبعدها ألف - كان مَوْصِلياً شابّاً ذكياً، لطيفَ الطبع، كيّساً، له أشعار مليحةٌ مع قلة معرفته بالأدب. هلك في الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زُغب.

ومن شعره: [من الوافر]

عذرتك لستَ للمعروف أهلاً
أتحسبني أقدتُ إليك نفسي
ظننت بك الجميل فخاب ظني

ولؤمك في قصورك عنه ظلمُ
ولي بك أو بما تأتيه علمُ
وقال الله: بعض الظنّ إثمُ

ومنه: [من الخفيف]

تَه علينا وتَه على الشمس حُسنا
أنت بدرٌ يسري ونحن أسارا
لا وأجفانك المِراض اللواتي
لو رأى وجهك الخليل بعيني

أنت أولى بالوصف منها وأحرى
ك وأنى يكون للبدر أشرى
سحرها لانعجامه ليس يقرى
قال: هذا ربّي، ولم يتبرا

ومنه: [من الوافر]

سَنَحَتْ نفسي بتركٍ بعد شُحْ
وَصُنْتُ بِصَرْفٍ وَجْهي عنك نفساً

وضاق بحبك الصدرُ الفسيحُ
يؤثر غي جيلتها القبيحُ

ومنه: [مخلع البسيط]

مدورُ الكعب فاتّخذهُ
لو رَمَقْتَ عينهُ الثريا

لتلّ غرسٍ وثلّ عَرشٍ
أخرجها في بنات نعش

٨٠ - «الفندلاوي»^(٢) يوسف بن دوناس بن عيسى أبو الحجاج الفندلاوي - بالفاء

والنون - المغربي الفقيه المالكي. قدم حاجاً وسكن بانياس مدة وكان بها خطيباً وانتقل إلى دمشق ودرس بها الفقه وحَدَّثَ بالموطأ. وكان حسنَ المحاضرة حُلُوَ المفاكهة متعصباً لمذهب الأشعريّ، كريمَ النفس وله مكاشفات. وقف في وجه الفرنج، فقتل على الماء قريبَ الربوة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

(١) انظر ترجمته في «وفيات الأعيان» (٢٣٠/٧) و«خريدة القصر قسم شعراء العراق» (٣٢٦/٢).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٠٩/٢٠).

٨١ - «القاضي بهاء الدين بن شدّاد»^(١) يوسف بن رافع بن تميم بن عُتبة بن محمد بن عَتّاب الأسدي، القاضي بهاء الدين بن شدّاد الشافعي قاضي حلب. توفي أبوه وهو صغير السن فنشأ عند أخواله بني شدّاد، وكان شدّاد جده لأمه؛ وكان القاضي بهاء الدين أولاً يكنى أبا العزّ ثم غيّر كنيته وجعلها أبا المحاسن. وولد بالموصل في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمس مائة، وتوفي، رحمه الله، في صفر سنة اثنتين وثلاثين وست مائة، ودفن بحلب في ثُربة عمّرها. وحفظ القرآن بالموصل وقدم عليهم الشيخ صائِن الدين يحيى بن سعدون القرطبي فلازمه وقرأ عليه بالسبع وأنقن القراءات، قرأ عليه إحدى عشرة سنة، والحديث والقرآن والتفسير، من ذلك: البخاري، ومسلم من عدة طرق، وكتب الأدب، و«شرح الغريب» لأبي عبيد، وقرأ على الشيخ أبي البركات عبد الله بن الحسين بن الشيزري بعض «تفسير الثعلبي»، وأجاز له جميع ما يرويه؛ وقرأ على الشيخ أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي خطيب الموصل. وكان مشهوراً بالرواية يُقصد من الآفاق كثيراً من [أجل] مروياته، وأجاز له، وقرأ على القاضي فخر الدين أبي الرضا سعيد ابن عبد الله بن القاسم الشهرزوري «مسند الشافعي»، و«مسند أبي يعلى الموصلي»، و«مسند أبي عوانة»، و«سنن أبي داود»، و«جامع الترمذي»، وأجاز له وقرأ على الحافظ مجد الدين أبي محمد عبد الله بن علي الأشيري الصنهاجي، وأجاز له جميع ما يرويه، وقرأ على الحافظ سراج الدين أبي بكر محمد بن علي الجبائي «صحيح مسلم»، و«الوسيط» للواحدى وأجاز له، وسمع ببغداد من شُهدة الكاتبة، وأبي المغيث، والشيخ رضي الدين القزويني مدرّس النظامية، وجماعة غيرهم؛ وقرأ الخلاف على الضياء بن أبي الحازم صاحب محمد ابن يحيى الشهيد؛ الخواري، والعماد الميانجي؛ ونزل بالمدرسة النظامية. بعد تأهله وترتّب فيها معيداً نحو أربع سنين، والمدرّس يومَ ذلك أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي، ورفيقه في الإعادة السديد السلمي. ثم إنّه عاد إلى الموصل ورُتّب مدرّساً في مدرسة القاضي كمال الدين أبي الفضل محمد بن الشهرزوري، ولازم الاشتغال وانتفع به الناس. وحجّ وزار القدس ودخل دمشق، والسلطان صلاح الدين على كوكب يحاصرها، فسمع به فاستحضره، فقابله بالإكرام التام وسمع عليه «أذكار البخاري»، فلما خرج من عنده اتبعه العماد الكاتب وقال له: السلطان يقول لك إذا عدت من الزيارة عرفنا بعودك، فلما عاد عرفه وجمع له عند ذلك كتاباً يشتمل على فوائد الجهاد وفوائده وما أعدّ الله للمجاهدين،

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (١٥٨/٥)، و«البداية والنهاية» (١٢٣/١٣)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/

ويحتوي على ثلاثين كُرَّاساً، فاجتمع به على حصن الأكراد. ثم إنَّ السلطانَ صلاح الدين ولاء قضاء العسكر والحُكم في القدس سنة أربع وثمانين وخمسمائة. وحضر إليه مرَّةً صُحْبَةً الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل، والقاضي محيي الدين بن الشَّهرزوري وهم بمصر، فاتفق وفاةُ بهاء الدين الدمشقي مدرِّس منازل العزِّ بمصر وخطيبها، فعرض ذلك عليه السلطان فلم يفعل، وحضر عنده أيضاً وهو على حرَّان وكان مريضاً. ثم إنَّ القاضي كان عند السلطان لما مرض بقلعة دمشق ومات رحمه الله تعالى، وتوجَّه إلى حلب ليجمع كلمةَ الإخوة أولاد صلاح الدين، وتحليفَ بعضهم لبعض. ثمَّ جهَّزه الظاهرُ غازي من حلب إلى مصر لتحليف أخيه العزيز عثمان، وعرض عليه الحكم بحلب فلم يوافق، ثم إنَّه لما عاد من مصر اتفق موْتُ الحاكم بحلب فعرض عليه الحكم فأجاب، وولاه أوقافها. وقيل بل عزل قاضي حلب زين الدين أبا البيان بن البانياسي نائب محيي الدين بن الزكي، ثم إنَّ القاضي بهاء الدين كان عند الظاهر في رتبة الوزير والمشير، وكانت حلب إذ ذاك قليلة المدارس والفقهاء، فعني بها القاضي بهاء الدين وجمع الفقهاء وعمَّرت المدارس، وكان الظاهر قد قرَّر له إقطاعاً جيداً يحصلُ منه جملةٌ كبيرةٌ، وكان القاضي قليلَ الخرج لم يولد له ولا له أقارب، فتوفَّر له شيءٌ كثير فعَمَّر مدرسةً بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي للشافعي سنة إحدى وست مائة، وعمَّر في جوارها دارَ حديثٍ، وجعل بين المكانين ثُرْبَةً برسم دفنه فيها، ولها بابان أحدهما إلى المدرسة والآخر إلى دار الحديث، وشبَّكان إليهما متقابلان، وكان يدرِّس بنفسه، ولما طعن في السن وضعف رتَّب أربعةً فقهاء فضلاء برسم الإعادة والجماعة يشتغلون عليه. وكان القاضي بيده حلُّ الأمور وعقدها لم يكن لأحد معه كلام في الدولة، ولَمَّا ولي المُلكُ المَلِكُ العزيزي محمد بن الظاهر غازي، كان تحت حجر الطواشي أبي سعيد طغرل شهاب الدين وهو أتابكه ومتولي تدبيره بإشارة القاضي بهاء الدين. وكان للفقهاء في أيَّامه حُرمةٌ كبيرة ورعاية تامَّة خصوصاً فقهاء مدرسته، كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه. وكان القاضي قد بقي كأنَّه الفَرُخُ، وكانت تعتربه نزلاتٌ كثيرة في دماغه فلا يزال عليه الفَرَجِيَّةُ البُرْطاسي والثياب الكثيرة وتحت الطراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخينة.

قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان: كنَّا نجد عنده الحرَّ والكرب وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف، وكان لا يخرج لصلاة الجمعة إلَّا في شدة القيظ، وكان إذا قام للصلاة بعد الجهد كاد يسقط.

وكان كثيراً ما ينشد: [من البسيط]

إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْ لَيْلَى وَجَارَتِهَا أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَى حَالٍ بِنَادِيهَا

وكثيراً ما يتمثل بقول صرّدر: [من الكامل المرقّل]

وعهودهم بالرّمّل قد نُقِضَتْ وكذاك ما يُبْنَى عَلَى الرّمّل

وكان القاضي بهاء الدين قد سلك طريقَ البغادة في ترتيبهم وأوضاعهم، حتى إنّه كان يلبس ملبوسهم وزيّهم، وكان الرؤساء الذين يترددون إلى بابه ينزلون عن دوابهم على قدر أوضاعهم، كلّ منهم له مكان لا يتعدّاه.

وكان قبل موته قد تجهّز إلى مصر لإحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل لأجل الملك العزيز صاحب حلب، فسافر في أوّل سنة تسع وعشرين وأواخر سنة ثمان وعشرين وست مائة، وعاد وجاء في شهر رمضان سنة تسع وعشرين، ولما وصل كان قد استقلّ الملكُ العزيزُ بنفسه ورفعوا عنه الحجر، ونزل الأتابك طغرل من القلعة إلى داره تحت القلعة، واستولى على الملك العزيز شبابٌ كانوا يعاشرونه ويجالسونه، فاشتغل العزيزُ بهم ولم يرَ القاضي منه وجهاً يرتضيه، فلأزم داره إلى أن توفي وهو باق على الحكم والإقطاع؛ غايةً ما في الباب أنّه لم يكن له حُكْمٌ في الدولة ولا كانوا يراجعونه، فصارَ يفتَحُ بابَه لإسماع الحديث كلّ يوم بين الصلاتين، وخَرِفَ آخرَ الحال بحيث إنّه إذا جاءه إنسانٌ لا يعرفه، وإذا قام من عنده يسألُ عنه، واستمرَّ على ذلك مُدَيِّدَةً، ومرض أياماً قلائل، ومات رحمه الله تعالى.

وصنّف كتاب «ملجأ الحُكَّام عند التباس الأحكام» في مجلدين، وكتاب «الموجز الباهر» في الفقه، وكتاب «سيرة صلاح الدين».

وجعل داره خانقاه للصوفية.

ابن سعيد

٨٢ - «القطّان»^(١) يوسف بن سعيد بن مُسافر بن جميل بن أبي طاهر بن أبي عبد الله القطّان أبو محمد البغدادي، كان من المشهورين بطلب الحديث وقراءة القرآن، والخير والصلاح من صَغَرِهِ إلى أن توفي سنة إحدى وست مائة. شذا طرفاً من الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ وقرأ القراءات بالروايات على المشايخ وسمع الكثير وقرأ بنفسه على المشايخ، وكتب بخطّه الكثير، ولم يزل يسمع ويكتب إلى أن مات رحمه الله تعالى. وحجَّ

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٦/٥).

مراتٍ وجاور بمكة والمدينة يأكل من كسب يده؛ وختم عليه القرآن جماعةً وكان صوته طيباً، وسمع ابن البطي، وشُهد الكاتبة، وعبد الله بن هبة الله النرسي وغيرهم.

قال ابن النجار: وجرت له حركةٌ لا تليقُ بأهل الصّدق والعقل والدين، وكذّبه أصحاب الحديث، ثم إنّه تابَ وأشهدهم عليه بالتوبة. قال: وكان شيخنا أبو محمد بن الأخضر يعطيه أصوله فيكتب عليها السّماع منه في حلقة بالجامع، ويقرأ عليه كثيراً مع كونه أنكر عليه ما فعله؛ وسمعته كثيراً يُسَفِّه رأيه في ذلك، ولعمري لم تبدُ منه حركةٌ بعدها ولا رأينا منه إلاّ الخير.

٨٣ - «أبو يعقوب المصّيصي الحافظ»^(١) يوسف بن سعيد بن مسلم الحافظ، أبو يعقوب المصّيصي. روى عنه النّسائي وقال: ثقة حافظ. وتوفي في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين ومائتين.

٨٤ - «المهذّب السّامري وزير الأمجد»^(٢) يوسف بن أبي سعيد المهذّب السّامري الطّبيب. قرأ على المهذّب النقّاش، وبرع في الطب، وخدم الملك الأمجد صاحب بعلبك وحظي لديه ونال الأموال؛ ثم وَزَرَ له واستحوذ عليه حتى قال فيه فُتيان الشّاعُوري: [من المنسرح]

أصبحَ في السّامريّ معتقداً معتقد السّامريّ في العجل
ولم يزل أمره مستقيماً حتى كثرت الشكاوى عليه من أقاربه في بعلبك، فإنهم قصدوه من دمشق واستخدمهم في الجهات، فنكبه الأمجد ونكبهم واستصفى أموالهم وسجنه ثم أطلقه فجاء إلى دمشق ومات بها. وهو عمّ أمين الدولة؛ وكان هلاكه في سنة أربع وعشرين وست مائة.

ابن سليمان

٨٥ - «الرّياحي»^(٣) يوسف بن سليمان بن مروان أبو عمر الأنصاري الأندلسي المعروف بالرّياحي. كان فقيهاً إماماً ورعاً زاهداً نحوياً عروضياً شاعراً نساباً، يسردُ الصيام ويُديم القيام؛ له مصنّف في الرّدّ على القبري؛ توفي سنة ثمان وأربعين وأربع مائة. ومن شعره.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٢/٦٢٢)، وفي «تهذيب التهذيب» (١١/٤١٤)، و«شذرات الذهب» (١٦٢/٢).

(٢) انظر ترجمته في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٧٢١).

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٤١-٤٥٠).

٨٦ - «ابن الطُّنْبِي»^(١) يوسف بن سليمان بن عبد الله بن وهب بن حبيب بن مطر المري المعروف بابن الطُّنْبِي، هو أبو عمر. كان رجلاً صالحاً ورعاً، صحب محمد بن أبي خالد وروى عنه، وكان ربّما شاوَره الحكام مع نظرائه توفي سنة تسع وعشرين وثلاث مائة.

٨٧ - «الأعلم الشَّنْتَمَرِي»^(٢) يوسف بن سليمان بن عيسى أبو الحجاج الأندلسي الشنتمري - بالشين المعجمة والنون وبعدها تاء ثالثة الحروف وميم بعدها راء - الأعلم النحوي. كان واسعَ الحفظ جيّد الضَّبْط، كثيرَ العناية بهذا الشأن، كانت الرحلةُ إليه في وقته. أخذ عن أبي القاسم إبراهيم الإفليلي وأبي سهل الحرّاني، ومسلم بن أحمد الأديب، وأخذ عنه أبو علي الغساني وطائفة كثيرة. وكُفَّ بصره في آخر عمره، وكان مشقوق الشَّفة الغُليا شقاً كبيراً. توفي رحمه الله تعالى بإشبيلية سنة ست وسبعين وأربع مائة، وكانت ولادته سنة عشر وأربع مائة. وشرح «الجمال في النحو» لأبي القاسم الزجاجي، وشرح «أبيات الجمل» في كتاب مفرد، وساعد شيخه الإفليلي على شرح «ديوان أبي الطيّب»، وقيل إنه شرح «الحماسة» شرحاً مطولاً، ورَتَّب الحماسة كلَّ بابٍ منها على حروف المعجم.

٨٨ - «جمال الدين الصوفي»^(٣) يوسف بن سليمان بن أبي الحسن بن إبراهيم الفقيه الأديب الشاعر الخطيب الصوفي الشافعي جمال الدين. سأَلته عن مولده فقال لي: سنة ثلاث وتسعين وست مائة بنابلس. نشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين اليميني، والنحو على الشيخ نجم الدين القحفازي وغيره، وقرأ الفقه على؛ وحجَّ سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة، ثم حجَّ في سنة سبع وأربعين وسبع مائة عُقِبَ موتَ ولده سليمان، فإِنَّه حَصَلَ له وجدٌ عظيم، وألَم كثير على فَقْدِهِ فما رأى لنفسه دواء غير الحج.

وهو شاعرٌ مجيد في المقاطيع، يجيد نظمها ومعناها، وله بديهة مطاوعة وارتجال متسرّع، لذيدُ المفاكهة، جميلُ الودّة، حسنُ الملقى، وهو الآن خطيب البدرية التي في مقرى، كان القاضي شهاب الدين بن فضل الله قد جدّد رسومَ هذا المكان وعمره في أيام الأمير علاء الدين الطُّنْبُغا، وقرّر به خطبةً وجعله خطيبه، وأوّل يوم خطب فيه كان يوماً مشهوداً، اجتمع له القضاة والعلماء ووجوه الناس والأعيان، وعمل القاضي شهاب الدين في ذلك التّهار طعاماً كثيراً للناس، وخلع فيه الخلع السنيّة، وخطب الشيخ جمال الدين

(١) انظر ترجمته في «ترتيب المدارك» (١٥٧/٦).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٥٥/١٨)، و«إنباء الرواة» (٥٩/٤)، و«شذرات الذهب» (٤٠٣/٣)، و«تاريخ الإسلام» (٤٧١ - ٤٨٠).

(٣) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢٢٩/٥).

المذكور خطبةً جيّدةً فصيحَةً الألفاظ، بديعة المعاني، وهو الآن يخطب من إنشائه، ولم يزل إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمسين بالطاعون، انقطع له يومين لا غير.

أنشدني من لفظه لنفسه في فرس أدهم: [من البسيط]

وأذهم اللون فات البرق وانتظره فغارتِ الریح حتى غيّبت أثره
فواضِعٌ رِجلَه حيث انتهت يَدُه وواضع يده أُنَى رمى بَصَرَه
سهم تراه يحاكي السهم منطلقاً وما له غرض مُستَوْقِفٌ خبره
يُعَفِّرُ الوحش في البیداء فارسُه وينثنى وادعاً لم يَسْتَثِرَ عَبَرَه
إذا تَوَقَّل قطبُ الدّین صهوَتَه أبصرت ليلاً بهيماً حاملاً قَمَرَه

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه: [من الخفيف]

قد مَضَتْ ليلَةُ الوصال بحالٍ قَصَّرَتْ عن محصّل الأزمانِ
أخبرتنا أنَّ الزمانَ جميعاً قد تقضى في ليلة الهُجرانِ

وأنشدني له أيضاً: [من الطويل]

يعيبون من أهوى بكسرة جفنيه وعندي بهذا العيبِ قَدْ تَمَّ حُسْنُه
فقلتُ وما قصدي سوى سيفٍ لحظه إذا دام فتكُ السَّيفِ يُكْسِرُ جَفْنُه

وأنشدني أيضاً ما قاله في دولاب في بستان الصاحب شمس الدين: [من الوافر]

ودولابٍ يحنُّ بجسٍّ عودٍ على وَتَرٍ يُسَّاسُ بغيرِ جَسٍّ
فلَمَّا أنْ بَدَتْ منه نجومٌ حكى قَلْكَأ يدورُ بسعدِ شمسٍ

وأنشدني لنفسه في مليح ينظر في مرآة: [من الكامل]

سقياً لمرآة الحبيبِ فلأنها أُمِسَتْ لطلعتِهِ البهيّةِ مطلقاً
واستقبلت قَمَرَ السَّماءِ بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معا

وأنشدني من لفظه لنفسه، وبدر الدين العزي يدعي ذلك: [من الطويل]

ونوَارَ خَشْخَاشٍ بكرنا نزوره وقد دهش الرائي بحسن صفوفه
تغنّى به الشحرورُ من فرط شجوه فنَقَطَ بالياقوت ملء دفوفه

وأنشدني لنفسه أيضاً وبدر الدين الغزي يدعيهما: [من الطويل]

كَأَنَّ السحابَ الجَوْنَ لما تجمّعت وقد فرقت عنا الهموم بجمعها

نياق، ووجه الأرض قعب، وثلجها
 حليب ومَرَّ الرِّيح حالبُ ضَرَعِهَا
 وكنت قد سمعت له وأنا بصفد في حدود العشرين والسبع مائة: [من السريع]
 كأنَّ ضوءَ البدرِ لَمَّا بدا
 ونورُهُ بينَ غُصُونِ الغُصُونِ
 وجهه حبيبٍ زارَ عُشَّاقَه
 فاعترضت من دونه الكاشحون

نظم زين الدين عمر بن داود الصفدي: [من السريع]
 نظرتُ في الشَّهْبِ وقد أَخَذَقْتُ
 بالدرِّ منها في الدِّياجِي عِيونُ
 والروضُ يستجلي سنا نوره
 فتحسد الأرضُ عليه الغُصُونُ
 وكلَّما صانتَه أوراقُها
 نازعها الرِّيحُ فلاحَ المِصُونُ
 فقلتُ حتَّى البدرُ لم يُخلِ
 ريبُ الليالي في السما من عيون

فأعجبني نظم جمال الدين المذكور فنظمت أنا: [من السريع]
 كأنما الأغصانُ لَمَّا انشَنَّتْ
 أمامَ بدرِ التَّمِّ في غِيهِبِهِ
 بنتُ مليكٍ خلفَ شَبَاكِهَا
 تفرَّجتُ منه على مَوَكِبِهِ
 ونظمت أيضاً: [من الكامل]

وكانما الأغصانُ تشيها الصِّبا
 وكأنما الأغصانُ تشيها الصِّبا
 حسناء قد عامت وأزخت شعرها
 ونظمت أيضاً: [من السريع]

كأنما الأغصانُ في دوحها
 ترسُّ من التُّبرِ غدا لامعاً
 يلوخُ لي منها سنا البدرِ
 يقيسُه أسودُ بالشُّبرِ

وكتبت إلى جمال الدين ملغزاً في مكوك الحائك: [من الوافر]
 أيا من فاق في الآداب حتى
 أقرَّ بفضله الجُمُّ الغفيرُ
 وأخرَرَ في النُّهى قصباتِ سبقي
 فدون محلَّه الفلكُ الأثيرُ
 وأظلع في سماءِ النَّظْمِ زهراً
 يلوخُ فَمَنْ زهيرٌ أو جريزُ
 قطعتُ أولي النُّهى والفضل بحثاً
 فما لك في مناظرة نظيرُ
 إذا أغربت في الإعراب وجهاً
 فكم ثلجت بما تُبدي صدورُ
 إن قيل المعمى والمورى
 فذهنك ناقدٌ فيه بصيرُ
 وما أنا قد دعوتك للتحاجي
 لأنك في الحجى طَبٌّ خبيرُ

فما ساع يُرى في غير أرضٍ
تراه مردّداً ما بين طردٍ
ويُلطم كلّما وافى مداه
وتُنزع كلّ آونةٍ حشاه
ويرشّف بعد ذلك منه ثغراً
إذا ما سار أثر في خطاه
يجرّ إذا سعى ذنباً طويلاً
ويُسمع منه عند الجري صوتٌ
قليلُ المكثِ كم قذبات تُطوى
ويفتersh الحريرَ ويرتديه
وتظهر في جوانبه نجومٌ
فأوضح ما ذكرت فليس خافٍ
ودُم في نعمةٍ وسعودٍ جدّ

فكتب الجواب إليّ في أسرع وقت يقول: [من الوافر]

أوجّهك لآخ أم قمرٍ منيرٍ
طلعت طلوع شمس الصحو صباحاً
ويا لله روضاً ضمن طرس
رمىك به إليّ فقلتُ هذا
أراني زمرة الوضاح حسناً
وأني مُلحَقٌ بأقل صنّفٍ
فمذ صَحفته فكري ملول
هو المأسور بالمأسور لكن
نشيط أَيْدٍ ويقاد طوعاً
يُراع لأن مهجته يراع
يحور إلى يمين من شمال
غداً يسعى بأربعةٍ سراعٍ

وذكرك فاح أم نَفَح العبيرِ
على فرس حكى فلكاً يسيرُ
زهيرٌ في جوانبه جريزُ
شعاعُ الشمس مأخذه عسير
ينبهني على أنني حقير
إذا ما حقق الجم الغفير
ومذ نشرته باعي قصير
له في أسره مرج كثير
بخيط متنّه وإه طريزُ
له في الجوف من خوف صفير
وما يعبى بذا لكن يحور
وليس لمشيّه بهم نظير

يخالف بين رجليه فيجري
له نولٌ يسير لكل حي
إذا أسدى إليه الخير مُشد
كذلك صفاتك الحسنى ولكن
فغفراً ثم سترأ ثم قصراً
ولما تولى خطابة البدرية كتبت له توقيعاً نسخه:

رسم بالأمر العالي لا زال يكسو المنابر جمالاً ويكسب أقمارَ الوجوه من الخطباء
كمالاً، أن يرتب المجلس السامي جمالَ الدين في كذا، ثقةً ببلاغته التي ترفُّ على مياها
رياحين القلوب، وفصاحته التي يكاد لفظها لمن يذوق يذوب، وبراعته التي إذا قال «أيها
الناس» فقد غزا الأسماع بجيش [غير] مغلوب، وعظاته التي إذا فاه بها بكى الناسُ ليوسف
بأجفان يعقوب، وعبارته التي نسج منها ابن المُثِير على خير أسلوب، ومقاصده التي قطف
ابن نباتة زهرة من روضها المحبوب، لآته في هذا العصر بحمد الله أفضلُ من عَفٍّ ومن بر،
وأفصح خطيب، لو كُلف مشتاقٌ فوق ما في وسعه لسعى إليه المنبر؛ فليباشر ذلك مباشرةً
يعقد على فخرها الإجماع، ويشتف بذرها الأسماع، ويثق من إحسان هذه الدولة ببلوغ مناه،
وإزالة عناه، وإزاحة ما يحجبُ غناه، فطالما خلَّت وظيفة [كان] يظنُّها له ملاذاً، وشفر
منصب التسقي من وبله رذ إذاً، ولاح رزقُ قلب وجهه في سمائه؛ وهذه الولاية تقول
﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ [يوسف: ٢٩/١٢] إلى أن لمع له شهاب تألق، وأغدق وابلُ
جوده الذي فاض وترقرق، فراقه خطيباً، وهز بلطفه المنبر غصناً رطيباً، وضوع أرجاه
بأرجه، حتى قيل إنه ضمَّ خطيباً، وضمَّ خطيباً؛ فليُجرِ بعضاته الزاخرة سحب المدامع،
ويوقظ البصائر بإرشاده من كلِّ ذي طرفٍ هاجع، ويُمِلُّ عطفَ مَنْ يسمعه فإنه على غُصن
منبره بَلِيلٌ حُلَّتْه بلبُّ ساجع، وليستدرج القلوب الطائرة إلى لَفْظِ حَبِّ التوبة، ويستخرج خبايا
الندم على ما فات، فكم للنفوس من أوبة بعد عظيم الحوبة، ويغسل درنَ الذنوب بذكر
الممات، فكم لصخر القساوة به من لين وذوبته؛ وإذا وعظ فلا يعظ إلا نفسه التي يمحضها
النصيحة، وإذا ذكَّر فليذكِّر في ذلك الجمع انفراده إذا نزل ضريحه، فإنَّ ذلك أوقع في نفس
السامع، وأجلبُ لسحِّ الجفن الهامي بالدمع الهامع؛ وليأخذ لذلك طيبه العاطر وزينته،
ويرقى درج منبره بوقاره الذي لا تززع الرياح سكينته وليبلغ السامعين بإفهام واقتصاد
ويذكرهم بتقوى الله تعالى والموت والمعاد؛ وليأت بأدب الخطيب على ما يعلمه، ويحذُر
من تغيير اللفظ الذي لا يكاد أن يُعربَه فيعجمه، وتقوى الله تعالى جُنَّةً واقية، وجَنَّةً راقية،

وسُنَّةٌ باقية، فليلبس حلةً شعارها، ويُغلي منارةً منارها، والله يُليِّنُ لمقاله جامدَ القلوب، ويمسح بعظاته ما سَوَّدَ الصُّحُفَ من الذنوب. والخط الكريم أعلاه، حَجَّةٌ بمقتضاه إن شاء الله تعالى.

٨٩ - «ابن اللّحية»^(١) يوسف بن سليمان بن صالح بن رُهَيْج، أبو يعقوب البغدادي المعروف بابن اللّحية، كان أديباً شاعراً مدح العزيز بمصر. ولد سنة ست وثلاثين وخمس مائة.

ومن شعره يقول: [من المتقارب]

تعلّقتُ أسمرَ كالذّابِلِ	مليحَ الشّمائلِ من بابلِ
يميسُ على الدّعص من لينه	فأخشى على خضره النَّاحِلِ
إذا هَزَّتِ الرِّيحُ أعطافه	تمايلَ كالغُضنِ المائلِ
وقد نَسَجَ الحسنُ في عارضيه	عذاراً من العنبر السائلِ
ويبسمُ عن لؤلؤِ كلِّما	تألَّقَ عن شَنَبِ كَامِلِ
تجول المدامُ على ثغره	فاخسِدُ للسلسلِ الحائلِ
يروق لي العذلُ من حبه	فاعشق لللائمِ العاذلِ
ويبخل بالوصل حتى الخيالِ	فافديه من رشأ باخلِ
إذا ما تحفظت من جوره	ولم أك للـجور بالحاملِ
فلست أعدُّ مع العاشقين	ولا خير في العاشق الجاهلِ
إذا ما رماك بالـحافظه	فحذرك من طرفه النابلِ
فلا مِرْهَمٌ لسهام الجفونِ	وقد فَوَّقَتْها يدُ القتائلِ
أقول وقد سلَّ من جَفْنِه	حُساماً يطول على العاملِ
تفانى الرِّجالُ على حبه	وما يحصلون على طائلِ

قلت: شعر جيد وآخره تضمين من شعر أبي الطيب.

٩٠ - «يوسف بن سفيان القرشي البطلوسي»^(٢) أبو عمر؛ سمع بقرطبة من العُثْبِي، وأبي صالح وأنظارهما، وسمع من منذر بن حزم. وكان فقيهاً خيراً فاضلاً. وكان ابنُ مروان

(١) انظر ترجمته في «فلائد الجمان» (١٠/٣٥٩).

(٢) انظر ترجمته في «ترتيب المدارك» (٥/٣٤٤).

صاحب بطليوس يميل إليه، فسُعي به إليه وقيل إنه ينتقصك ويقع فيك، فهم به وأراده، فوقعت في ذلك النهار ببطلوس سبع صواعق، وقعت واحدة منهم في ركن مجلس ابن مروان الذي كان يجلس فيه، فارتاع لذلك وظن أنه الذي هم به في الرجل الصالح، فكف عنه وأصلح جانبه، وتوفي سنة إحدى وثلاث مائة.

٩١ - «المهمندار»^(١) يوسف بن سيف الدولة أبو المعالي بن زئاح - بالزاي والميم المشددة والخاء المعجمة بعد الألف - الحمداني المهمندار، شيخ مُتَجَدِّد.

أنشدني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان، قال: أنشدني بدر الدين أبو المحاسن يوسف المذكور لنفسه: [من البسيط]

وليلة مثل عين الطّبي وهو معي قطعُها آمناً من يقظة الرُّقْبَا
أردفته فوق دهم الليل مختفياً والصّبح يُركضُ خلفي خيله الشُّهْبَا
حتى دهاني وعينُ الشمس فاترةً وقد جذبتُ بذيل اللّيل ما انجذبا
ما هي بأولِ عادات الصّباح معي ليلُ الشّبابِ بصبح الشّيبِ كم هربا

وأنشدني من لفظه أيضاً، قال: أنشدني لنفسه: [من الوافر]

فلا تَعْجَبْ لِحُسْنِ المدح منّي صفاتُك أظهرت حِكمَ البوادي
وقد تُبدي لك المرأةً شخصاً ويُسمِعُكَ الصدى ما قد تُنادي

وأنشدني أيضاً من لفظه، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

ما شيمة العَرَبِ العَرَباء شيمتكم ولا بهذا عرفن الخُرْدُ الغيدُ
كانت سُلَيْمى ولبنى والرباب إذا أزمغن هجراً أتتهنّ الأناشيدُ
ودار بينهما فحوى معاتبة أرق مما أراقته العناقيد
وأفة الصبّ مثلي أن يبتّ جوى لمن يجب ولا يثنى له جيد

وأنشدني من لفظه أيضاً، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

لو عاينت عيناك يوم نزالنا والخيل تطفح في العجاج الأكر
وسنا الأسنة والضيء من الطّبي كشفاً لأعيننا قتام العنبر
وقد اطلّحتم الأمر واحتدم الوغى وهى الجبانُ وساء ظنّ المجتري
لرأيت سداً من حديد ما يراً فوق الفرات وفوقه نارٌ تَري

(١) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٥/٢٣١)، و«عقود الجمان» (٣/٣٥٢).

ومن الفوارس أبحراً في أبحر
تجري ولولا خيلنا لم تطفر
منهم إلينا بالخيول الضمر
حتى كحلن بكلّ لذنٍ أسمر
دون الهزيمة رمح كل غصنفر
فوق البسيطة منهم من مخبر
حتى جنحنا للمكان الأوغر
لو أنها برؤوسهم لم تغثر
الدما حتى بدا لعيوننا كالأشقر
ولكم ملأنا محجراً من محجر
حتى جرت منها مجاري الأنهر
يذري الرؤوس بكلّ عصبٍ أبتـر
فكأنه في غمده لم يشهر
مثلي غداة الرّوع وأنظّم وأنثر

ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبي
طفّرت وقد منع الفوارس مدّها
حتى سبقنا أسهماً طاشت لنا
لم يفتحوا للرّمي منهم أعيناً
فتسابقوا هرباً ولكن ردّهم
ملؤوا الفضا فعن قليل لم ندغ
سدت علينا طرّقنا قتلهم
ما كان أجرى خيلنا في إثرهم
من كلّ أشهب خاض في بحر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة
وجرت دماؤهم على وجه الثرى
والظاهر السلطان في آثارهم
ذهب العجاج مع النّجيع بصقله
إن شئت تمدحه فقف بإزائه

قلت: هذه الأبيات الأربع التي في آخر هذه القطعة لم يروها لي الشيخ أثير الدين أبو حيان، وقد تقدّمت في ترجمة الظاهر بيبرس الصالح في حرف الباء، ولكنها هنا أكمل، وفي ترجمة الظاهر أيضاً أبيات القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر البائية التي نظمها في قطع الظاهر الفرات.

وكتب ناصر الدين بن النقيب إلى بدر الدين الحمداني المذكور: [من الطويل]

أيوسف بدر الدين والحسن كلّهُ
ليوسف يُغزى أو إلى البدر يُنسبُ
أتيت أخيراً غير أنك أوّل
تعدّ من الأحاد شعراً وتُحسبُ
وأحسن ما في شعرك الحرّ أنّه
به ليس تستجدي ولا تتكسّبُ

ومولد بدر الدين المذكور سنة اثنتين وست مائة، ووفاته رحمه الله تعالى في حدود السبع مائة.

٩٢ - «أبو الحسن الباخري»^(١) يوسف بن صاعد، الشيخ أبو الحسن الباخري. ذكره

(١) انظر ترجمته في «الدمية» (٣٧٨/٢).

الباخرزي في «الدمية» وأثنى عليه بحسن لعب الشطرنج والنرد والكعاب، والصيد وحسن المجالسة والآداب، وأورد له مجاراةً بينه وبين الباخرزي والده، أعني الحسن بن علي الباخرزي، والد مُصَنَّف «الدُّمِيَّة»، وقال: ومن لطائف ما شاهدت من ذكاء خاطره، أني كنت عنده بجوذقان أطلع كلَّ صبيحة من غرته قمراً زاهراً لألاء، وأهز إلي من نخلته شجراً يجني زهر اللآلاء، فلما طال مكثي لديه «وطول مقام المرء في الحي مُخلَق لِدِيباجتيه»، استأذنته في الانصراف واليوم يوم الأحد، فتمثَّل بقول القائل: [من الوافر]

وفي الأحد البناء لأن فيه تَبَدَّى الله في خلق السماء

فقلت: وأي مناسبة بين استيذاني للصدر عن هذا الفناء، وبين يوم الأحد وذکر البناء؟ فقال: «بني على كسرى سماء المدام»، يشير إلي قول أبي نواس في قوله: [من الطويل]

بنينا على كسرى سماء مُدامة مكللة حافاتها بنجوم

فتعجبت من جمعه بين معنيين متنافرين بهذا الاستنباط اللطيف، واحتياله في ارتباطي ذلك اليوم بهذا العذر الظريف.

٩٣ - «الدَّسْكَري»^(١) يوسف بن صالح بن يوسف، أبو القاسم النحوي من أهل الدَّسْكَرَة، على طريق خُرَاسان. كان أديباً راويةً للأشعار. روى عن أبوي بكر محمد بن القاسم الأنباري، ومحمد بن يحيى الصولي، وإبراهيم بن محمد بن عَرَفَة نفطويه، وأبوي الحسن علي بن هارون بن المنجم، وأحمد بن جعفر جَحْظَة، وأبي القاسم بن عقيل الوراق صاحب ابن مُجاهد المقرئ وغيرهم. وروى عنه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله البيهقي الحافظ، وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السُّلَمي، وأبو بكر أحمد بن محمد ابن إبراهيم الصدفى المروزي، ومحمد بن العباس العصيمي الهروي، ومحبوب بن عبد الرحمن المحبوبي.

٩٤ - «السَّرْقُسطي»^(٢) يوسُف بن عابسر المَعافري، من أهل سَرَقُسطَة، أبو عمر. كان مشهوراً بالعلم والفضل مقدِّماً على أهل موضعه، عقلاً وفهماً وأدباً. رحل ولقي يحيى بن عمر وغيره. قال ابن الفرضي: ذكره ابن الحارث.

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «أخبار الفقهاء» للخشني (٣٨٤).

ابن عبد الله

٩٥ - «ابن بندار الشافعي»^(١) يوسف بن عبد الله بن بندار أبو المحاسن الدمشقي الشافعي. قدم بغداد في صباه، وتفقه بها على أسعد الميهني ولازمه، وبرع في المذهب والخلاف، وسار إلى خراسان، وتكلم بين يديه في المسائل. وكان حسن العبارة كثير المحفوظ مقتدرًا على قهر الخصوم. وكان سليم الباطن متدينًا حسن العشرة، درس مدة بالمساجد ثم بعدة مدارس وولي التدريس بالنظامية سنة خمس وأربعين وخمس مائة ثم عزل عنها بعد أيام ومُنِع من الفتوى وألزم بيته، فلما فرغت مدرسة ثقة الدولة، بباب الأزج، جُعل فيها مدرساً، ثم أُعيد إلى النظامية فدرس بها إلى أن توفي رحمه الله سنة ثلاث وستين وخمسمائة. وكانت قد انتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعي. وسمع من أبي البركات هبة الله بن محمد بن علي البخاري، وأبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز، وأبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، وأبي سعد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن وغيرهم، وحدث باليسير.

٩٦ - «الصحابي المدني»^(٢) يوسف بن عبد الله بن سلام المدني، سمّاه رسول الله ﷺ، يوسف وأجلسه في حجره، وله رؤية ورواية. وله حديثان حُكِمَهما الإرسال. وروى عن عثمان وعلي وأبيه. وكنيته أبو يعقوب. ومن حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ أخذ كسرة من خبز شعير ووضع عليها تمره وقال: هذه إدام ثم أكلها»^(٣). وتوفي في حدود المائة، وروى له الأربعة.

٩٧ - «أبو عمر بن عبد البر»^(٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الإمام أبو عمر النَّمري القرطبي، العلم المشهور محدث قرطبة. ولد يوم الجمعة والخطيب على المنبر لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة يوم الجمعة آخر يوم شهر ربيع الآخر.

كان في أوّل أمره ظاهريّ المذهب، ثم رجع إلى القول بالقياس من غير تقليد أحد،

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥١٣/٢٠).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٠٩/٣).

(٣) لم أعر عليه.

(٤) انظر ترجمته في «بغية الملتبس» (٤٧٤)، و«وفيات الأعيان» (٣٤٨/٢)، و«آداب اللغة» (٦٦/٣)، و«الصلة

(٦١٦)، و«معجم المطبوعات» (١٥٩)، و«جمهرة الأنساب» (٢٨٥)، و«تاريخ الإسلام» (٤٦١-٤٧٠)،

و«ترتيب المدارك» (١٢٧/٨)، و«نفح الطيب» (٢٨/٤).

إلا أنه كان يميل إلى مذهب الشافعي.

وطلبَ وتفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي الفقيه، ولزم ابن الفرضي وأخذ عنه كثيراً. وكان في المغرب مدة ثم إنه تحول إلى شرق الأندلس وسكن دانية وبنسبة وشاطبة وبها توفي رحمه الله تعالى.

وروى عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر، وأبي محمد بن عبد المؤمن، وأبي عمر الباجي، وأبي عمر الظلمنكي، وأبي الوليد القرطبي وغيرهم. قال الشيخ شمس الدين: أشياخه الذين روى عنهم لا يبلغون سبعين؛ وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السَّقْطِي، وعبد الغني [بن] سعيد الحافظ، وأبو ذر الهروي، وأبو محمد بن النحاس المصري وغيرهم. وكان أبو الوليد الباجي يقول: «لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث»، وقال مرة: «أبو عمر أحفظ أهل المغرب». وقال ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر «التمهيد»: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه». وتصانيفه كلها جيدة منها: «كتاب الاستذكار» وهو مختصر كتاب التمهيد، «كتاب الكافي في فقه مالك» وهو خمسة عشر كتاباً يغني عن المصنفات الطوال في معناه، و«كتاب الاستيعاب في ذكر الصحابة»، و«كتاب الاكتفاء في قراءة نافع»، و«كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس»، و«كتاب جامع بيان العلم وفضله»، و«كتاب التقصي لحديث الموطأ لمالك»، و«كتاب الإنباه عن قبائل الرواة»، و«كتاب الانتقاء لمذاهب الثلاثة العلماء مالك وأبي حنيفة والشافعي»، و«كتاب البيان في تلاوة القرآن»، و«الأجوبة الموعبة»، و«المعروفين بالكنى»، و«القصد والأمم في أنساب العرب والعجم وأول من نطق بالغريب من الأمم»، و«الشواهد في إثبات خبر الواحد»، و«الاكتفا في القراءات»، [و] «كتاب فرحة الأنفس في أخبار الأندلس»، و«الإنصاف فيما في اسم الله من الخلاف»، و«الفرائض» وأشياء غير ذلك من الكتب الصغار. وكان مُعَاناً على التصنيف موفقاً فيه.

ومن شعره: [من الوافر]

أمنتحل النجوم أحلثمونا على علم أدق من الهباءِ
علوم الأرض ما أخكثموها فكيف بكم إلى علم السماءِ

قال الحميدي: وأنشدني له بعض أهل المغرب، ولم أسمع ذلك منه: [من الطويل]
ولابن معين في الرجال مقالة تقدّمه فيها شريك ومالك
فلن يك ما قالاه سهلاً واسعاً فقد سهّلت لابن معين المسالك

٩٨ - «ابن خَيْرُون»^(١) يوسف بن عبد الله بن خَيْرُون الأندلسي. قال الحميدي: أديب نحوي مشهور، روى عن أحمد بن أبان بن سيد اللغوي، وروى عنه الفقيه أبو محمد غانم ابن الوليد بن عمر بن عبد الرحمن المخزومي النحوي المالقي، قاله أبو الحسن علي بن أحمد الجزيري، قال: وأخبرني من حدّث عنه.

٩٩ - «ابن أبي زيد اللّري»^(٢) يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أبي زيد الأندلسي اللّري، الأستاذ أبو عمر بن عياد. كان قد شرع في تذييل كتاب ابن بشكوال، وله كتاب «الكفاية في مراتب الرواية»، و«المرتضى في شرح المتنقي» لابن الجارود، و«ذو بهجة الألباب في شرح كتاب الشهاب»، و«الأربعون حديثاً في النّشر وأحوال الحشر»، و«أربعون حديثاً في وظائف العبادة»، و«المنهج الرائق في الوثائق»، و«بهجة الحقائق في الزهد والرفائق»، و«طبقات الفقهاء» من عصر ابن عبد البر إلى عصره. توفي شهيداً ببلده عند كبسة العدو لها في سنة خمس وسبعين وخمس مائة.

١٠٠ - «الرّزّاجي»^(٣) يوسف بن عبد الله الرّزّاجي، أبو القاسم، أحد أهل البلاغة والبراعة واللّغة والنحو والدراية. قال ياقوت: أظنه طبرياً، وزمنه مقارن لزمن الصّاحب بن عباد، وله تصانيف منها كتاب «شرح فصيح ثعلب»، كتاب «عمدة الكتّاب»، كتاب «اشتقاق أسماء الرياحين»، كتاب «مسائل الخلاف في فعلت وأفعلت»، و«مسألة الدّيات»، صنّفها لقابوس بن وشمكير، كتاب «اشتقاق كلمات من أوّل كتاب غريب المصنف»، كتاب «خلق الإنسان والفرس»؛ قال ياقوت: ورأيت خطّه على عدّة كُتُبٍ من كتبه، وقد قرأت عليه في سنة تسع وأربع مائة.

١٠١ - «الهادي العبّيدي»^(٤) يوسف بن عبد الله بن يوسف الهادي بن العاضد بن الحافظ بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبّيدي. زعم أن أمّه خرجت به حاملاً من قصر العاضد بالقاهرة وولده بالمغرب الأقصى، فنشأ بين البربر وأحكم لسانهم. وقرأ بمراكش وتأدّب، وكان يكتّم نسبه خوفاً من بني عبد المؤمن، ثمّ إنّه خرج إلى جهة فاس، وجعل يُكثر الصلوات في الأماكن المقصودة حتى اشتهر عند الناس صلاحه، وشاع بينهم أنّه يطوي

(١) انظر ترجمته في «بغية الوعاة» (٣٥٧/٢)، و«توضيح المشتبه» (١٢٦/١) و«إنباه الرواة» (٦٥/٤).

(٢) انظر ترجمته في «مرآة الجنان» (٤٠٢/٣)، و«التكملة» (٧٣٤)، و«غاية النهاية» (٣٩٧/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٥٤/٤).

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ جرجان» (٤٥٤) و«بغية الوعاة» (٤٢٢)، و«الفهرس التمهيدي» (٢٥٠)، و«إرشاد الأريب» (٣٠٨/٧).

(٤) انظر ترجمته في «البيان المغرب» (٢٤٣).

الليل والنهار صوماً لأنه لم يَر يوماً أنه أكل، ثم إنه جعل بيتَ دعوته في البرابر، وأظهر نسبه واشتهر بالمغرب فصار يعرف بالعبّدي، وسلك منهج المهدي الإدريسي، وجعل له عشرةً كعشرة الصّحابة يعتمد عليهم وهم خاصيته. وحروب العبيدي بالمغرب مشهورة، وآل أمره إلى أن حصر مدينة فاس، وكسر جموعهم مرةً بعد مرة، وكاد يأخذ البلد، فقال ابن جامع وزير ناصر بني عبد المؤمن ليس الرأي أن نجهّز إلى هذا الرجل جيشاً بعد جيش يكسر بعضهم وربما لا يكسرونه، ولكنّ الرأي أن نُسيّر إلى العشرة الذين اختصّهم من أصحابه عشرة آلاف دينار فإنهم يأتوننا برأسه، فعندما وصل المال إلى أولئك القوم قبضوا عليه وجاؤوا به إلى مدينة فاس أسيراً، فقال أبياته المشهورة: [من الطويل]

لحي الله قوماً ضيّعوني بعدما بدا لهم برقٌ من المالِ خُلِبُ
ولو أنهم أبَقُوا حُشاشةً مهجتي لكان لهم فوق الذي فيه رُغِبوا
ولا شُهِروا بالغدر في كلِّ موضعٍ وسارت بهم أمثالهم وهي تضرب
ومن شعره قبل خروجه: [من الخفيف]

إن تركنا الورى وما هُم عليه تركونا أخلاصَ ذلِّ وفقر
أو دعت حاجةُ السُّؤال إليهم نهرونا عن كلِّ نهرٍ وبحر
فلهذا نخوضُ في الموت خوضاً نحو نيلِ المُنَى ورفعةِ قَدْرِ

وكان شهماً قوياً النفس، لما أحضره القانصون له بين يدي ملك فاس إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن قام إليه شاهراً سيفه ليضرب عنقه، فقال له الهادي: إليك عني لا تُدنِ ثوبك من ثوبي فإنك نجس، بل افعل من بعيد ما شئت؛ فضربه ضربةً أبان بها رأسه.

١٠٢ - «ابن موهب الأندلسي»^(١) يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أيوب بن موهب، أبو الحجاج الفهري الأندلسي الداني وقيل الشاطبي، نزيل بكنسية. كان إماماً في معرفة الشروط، كاتباً بليغاً، شاعراً، كتب للقضاة وناب للحكام. توفي سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة.

ومن شعره: [من الطويل]

أبى الله إلا أن أفارقَ منْزلاً يطالعني وجهُ المنى فيه سافرا
كأنَّ على الأقدار أن لا أحلّه يميناً فما أغشاه إلا مسافرا

(١) انظر ترجمته في «التكملة لوفيات النقلة» (١/٢٦٢)، و«غاية النهاية» (٢/٣٩٧).

وأشده الرصافي في صِفَةِ فتى نهد إلى الحرب وفي يده حراب قد قبض عليها وفي
الأخرى دَرَقَة: [من البسيط]

يسعى وصعبٌ من الأرماع في يده لِقُودِ حرب محتطبٌ
بحيث للَمَطِ آذَانٌ مُصَمَّخَةٌ تصادقُ الطَّغْنَ في آذانها كَذِبٌ
فقال الفهري في ذلك: [من البسيط]

يسعى نحو نارِ الحرب تحملُ كُفَّهُ من الذابلات السُّمُرُ ضِغْثاً كحاطبٍ
بحيثُ ارتدى في مسمع اللَّمَطِ حيةً يرى الطعن فيها صادقاً مثلَ كاذِبٍ

١٠٣ - «ابن شُكر المالكي»^(١) يوسف بن عبد الله بن علي بن الحسين، هو ابن الوزير
صفي الدين بن شُكر الدميمري المالكي، تقدم ذكر والده في مكانه، وتفقه ولده هذا وبرع في
الأدب ودرّس بمدرسة الصّاحب والدّه. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وست مائة.

١٠٤ - «قاضي القضاة جمال الدين الزّواوي المالكي»^(٢) يوسف بن عبد الله بن عمر،
قاضي القضاة جمال الدين أبو يعقوب الزواوي المالكي، وهو بكنيته أشهر. ولي القضاء بعد
ابن عمه الشيخ زين الدين الزواوي. وتوفي رحمه الله بطريق الحج هو ونجم الدين البادراني
وبقي القضاء بعده شاغراً ثلاث سنين ووفاته في سنة ثلاث وثمانين وست مائة.

١٠٥ - «بدر الدين الأذرعّي الحنفي»^(٣) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن
بدر الدين، أبو المحاسن العدل ابن قاضي القضاة شمس الدين الأذرعّي الحنفي الصالحي.
كان فقيهاً فاضلاً مهيباً، ولد سنة تسع عشرة وست مائة. وسمع من ابن الزبيدي، وجمال
الدين الحصري، وحدث عنه ابن الخباز. وتوفي سنة ست وتسعين وست مائة، رحمه الله
تعالى.

١٠٦ - «جلال الدين النابلسي الشافعي»^(٤) يوسف بن أبي عبد الله بن يوسف بن سعد،
جلال الدين أبو المحاسن النابلسي الدمشقي الشافعي. قاضٍ مُتِّ، ولد قبل الأربعين
وست مائة، وتوفي في حدود عشر وسبع مائة. وسمع من عمّه خالد الحافظ، ومجد الدين
الإسفراييني، والمرسي، وشيخ الشيوخ، وطائفة. وأمّ بالشامية وأعاد بها، وعُرفَ بجوْدَةِ

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦٣١ - ٦٤٠).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٣٧٤/٥).

(٣) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (١٤٨١/٤)، و«الجواهر المضية» (٢٢٨/٢)، و«الفوائد البهية» (٢٢٨).

(٤) انظره في «أعيان العصر» (٣٥٤/٣).

النَّقْلُ، وولي قضاء بعلبك، ثم نابلس ثم إنه عاد إلى بعلبك، وكان دَيِّناً حميداً الأحكام. حدث بدمشق وبعلبك.

١٠٧ - «جمال الدين النيني»^(١) يوسف بن عبد الله بن عبد الله الفقيه الفاضل جمال الدين النيني الشافعي؛ أَوَّلُ ما عَرَفْتُ من حاله أَنَّهُ أتى من قرية نين إلى صفد، فقرأ بها «المنهاج» وحفظه، وقرأ «المختصر» لابن الحاجب، وكان يقرأ الحديث بالجامع الظاهري وبغيره، ويؤم بمسجد [...] . كان شكلاً طويلاً، طَيِّبُ النَّعْمَةِ، ذَكِيّاً قادراً على الحفظ، وأقام بصفد قليلاً ثم إنه توجه إلى طرابلس لمعرفة كانت بينه وبين قاضيه القاضي حسام الدين العربي في صفد، وأقام بها وأثرى وحسنت حاله، وشاع أَنَّهُ حَصَّلَ دُنْيا واسعة، وسألت ولده عن ذلك، فأقسم بالله بَأَنَّهُ ما ترك درهماً ولا ديناراً، وكان لم يَخْلُفْ غير ثياب بدنه، ومجلدات تركها لا غير. وكان قد حجَّ في سنة خمس وخمسين وسبع مائة. وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبع مائة، ووصى أن لا يُباع شيء من قماشه، ولا من كتبه بطرابلس، فتوجه ابنه بشابه إلى حماه وباعها هناك وأحضر كتبه إلى دمشق، ولم تكن بطائل عتيقة. وتوفي، رحمه الله تعالى، وقد تجاوز الستين.

ابن عبد الرحمن

١٠٨ - «أمير الأندلس»^(٢) يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة، أمير الأندلس. هزمه عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس وتغلب عليها. توفي إلى رحمة الله تعالى، يوسف هذا في حدود الأربعين والمائة.

١٠٩ - «محيي الدين بن الجوزي»^(٣) يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، هو الصَّاحِبُ العلامة محيي الدين أبو المحاسن ابن الإمام جمال الدين الواعظ البغدادي الحنبلي، أستاذ دار أمير المؤمنين المستعصم. ولد سنة ثمانين وخمس مائة، وتوفي سنة ست وخمسين وست مائة.

تفقه وسمع الكثير، وكان إماماً كبيراً، وصدرًا معظماً، عارفاً بالمذهب كثير المحفوظ، حسن المشاركة في العلوم، مليح الوعظ، حلو العبارة، ذا سمت ووقار وجلالة وحرمة

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (١٢١ - ١٤٠هـ)، و«الكامل» لابن الأثير (٣٧٥/٥).

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» و«شذرات الذهب» (٢٨٦/٥)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢٥٨/٢)، و«البداءة والنهاية» (٢٠٣/١٣)، و«ذيل مرآة الزمان» (٣٣٢/١)، و«الدارس» (٦٢/٢).

وافرة. درس وأفتى وصنّف، وروسل به إلى الأطراف، ورأى من العزّ والإكرام والاحترام من الملوك شيئاً كثيراً، وكان محمود السيرة، محبباً إلى الرعية، ولي الأستاذ دارية بضع عشرة سنة.

قال الدميّطي: قرأت عليه كتاب «الوفا في فضائل المصطفى» لأبيه، وغيره؛ وأنشدني لنفسه وأجاز لي بجائزة جليّة من الذهب.

قال الشيخ شمس الدين: ضُرِبَتْ عَنْقُهُ بمخيم التتار هو وأولاده تاج الدين عبد الكريم، وجمال الدين المحبّ، وشرف الدين عبد الله في شهر صفر من السنة المذكورة.

وكان قد شهد عند قاضي القضاة ابن الدّامغاني فقبله، وولاه الحسبة بمدينة السّلام والنظر في الوقف العام، ثم عُزِلَ عن الحسبة وعُزِلَ عن نظر الوقف، ومُنِعَ من الجلوس بباب الثّربة وباب بدر، ولزم منزله إلى أن أُعيدَ إلى الحسبة، وأذن له في الدخول على الأمير أبي نصر بن الناصر وسماع «مسند الإمام أحمد بن حنبل» مع الجماعة فحصل له الأُنس. فلما توفي الإمام الناصر أَمَرَ ابن الجوزي بغسله فغسله، ثم إنّ الإمام الظاهر أرسله إلى مصر لإفاضة الخلع على الملك الكامل فوصلها، وعاد وقد توفي الإمام الظاهر وقام مكانه ولده الإمام المستنصر، فأرسله مرّاتٍ إلى الشام وإلى مصر وإلى بلاد الروم وشيراز، وحصلت له النّعمة الطائلة والمكانة عند الملوك. ولَمّا فرغت المدرسة المستنصرية جُعِلَ بها مدرّساً للحنابلة، وكان إذا سافر استتاب ولده في التدريس والحسبة، وترك الوعظ ولم يعقد مجلساً بعد ذلك.

وتوفي والدّه وله سبع عشرة سنة، فأذن له بالجلوس للوعظ على عادة أبيه بباب تربة الجّهة أمّ الإمام الناصر، وخُلِعَ عليه القميص والعمامة وجُعِلَ على رأسه طرحة، وحضر يوم الجمعة في حلقة والده بجامع القصر وعنده الفقهاء للمناظرة، ونودي له في الجامع بالجلوس فحضره الخلائق وتكلّم فأجاد، ثم إنّهُ أذن له في الجلوس بباب بدر الشريف في بكرة كلّ يوم ثلاثاء، فبقي على ذلك مدّة يُنشد في كلّ مجلس قصيدة من شعره يمدح بها الإمام.

ولَمّا أقام عسكرُ الشّام في أيّام الناصر بن العزيز مجرداً على تلّ العجول قبالة عسكر مصر، وتجاوزت مدّة إقامتهم السّنة، وأشاعوا أنّ الباذرائي رسولَ الخليفة واصلٌ ليصلح بين الفريقين، فأبطأ وكثرت الأقاويل في ذلك، فقال شهاب الدين غازي بن إياز، المعروف بابن المغمار أحد المفاردين المجرّدين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور حاجباً، هذين البيتين: [من الوافر]

يُذَكِّرُنَا زَمَانُ الزُّهْدِ ذَكَرَى زَمَانُ اللّهُو فِي تَلِّ الْعَجُولِ

ونطلبُ مُسلماً يروي حديثاً صحيحاً من أحاديث الرسول
واختلفتِ الأقاويلُ بمصر، فقيل إن محيي الدين يوسف بن الجوزي يصل رسولاً من
الخليفة، وتأخر حضوره فقال صلاح الدين الإربلي: [من الكامل]
قالوا الرسول أتى وقالوا إنه ما رام يوماً عن دمشق نزوحاً
ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم يروي الحديث عن الرسول صحيحاً
ولما وصل محيي الدين المذكور إلى حلب رسولاً من أمير المؤمنين المستنصر سنة
أربع وثلاثين وست مائة، وصاحبها الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي، توفي العزيز
رحمه الله في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم توجه إلى الروم رسولاً فمات الملك
علاي الدين كيقباد في شوال من السنة، ثم توجه رسولاً إلى الأشراف موسى بن العادل
صاحب دمشق، وأخيه الكامل محمد بن العادل صاحب مصر، فتوفي الأشراف في المحرم
سنة خمس وثلاثين، وتوفي الكامل في شهر رجب من السنة وكلاهما مات بدمشق، فنظم أبو
القاسم محمود بن الأَرشد في ذلك: [من الخفيف]

دعوة يا خليفة الله لا انجا ب عن الخلق منك ظلّ ظليل
يا إمام الهدى أبا جعفر المنصور يا من له الفخار الأثيل
ما جرى من رسولك الشيخ محيي الدين في هذه البلاد قليل
جاء والأرض بالسلطين تزهى فغدا والقصور منهم طلول
أقفر الروم والشام ومصر أفهذا مُغسّل أو رسول؟

١١٠ - «الميزي الحافظ»^(١) يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد
الملك بن أبي الزهر، الشيخ الإمام العلامة حافظ العصر ومحدث الشام ومصر، جمال
الدين أبو الحجاج الفُضاعي الكلبي الميزي، الحلبي المولد. خاتمة الحفاظ، ناقد الأسانيد
والألفاظ؛ مولده بظاهر حلب في عاشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وست مائة،
وطلب الحديث في أوّل سنة خمس وسبعين، وهلمّ جرأ، وإلى آخر وقت لا يفتر ولا يقصّر
عن الطلب والاجتهاد والرواية. توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة،
ودفن بمقابر الصوفية من الغد.

(١) انظر ترجمته في «طبقات الشافعية» و«الفلاند الجوهريّة» (٣٢٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٤/١٤٩٩)، و«مفتاح

السعادة» (٢/٢٢٤)، و«الفهرس التمهيدي» (٣٧١)، و«مفتاح الكنوز» (١/٤١)، و«الدرر الكامنة» (٥/

٢٣٣)، و«شذرات الذهب» (٦/١٣٦)، و«فهرس الفهارس» (١/١٠٧).

سمع من أصحاب ابن طَبَرَزْد والكِنْدِي وابن الحَرَسْتَانِي وحنبل ثم ابن ملاعب، والرُّهَاقِي، وابن البَنَّا، ثم ابن أَبِي لُقْمَةَ، وابن البُن، وابن مُكْرَم، والقزويني، ثم ابن اللثي، وابن صَبَّاح، وابن الزبيدي وأعلاماً. سمع بإجازة عن ابن كليب وابن بَوْش والجمال وخليل ابن بدر والأبوصيري وأمثالهم، ثم المؤيد الطوسي، وزاهر الثقفي، وعبد المعز الهروي. وسمع الكتب الأمهات المسندة، و«الكتب الستة»، و«المعجم الكبير»، و«تاريخ الخطيب»، و«التب للزبير»، و«السيرة»، و«الموطأ» من طُرُق، و«الزهد»، و«المستخرج على مُسْلِم»، و«الحلية»، و«السنن» للبيهقي، و«دلائل النبوة»، وأشياء يطول ذكُرها، ومن الأجزاء ألوفاً؛ ومشيعته نحو الألف. سمع أبا العباس ابن سلامة، وابن أبي عمر، وابن علان والشيخ محيي الدين النووي، والزواوي، والكمال عبد الرحيم، والعزّ الحرّاني، وابن الدَّرَجِي، والقاسم الإربلي، وابن الصابوني، والرشد العامري، ومحمد بن القواس، والفخر بن البخاري، وزينب، وابن شيبان، ومحمد بن محمد بن مناقب، وإسماعيل بن العسقلاني، والمجد بن الخليلي، والعماد بن الشيرازي والمحيي بن عصرون، وأبا بكر بن الأنماطي، والصفى خليلاً، وغازياً الحلاوي، والقطب بن القسطلاني وطبقتهم، والدِّمِيَاطِي شرف الدين، والفاروثي، واليونيني، وابن بَلْبَان، والشريشي، وابن دقيق العيد، والظاهري، والتقي الأسعدي وطبقتهم، وتنازل إلى طبقة سعد الدين الحارثي، وابن نفيس، وابن تيمية؛ ولم يتهياً له السماع من ابن عبد الدائم، ولا الكُرْمَانِي، ولا ابن أبي السر ونحوهم، ولا أجازوا له مع إمكان أن تكون له إجازة المرسى، والمُنْذَرِي، وخطيب مردا، واليَلْدَانِي وتلك الحيلة.

وحفظ القرآن. وعني باللغة فبرع فيها ولم أرَ فيها مثله ومثل الشيخ أثير الدين، وأتقن النحو والتّصريف. ولما ولي دار الحديث الأشرفية تمذهب للشافعي وأشهد عليه بذلك. وذلك في ثالث عشرين ذي الحجة سنة ثمان مائة وسبع مائة وفي هذا النهار ذكر الدرس بالأشرفية. وكان فيه حياء وسكينة وحلم واحتمال وقناعة واطِّراحُ تكلفٍ وتركُ التَّجَمُّلِ والتودّد والانجماع عن الناس وقلة كلام إلا أن يسأل فيجيب ويجيد، وكلّما طالت مجالسة الطالب له ظَهَرَ له فضلُه، لا يتكثّر بفضائله، كثير السكوت لا يغتاب أحداً؛ قرأت عليه «خُطْبُ ابن نباتة»، و«أربعين النواوي» وغير ذلك، وسمعت عليه كثيراً، وسمع شيئاً من شعري بدار الحديث. وكان معتدل القامة مشرباً بحمرة، قوي التركيب، مُتَّع بحواسه وذهنه، وكان قنوعاً غير متأنّق في ملبس أو مأكّل أو مركب أو نعل، يصعد إلى الصالحية وغيرها ماشياً وهو في عشر التسعين؛ وكان رِيَضَ الأخلاق، يستحمّ بالماء البارد في الشيخوخة، إلا أنه كان قد امتُحِنَ بالمطالب وتتبعها فيعثر به من الشياطين فيأكلون ما معه ولا يزال في فقر

لأجل ذلك.

وأما معرفة الرجال فإليه تُشدُّ الرُّحال، فإنه كان الغاية وحاملَ الراية؛ لما ولي دار الحديث قال الشيخ تقي الدين بن تيمية: لم يل هذه المدرسة من حين بنائها وإلى الآن أحقُّ بشرط الواقف منه؛ وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصلاح، ومحبي الدين، وابن الزبيدي لأنَّ الواقف قال: «فإن اجتمع من فيه الرواية ومن فيه الدراية قُدِّم من فيه الرواية». ولقد سمعنا «صحيح مسلم» على البُندنجي وهو حاضر، رحمه الله، وابن طُغريل يقرأ وعدَّة نسخ صحيحة يُقابل بها، فيردُّ الشيخ جمال الدين عليه اللَّفظ، فيقول ابن طُغريل: «ما في النُّسخة إلَّا كما قرأت»، فيقول من في يده بعضُ تلك النسخ الصحيحة: «هو عندي كما قال الشيخ، أو هو مظفر عليه أو مُضَبَّب، أو في الحاشية تصحيح ذلك»، ولما كثر ذلك قلت له: «ما النُّسخة الصحيحة إلَّا أنت». قال الشيخ شمس الدين: لم أرَ أحفظ منه، ولا رأى هو مثل رأي نفسه، وقال: لم أرَ أحفظ من الدِّمياطي. قال الشيخ شمس الدين: لم يسألني ابن دقيق العيد إلَّا عنه؛ وكان قد اغترَّ في شبيبته وصحب عفيف الدين التلمساني فلما تبَيَّن له ضلاله هجره وتبرَّأ منه؛ قال الشيخ شمس الدين: وكان يترخَّص في الأداء من غير أصول ويصلح كثيراً من حفظه ويتسامح في دمج القارئین ولغط السامعين ويتوسَّع فكانه يرى أن العمدة على إجازة المسمع للجماعة وله في ذلك مذاهب عجيبة؛ وكان يتمثل بقول ابن منَّده: «يكفيك من الحديث شمه». صَنَّف كتاب «تهذيب الكمال» في أربعة عشر مجلداً كشف به الكتب المتقدِّمة في هذا الشأن، وسارت به الركبان واشتهر في حياته؛ وألَّف «كتاب الأطراف للكتب الستة» في ستة أسفار وخرَّج لجماعة. قال الشيخ شمس الدين: ولا علمته خرَّج لنفسه لا عوالي ولا موافقات ولا معجماً، وكلَّ وقتٍ ألومه في ذلك فيسكت. وقد حدَّث بـ «تهذيبه» الذي اختصره الشيخ شمس الدين خمسَ مرَّات، وحدَّث بـ «الصحيحين» مرَّات، وبـ «المسند»، وبـ «معجم الطبراني»، وبـ «دلائل النبوة»، ويكتب جمَّة، وحدَّث بسائر أجزائه العالية وبكثير من النازلة؛ ومَعَ إتقانه لأسماء الرجال، وله فيها هذا التصنيف العظيم، لم يكن يعتني بتراجم العلماء من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والقراء والأطباء والشُعراء، ولا له فيها مشاركة ألبَّة، وإنَّما كان يعتني برجال الحديث لا غير؛ ولقد سألتُه عن القالي - بالقاف - والقالي - بالفاء - فقال لا أعرف إلَّا القالي - بالفاء - فعلمت أنه ليس له عناية بغير الرواة للحدين وإلا فأبو علي القالي - بالقاف - مشهور بين الأدباء معروف لا يكاد يجهله أحد من صغار الأدباء، ولكن عندي منه فوائد وقواعد في أسماء رجال الحديث لم أجدها ولم آخذها عن غيره. وكان أسماء الرواة الذين يجيئون في سماعاته وطرقه يُجيدُ الكلام في طبقاتهم وأحوالهم وقوتهم ولينهم، وهذا بحر لا يُشَقُّ بُجْه غباراً لا

انحطاط لُقُتامه. ولم أر بعد الشيخ فتح الدين من يحكم بدقيق الأجزاء وترميمها مثل الشيخ جمال الدين، رحمه الله، ولم يستعر مني شيئاً وأعاده إلا وقد نبّه فيه على نكتة كنت محتاجاً إليها، حتى في إجازة الشيخ فتح الدين لي. وقد حجّ وسمع بالحرمين والقدس ودمشق ومصر وحلب وحماه وحمص وبعليّك والإسكندرية وبلبيس وقطيا وغير ذلك. وأوذي مرّة واختفى مدّة من أجل سماعه «التاريخ» الخطيب؛ وأوذي مرة أخرى لقراءة شيء من كتاب «أفعال العباد» مما يتأوله الفضلاء المخالفون وحُبس. ولما توفي ابن أبي الفتح حصل له من جهاته حلقة الحضر والحديث بالناصرية فأضاء حاله واتّسع رزقه ثم ولي دار الحديث الأشرفية سنة ثمانى عشرة وسبع مائة بعد ابن الشريشي، ثم فيما بعد ترك الحلقة وأخذت منه الناصرية ثم نزل عن العزّة لصاحبه نجم الدين. قال الشيخ شمس الدين: وأعلى ما عنده مطلقاً «الغيلانيات»، و«جزء ابن عرفة»، و«ابن الفرات» بإجازة، سمع منه شمس الدين أربع وسبعين وأخذ عنه «صحيح البخاري» وغيره، واستملى منه قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي السبكي، وقاضي القضاة عز الدين بن جماعة، والشيخ فتح الدين بن سيد الناس، ومحب الدين، وأولاده، وشمس الدين السروجي، وابن الدّمياطي وابن عبد الهادي، وابنا السفاقسي، وتقي الدين بن رافع، وسبط التنسي وخلّاثق. وتخرّج به جماعة كالبرزالي والعلائي وابن كثير وابن عبد الهادي وابن العطار وابن الفخر وابن الجعبري وغيرهم. قال شمس الدين: قرأت بخط أبي الفتح الحافظ، قال: «وجدت بدمشق الإمام المُقَدَّم والحافظ الذي فاق من تأخّر من أقرانه وتقدّم، أبا الحجاج المزي، بحر هذا العلم الزاخر، القائل من رآه كم ترك الأوائل للأواخر، أحفظ الناس للتراجم وأعلمهم بالرواة من أعارب وأعاجم، لا يخصُّ بمعرفته مصرّاً دون مصر، ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر، معتمداً آثار السلف الصالح، مجتهداً فيما نيّط به في حفظ السنة من النصائح، معرضاً عن الدنيا وأشباهاها مُقبلاً على طريقته التي أربى بها على أربابها، لا يبالي بما ناله من الأزل، ولا يخلط جدّه بشيء من الهزل، وكان بما يصنعه بصيراً وبتحقيق ما يأتيه جديراً، وهو في اللغة إمام، وله بالقريض إمام، وكنت أحرص على فوائده لأحرز منها ما أحرز وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يملل وإن أوجز وددت أنّه لم يوجز، وهو الذي حدّاني على رؤية الإمام شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية»، وسرد أبو الفتح فصلاً في تقرّيط ابن تيمية.

١١١ - «أبو الحجاج الأقفري»^(١) يوسف بن عبد الرحيم بن غزي القرشي، الشيخ العارف الزاهد أبو الحجاج الأقفري، شيخ الزّمان وواحد الأوان، صاحب الكرامات

(١) انظر ترجمته في «الطالع السعيد» (٤١٦)، و«التاج» (٤٩٩/٣)، و«طبقات الشعراني» (١/١٥٧).

والمكاشفات المعروفة، أحدٌ من ينتفع الناسُ ببركته وصالح دعواته. تاب على يديه جماعة كثيرون. أنشد كمال الدين جعفر الأدفوي في ترجمته بعد تقيظه والثناء عليه: [من الطويل]
 فَقُلْ لِفَتَى قَد رَامَ فِي الْعَصْرِ مِثْلَهُ يَمِيناً بَرَّبَ النَّاسَ لَسْتُ بِوَاجِدِ
 وَمَنْ ذَا يَضَاهِي حُسْنَ يَوْسَفَ فِي الْوَرَى وَيُؤْتِي الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْ مَحَامِدِ
 وكان لما تجرّد قد توجه إلى شيخه عبد الرزاق، ثم عاد إلى وطنه وتخرّج عليه سادات: كالشيخ علي من الأفوا، والشيخ علي بن بدر، والشيخ شماس السفطي، والشيخ إبراهيم الغاوي، والبرهان الكبير، والبدر الدمشقي، والشيخ مفرّج ونظرانهم. وكان مشارف الديوان أولاً ثم تجرّد وصحب عبد الرزاق التينملي، تلميذ الشيخ أبي مدين.

وكانت كراماته كثيرة، ولكنّ جهال أتباعه أظنّوا زادوا فجعلوا له معراجاً ليلة نصف شعبان من كلّ سنة، واتّخذوه في الصّعيد كلّ سنة كالعيد تأتي إليه الخلائق من العوالي، ويبذل فيه العزيز الغالي، وتحضر الدفوف والشّبابات، ويختلط الرجال بالنسوان. وكان الشيخ، رضي الله عنه، مشهوراً بالعلم والرواية، وله كلام يشهد له بالمعرفة والدراية. توفي رضي الله عنه في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وست مائة، وقبره مشهور بالأقصر يزار من الأماكن البعيدة. قال الشيخ شمس الدين: ألف مواقف «كمواقف النّفري». قال أبو عمر المرابطي: وفاته على لوح قبره سنة أربع.

١١٢ - «ابن الماجشون»^(١) يوسف بن عبد العزيز بن الماجشون، تقدّم ذكر أبيه في حرف العين مكانه. قال الواقدي: المدني أبو سلمة مولى آل المنكدر التيمي. قال ابن معين: كنا نأتي يوسف بن الماجشون يحدثنا وجواره في بيت آخر يضرّبن بالمعزة. قال الشيخ شمس الدين: أهل المدينة معروفون بالرّخص في الغناء. وتوفي، رحمه الله تعالى، في سنة ثلاث وثمانين ومائة. وروى له الجماعة سوى أبي داود.

١١٣ - «اللّخمي الميورقي»^(٢) يوسف بن عبد العزيز علي بن نادر، أبو الحجاج اللّخمي الميورقي الفقيه. سمع «صحيح مسلم» بمكة من الحسين الطبري، و«البخاري» من علي بن سليمان البغدادي النّقاش، وتفقه ببغداد على الكيا الهراسي، واستوطن الإسكندرية،

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٣٠-٣٣١)، «التاريخ الكبير» (٢/ ٣٨١)، «التاريخ الصغير» (٢/ ٢٣٥)، «المعارف» (٤٦٢)، «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٣٤)، «مشاهير علماء الأمصار» (١١٠٤)، «تهذيب الكمال» (١٥٦٣)، «تهذيب التهذيب» (٤/ ١٩٢/٢)، «العبر» (١/ ٢٩٢)، «تهذيب التهذيب» (١١/ ٤٣٠)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٤٤٠)، و«شذرات الذهب» (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٤/ ٦٧)، و«مرآة الجنان» (٣/ ٢٣٠).

ودرس الفقه وروى «الصحيحين»، وكان عارفاً بالأصول، متفنناً بارعاً، له «تعليقة في الخلاف» معروفة. قال ابن الأثير: هو أحيى علم الحديث بالإسكندرية، وروى عنه السلفي وغيره. وتوفي سنة ثلاث وعشرين وخمس مائة.

١١٤ - «ابن المرصص»^(١) يوسف بن عبد العزيز بن شدّاد الهمذاني المصري، علم الدين أبو المحاسن بن المرصص، توفي رحمه الله تعالى، بحماه وقيل بحلب - وهو الصحيح - سنة ثمان وثلاثين وست مائة. قال عماد الدين أبو الفتح عمر بن شعبان الحموي: دخلت على العلم في مرض موته، فوجدته مسروراً فسألته عن حاله فقال: أنا اليوم طيب، فقلت: ما سبب ذلك؟ فقال: تبرّمت أمس من طول هذا المرض وشكوت إلى ربي ذلك، ونمت البارحة، فرأيت في منامي قائلاً يقول: ما تستحي تشكو وأنت القائل: [من الطويل] إذا لم تكن تُنهي إلى غيرك الشكوى فما نَمَّ إلا الصبرُ فيك على البلوى وإنّي إن أتلّفت بالهجر مهجتي لأرضى الذي ترضى وأهوى الذي تهوى ومات بعد ذلك بثلاثة أيام.

ومن شعره: [من الخفيف]

قَرُبْتُ دَارُنَا وَلَمْ يُفِدِ الْقُرْ ب اجتماعاً فلا أذم البعادا
كان ذاك البُعَاد أروخ للقل ب لأن الغرام بالقرب زادا

١١٥ - «العلاف»^(٢) يوسف بن عبد الغالب بن هلال الإسكندراني العلاف. كان عامياً، ولكن له النظم الحلو. روى عنه الفضلاء وكتبوا شعره، توفي في بلده سنة عشرين وسبع مائة ومن شعره: [من الطويل]

وخضراء لا الحمراء تفعل فَعْلُهَا لها وثبات في الجشى وثبات
تؤجج ناراً وهي في العين جنة وتعطيك طعم المرّ وهي نبات
ومنه في حائك: [من المنسرح]

كم قلتُ للحائك الظريف وفي راحته طاقةٌ يُخلّصُها
هل لك في ردّ مهجةٍ لفتى ليس له طاقة يخلّصها

١١٦ - «ابن المطّجن»^(٣) يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف، شرف الدين أبو الفضل

(١) انظر ترجمته في «قلائد الجمان» (١٠/٤٧٧)، و«الأعلام» للزركلي (٨/٢٣٨).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٥/٢٣٧)، و«أعيان العصر» (٣/٣٥٩).

(٣) انظر ترجمته في «ذيل مرآة الزمان» (٢/١٨٠).

ابن الحكيم موقّق الدين، البغدادي الأصل المِضري الوفاة. سمع أباه وابن اللّتي، وحدث بالقاهرة وكان متوسّط الفضيلة، وتوفي سنة ستين وست مائة، تغمّده الله رحمته.

١١٧ - «تقيّ الدين المقدسي الحنبلي»^(١) يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور بن رافع بن حسن، الفقيه تقي الدين أبو عبد الله المقدسي النابلسي الحنبلي. سمع وتفقه على الشيخ الموقّق، وكتب الخطّ المنسوب. وكان إمام الجامع الغربي بنابلس، وفيه دين وخير وعبادة. كتب عنه الحافظ ابن الحاجب وغيره. وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة ثمان وثلاثين وست مائة.

١١٨ - «أمير المسلمين صاحب المغرب»^(٢) يوسف بن عبد المؤمن بن علي السلطان أمير المسلمين صاحب المغرب أبو يعقوب، كان أصغر إخوته سنّاً ولكن قدّمته النجابة والسعادة؛ وكان وليّ عهد عبد المؤمن ولده محمد الأكبر، لكن اجتمع بنو عبد المؤمن بعد موت أبيهم فمال ولده علي إلى الوفاء بعهد محمد ومال أبو حفص عمر إلى مبايعة يوسف وقال: إن محمداً ضعيف لا يقوم بالأمر، فتشاجرا حتى آل الأمر إلى أن تضارباً، فضرب أبو حفص أخاه علياً في حلقة بمقصد كان في يده وصاح بغلماناه وعبيده وكان قد أعدّهم لذلك فقتلوا علياً في المجلس، وكنتم موت عبد المؤمن وسلّم محمد الأمر إلى يوسف وقال: «إنما أريد الخلافة لأصون بها روحي فإذا كان فيها إتلاف الأرواح فلا حاجة لي بها» وأقبل على خلواته. وانفرد يوسف بتدبير الأمور، واعتدت الأيام فأظهر خلافته وموت أبيه وخطب لنفسه وتحبّب إلى الناس بحسن السيرة. وجاءت سنة ذات وباء فمات فيها محمد وليّ عهد عبد المؤمن وأخوه أبو حفص قاتل علي، ومات عثمان أخوهم أيضاً.

وكان جليل القدر مخوف الجانب، وكان عبد الله بن عبد المؤمن صاحب الغرب الأوسط عظيماً وبهذه الجيوش والأموال فتوصّل إلى أن أهدى إلى عبد الله جارية ذات جمال ومعها خرقه مسمومة، فسّمته بها عند الفراغ من الجماع، فمات عبد الله واستبدّ يوسف بالأمر وأمن المنازع. وعبر إلى الأندلس بنفسه في مائة ألف فارس فأحسن ابن مردنيش الغلبة فاشتدّ مرضه ومات. ووالى يوسف موقعة الكفّار وحصر مدنيهم، وفتح معاقلم واستولى على جملة منها. وسار إلى أقصى إفريقية وفتح قفصة - وهذا المقدار مسيرة ثلاثة أشهر - ثم عاد إلى الأندلس غازياً وقصد شنترين فحصرها شهراً، فأصابه بها مرض قضى

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦٣١ - ٦٤٠)، و«شذرات الذهب» (٢٠٢/٥).

(٢) انظر ترجمته في «الاستقصا» (١٥٩/١)، «الكامل» لابن الأثير (٢٩١/١١)، و«نفع الطيب» (٣٧٨/٤).

عليه، ومات - رحمه الله تعالى - في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وخمسة مائة. وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وأشهرًا. وكان حسن الصورة لطيف الأخلاق، غير أنه أفرط في محاسبة العمال وقبض يده، وكان يقال عنه إنه جماع مناع، وكان بليغًا شاعرًا فمن كلامه قوله لبعض حاشيته: «إنا جربناك فوجدناك كالذهب الإبريز ما أحرق بالنار زاد طيبًا، فوالله لأملأن عينك قُرَّةً، وقلبك مسرة». ولما ثارت عليه قبائل غماره أمر أحد كتّابه أن يكتب لهم بالترغيب والترهيب، فلما كتب الكاتب الكتاب زاد فيه يوسف بخطه: «أنتم أيها الفرقة الناشرون بين أمرين: إما أن تكونوا عند الموحدين بمنزلة الضيوف، وإما أن تستمروا على غيكم وما زرعه فيكم شياطينكم فتحصدكم السيوف».

وقد وصفه الشقندي في كتاب «ظرف الظرفاء»، بالشعر والأدب وعلم المنطق، وأنشد له هذه الأبيات وهي التي قالها في مخاطبة أولاد ابن مردنيس لما كتبوا إليه يعلمونه بموت أبيهم ويظهرون الطاعة له والانقياد ويرغبون في الوصول إليه وتقبل يديه: [من الطويل]

لِقَاؤُكُمْ بِالرَّحْبِ وَالْمَنْزِلُ السَّهْلُ وَمِثْوَاكُمُ كَالرَّوْضِ يَرْتَاخُ لِلطَّلِ
وَأَثَرْتُكُمْ زَادَتْ عَلَى كُلِّ أَثَرَةٍ وَأَنْتُمْ لَهَا أَهْلُ فَبُورِكَ مِنْ أَهْلِ
هَلُمُوا إِلَيَّ مَا اعْتَدْتُمْ مِنْ كَرَامَةٍ وَحَفِظْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ

وقد وجدت أنا له في بعض تعاليقي: [من الوافر]

هَمُو نَظَرُوا لَوَاحِظَهَا فَهَامُوا وَتَشَرَّبُ عَقْلَ شَارِبِهَا الْمَدَامُ
يَخَافُ النَّاسُ مَقْلَتَهَا سَوَاهَا أَيْذَعِرُ قَلْبَ حَامِلِهِ الْحَسَامُ
سَمَى طَرْفِي إِلَيْهَا وَهُوَ بَاكِ وَتَحْتَ الشَّمْسِ يَنْسَكِبُ الْغَمَامُ
وَأَذْكُرُ قَدَّهَا فَأَنْوَحُ وَجَدًّا عَلَى الْأَغْصَانِ يَنْتَحِبُ الْحَمَامُ
وَأَغْقَبَ بَيْنَهَا فِي الصَّدْرِ غَمًّا إِذَا غَرَبَتْ ذِكَاءُ أَتَى الظَّلَامُ

قلت: شعر جيد في الذروة.

١١٩ - «ابن عُتْبَةَ الطيب»^(١) يوسف بن عُتْبَةَ الإشبيلي، أبو الحجاج الأديب الشاعر الطيب. له مصنفات في الأدب وله شعر وموشحات. وكان ضنينًا بنفسه، وتوفي - رحمه الله - بالقاهرة سنة ست وثلاثين وست مائة. قدم القاهرة فلم يقبل عليه إلا ابنُ يغمور، فصيره مع أطباء البيمارستان وصار يأنس به في بعض الأوقات، فسأله يوماً عن بلاده فقال: فارقْتُ

(١) انظر ترجمته في «نفح الطيب» (١١١/٢).

الأندلس وهي مضطربة بدولة ابن هود، ومع هذا فأشتهي أعود إلى بلادي لما أشاهده من أشعار النصارى بهذه البلاد ثم أنشد: [من مخلع البسيط]

أصبحْتُ في مصر مُستضاماً أرقصُ في دولة القروود
واضيعة العُمر في أخير مع النصارى أو اليهود
بالجدِّ رزقُ الأنام فيهم لا بذوات ولا جُددود
لا تبصر الدهر من يراعي معنى قصيد ولا قصود
أودُّ من لؤمهم رجوعاً للغرب في دولة ابن هود
ومن شعره: [من الوافر]

أعدنا فحمة الظلماء ناراً براح بات موقدها بَراح
فأشرقت الجهات بها وزادت بما استرقته من غرر الملاح
وما زلنا ندير الكأس ورداً ودرّ الروض يَبْسِمُ عن أقاح
إلى أن شقَّ جيبَ اللَّيل شوقاً وعن بكأسنا ضوء الصّباح
وقد لظمت كؤوس الرّاح منّا لها صرعى على تلك البطاح

١٢٠ - «الكوفي»^(١) يوسف بن عدي، أبو يعقوب الكوفي. روى عنه البخاري، وروى النسائي عن رجلٍ عنه، وأبو زرعة، وأبو حاتم. قال أبو زرعة: ثقة، وأضرَّ قبل موته بيسير. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

ابن علي

١٢١ - «اليسكري المقرئ»^(٢) يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل، والهُذلي أبو القاسم الضربير المقرئ اليسكري - بالباء ثانية الحروف والسين المهملة والكاف والراء - ويسكر من بلاد المغرب، ويسكره مدينة من إقليم يعرف بالزاب الصغير، وهي في عمل المعز بن باديس. ولد سنة ثلاث. وأربع مائة، وتوفي سنة خمس وستين وأربع مائة. قدم بغداد وطوّف البلاد في طلب القراءات، وقرأ على المشايخ بإصبهان وسمع من أبي نعيم

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٧٥/٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٣١-٢٤٠)، و«تهذيب التهذيب» (١١/٤١٧).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٣٢٤/٣)، و«بغية الوعاة» (٣٥٩/٢)، «تاريخ الإسلام» (٤٥١-٤٦٠)، و«معجم الأدباء» (٢٨٤٩/٦).

أحمد بن عبد الله الحافظ، وبنيسابور من أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف، وقرأ ببغداد على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وغيره. وله كتابُ سَمَاء «الكامل في القراءات». وكان يدرس النحو ويفهم الكلام والفقه.

١٢٢ - «الزُّنْجَانِي الشَّافِعِي»^(١) يوسف بن علي بن محمد بن الحسين الزنجاني، أبو القاسم الشافعي. تفقه على أبي إسحاق الشيرازي وبرع في المذهب والخلاف، وكان يدرس في مسجده المعروف به بدرج الدواب. وسمع من أبي الحسين محمد بن علي بن المهتدي، وأحمد بن محمد بن النقور. وحُدِّث باليسير وروى عنه أبو المعتمر الأنصاري، وأبو طاهر السلفي في معجميهما. وتوفي، رحمه الله تعالى، في صفر سنة خمس مائة. وكان الكيِّا الهراسي يفضله على جميع فقهاء بغداد، ويقول: «هو أفقههم وأعرفهم بالمذهب لو كان بخراسان لكان مرحولاً إليه»، وإذا سبقه في فتوى يكتب تحت خطه: «هذا صحيح وبه أقول وجوابي مثل هذا»، أو ما في معناهما.

١٢٣ - «صاحب إربل»^(٢) يوسف بن علي كوجك بن بكتكين، زين الدين أبو يعقوب ابن زين الدين صاحب إربل. وَلِيَّهَا بعد والده إلى أن مات بظاهر عكا مرابطاً في سنة ست وثمانين وخمس مائة. وولي بعده ولده فغلب على البلد أخوه مظفر الدين.

١٢٤ - «القُضَاعِي»^(٣) يوسف بن علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الرحمن، أبو يعقوب القضاعي، ويقال: أبو الحجاج الأندلي - بالهمزة المضمومة والنون والبدال - الأندلسي. دخل بغداد تاجراً وسمع من الشريف أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزُّنْبِي، وأبي القاسم علي بن أحمد، وأبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون التُّرْسِي، وأبي بكر محمد بن طرخان بن يلتكين بن يحكم التركي وأمثالهم. ولقي التحرير صاحب «المقامات» وأخذ عنه.

وقتل بالمَرِيَّة سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة عند دخول الروم إليها، وعمره يومئذ خمس وثمانون سنة.

١٢٥ - «أخو الصاحب تقي الدين»^(٤) يوسف بن علي بن مُهاجر، الصِّدر الكبير جمال

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٩١-٥٠٠)، و«مرآة الزمان» (٢٢/٨)، و«البدایة والنهاية» (١٢/١٦٩).

(٢) انظر ترجمته في «الكامل» لابن الأثير (٥٦/١٢)، و«شذرات الذهب» (٤/٢٨٨).

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٨٦/٢٠)، و«معجم البلدان» (١/٢٦٤)، والأندلي: بضم الهمزة وسكون النون، نسبة إلى أندة، وهي مدينة من أعمال بلنسية الأندلس.

(٤) انظر ترجمته في «البدایة والنهاية» (٣/٣٤٣).

الدين التكريتي، التاجر البيّ، أخو الصاحب تقي الدين توبة - وقد تقدّم ذكر أخيه في حرف التاء - كان شيخاً جليلاً ذا حرمة. ولي حسبة دمشق مديدة؛ وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة أربع وتسعين وست مائة.

١٢٦ - «البغدادى»^(١) يوسف بن علي، أبو الحجاج البغدادى المعدّل، روى عنه الدميّاطي وتوفي سنة تسع وأربعين وست مائة.

ابن عمر

١٢٧ - «المظفر صاحب اليمن»^(٢) يوسف بن عمر بن علي بن رسول، السلطان الملك المظفر شمس الدين ابن السلطان الملك المنصور نور الدين صاحب اليمن وابن صاحبها. قتل أبوه وعمره ست وأربعون سنة فقام هو بالأمر، وبعده الملك الأشرف ممهد الدين فما أسنى، وملك بعده الملك المؤيد هزبر الدين. وكان نور الدين عمر مقدّم جيوش الملك أقسيس صاحب اليمن ابن الكامل، لما مات أقسيس بمكة غلب نور الدين على الملك وأطاعه الأمراء وملك اليمن نيافاً وعشرين سنة، ثم إنّ المظفر ملك بعده فامتدت أيامه وبقي في الملك سبعاً وأربعين سنة، وتوفي بقلعة تعز وقد نيف على الثمانين. وكان ملكاً هماماً جواداً عفيفاً عن أموال الرعايا، كافاً لجنده عن الأذية، وكان مقصداً للوافدين. جمع لنفسه جزءاً فيه أربعين حديثاً بأسانيد في الترغيب والترهيب، وهو مسموعات من مشايخ اليمن بتزول.

١٢٨ - «ابن صُفَيْر الواسطي»^(٣) يوسف بن عمر بن أبي بكر بن يوسف، أبو يعقوب الصوفي المعروف بابن صُفَيْر الواسطي. طلب الحديث بنفسه وسمع الكثير وكتب بخطه أكثر ما سمعه؛ فسمع أبا البقاء هبة الكريم بن الحسن حبانس، والقاضي أبا الفضل هبة الله بن علي بن قسام، وأبا طالب سليمان بن محمد العُكْبَرِي الزاهد وغيرهم. وقدم بغداد وسمع الشريف عيسى بن أحمد الدوشابي، ومنوجهر بن محمد بن تركانشاه، وعبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف وغيرهم.

وكتب وحصل وعاد إلى واسط، وعاد إلى بغداد مراراً وحدث بها وأضرّ، وكان صدوقاً حسن الطريقة متديناً توفي، رحمه الله، سنة ست وثلاثين وست مائة.

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «البداءة والنهاية» (٣٤١/١٣)، و«شذرات الذهب» (٤٢٧/٥)، و«النجوم الزاهرة» (٧١/٨).

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦٣١-٦٤٠)، «شذرات الذهب» (١٨٢/٥).

١٢٩ - «حفيد نظام المُلك»^(١) يوسف بن عمر بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي، أبو المحاسن. من أحفاد الوزير نظام الملك أبي علي. كان شيخاً فهماً له معرفة بأيام الناس ويحفظ كثيراً من الحكايات والأشعار. قال محب الدين بن النجار: إلا أنه كان سيئ الطريقة غير مرضي السيرة، عفا الله عنه. سمع أبا الوقت، وأبا القاسم نصر بن نصر بن علي العُكْبَرِي، وغيرهما. وتوفي سنة ثمان عشرة وست مائة.

١٣٠ - «ابن عمّ الحجاج»^(٢) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي هو ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي، يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل. ولاء هشام بن عبد الملك اليمن ثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست ومائة، ولم يزل بها إلى أن ولاء العراق فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة، فبقي إلى سنة أربع وعشرين. وكتب إليه هشام: «سِرْ إلى العراق فقد وَلَيْتُكَ إِيَّاهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَعْلَمَ بِكَ أَحَدٌ، وَاشْفِنِي فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَعَمَالِهِ»، فوصل إليها؛ وحلّ بخالد وأصحابه أنواع العذاب والهون، ومات منهم في العذاب جماعة. وكان يوسف بن عمر قد خرج إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً في ثلاثين من أصحابه، فلما وصل الكوفة عرّس قريباً منها، وصار إلى دور بني ثقيف فأمر بعضهم فجمع له من قَدِرَ عليه منهم، فدخل المسجد الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فقال: حتى يأتي الإمام. فانتهره، فأقام [وتقدّم] يوسف فصلّى وقرأ «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» [الواقعة: ١/٥٦] و«سَأَلَ سَائِلٌ» [المعارج: ١/٧٠] ثم إنه أرسل إلى خالد، وطارق نائبه، وأصحابه فأخذوا، وإنّ القدور لتغلي. وحبس يوسف خالداً فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف درهم، ثم ندم يوسف، ففيل له: لو لم تقبل منه هذا لأخذت منه مائة ألف ألف درهم، فقال: «ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني»، ولما بلغ ذلك خالداً قال لأصحابه: «أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول دفعة فارجعوا إليه فقولوا: إنا أخبرنا خالداً بما فارقتك عليه، فذكر أنه ليس عنده». فقال: «أنتم وصاحبكم أعلم، فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعت لم أمنعكم». قالوا: «فإنّا قد رجعنا»، قال: «فوالله لا أرضى بتسعة آلاف درهم ولا بمثلها ومثلها، فذكر ثلاثين ألف

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦١١-٦٢٠).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٤٢/٥)، الطبري (١٤٨/٧)، ١٦٦، ٢٦٠ وغيرها، و«فيات الأعيان» (١٠١/٧)، «تاريخ الإسلام» (١٩١/٥)، «مرآة الجنان» (٢٦٧/١)، «التنبيه والإشراف» (٢٨١)، «شذرات الذهب» (١٧٢/١)، «الكامل» (٢١٩/٥)، ٢٢٥، ٢٦٩، ٢٩٥، ٢٩٧.

ألف درهم»، ويقال: مائة ألف ألف درهم. ثم إنه حبس خالداً وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً، فكتب هشام إلى يوسف: «أعطي الله عهداً لئن شأكت خالداً شوكة لأضربن عنقك»، فخلّى سبيله بثقله وعياله، فأتى الشام وأقام به ولم يزل يغزو الصوائف حتى مات هشام. وقيل: إنه سأل هشاماً أن يبسط العذاب على خالد فلم يأذن له، وألح عليه بالرسائل واعتلّ بانكسار الخراج لما صار إليه وإلى عماله منه، فأذن له مرة واحدة، وبعث حرسياً يشهد ذلك؛ وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به، فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وجهز للناس ويسط عليه العذاب، فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال له: يا ابن النصرانية، يا ابن الكاهن، يعني شقاً أحد أجداده، وهو الماهن المشهور، فقال له خالد: إنك الأحق، تُعيرني بشرفي، لكنك ابن السبّاء، إنما كان أبوك يسبأ الخمر - يعني يبيع الخمر - ثم إنه رد خالداً إلى محبسه فأقام ثمانية عشر شهراً، ثم إن هشاماً كتب إليه بإطلاقه وأقام بأرض القرية، من أرض الرصافة ولم يأذن له هشام في القدوم عليه.

وخرج زيد بن زين العابدين على يوسف بن عمر، فكتب يوسف إلى هشام: «إنّ أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً، حتى كانت همّة أحدهم قوت يومه، فلما ولي خالد العراق قوّاهم بالأموال حتى تاقت نفوسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلّا بإذن خالد، وما مقامه بالقرية إلّا لأنها مدرجة الطريق، فهو يسأل عن أخباره»، فقال هشام للرسول: «كذبت وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالداً فإنّا لا ننتهمه في الطاعة»، وأمر بالرسول فوجئت عنقه، وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق.

وبقي يوسف على ولاية العراق مدة ولاية هشام فلما تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأقر يوسف على ولاية العراق، وكان قد عزم على عزله، وكانت أم الوليد بن يزيد، أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف، فالحجاج عمها. وكتب الوليد إلى يوسف بن عمر: «إنّك كتبت إليّ تذكر أنّ خالداً أخرب العراق، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل، وينبغي أن تكون قد عمرت العراق، فاشخص إلينا وصدّق ظننا بك فيما تحمله إلينا من عمارة العراق، فإنك خالنا وأحق الناس بالتوفير علينا». فخرج يوسف بن عمر إليه وحمل معه من الأموال والآنية والأمتعة ما لم يحمل مثله، فأقبل إليه والتزم بأنه إن يسلم إليه خالداً القسري أن يحمل خمسين ألف ألف درهم، فسلمه إليه فحمله معه وعذبه إلى أن قتله.

ولما تولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ولّى العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي، فأبى الولاية، فولاه منصور بن جمهور، وبلغ الخبر

يوسف بن عمر فهرب وسلك طريق السماوة، وكان أهله بالبلقاء فاختموا عندهم ولبس زي النساء، وبلغ الخبر يزيد بن الوليد، فأرسل إليه من أحضره على هيئته، فحبسه يزيد فأقام في السجن مدة يزيد بن الوليد، فلما مات يزيد وولي أخوه إبراهيم بن الوليد بقي يوسف بن عمر مدة ولاية إبراهيم في السجن، وتولى مروان آخر ملوك بني أمية. وكان يزيد بن خالد القسري مع إبراهيم بن الوليد، فلما خافوا من مروان عند التقاء عسكريهما، خافوا غائلة الحكم وعثمان بن الوليد وهما في السجن، فجهزوا يزيد لقتلهما، فتوجه، إليهما وقتلهما، وكان يوسف بن عمر عندهما فقتله يزيد بن خالد القسري، وذلك سنة سبع وعشرين ومائة. وقيل إنه قُتل في العشر الأوسط من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وأخذوا رأس يوسف عن جسده وشدوا في رجله حبلاً، وكان الصبيان يجرونه في شوارع دمشق فتمر به المرأة فتحسبه صغيراً فتقول: «لأي شيء قتلوا هذا الصغير المسكين»، لما ترى من صغر جثته. وكان يوسف بن عمر قصيراً جداً ولحيته طويلة جداً تجوزُ سرته وكان أتية الناس وأحمقهم، ومن حمقه أن حجّاماً أراد أن يحجمه فارتعدت يده فقال لحاجبه: قل لهذا البائس لا يخف، وما رضي أن يكلمه بنفسه. وكان الخياط إذا أراد أن يفصل ثيابه، إن قال: يحتاج إلى زيادة ثوب آخر أكرمه وحباه، وإن فضل من القماش شيئاً أهانه وأقصاه، لأنه يكون قد نبه على قصره ودمايته. وفي الأمثال: «أتية من أحمق ثقيف»، المراد به يوسف بن عمر.

وقال بعضهم: رأيت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق، ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسري، قاتله، وفي مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع.

وكان يوسف يُطعم الناس في كل يوم على خمسة آلاف خوان، كل خوان عليه عشرة أنفس، وكان الحجاج يُطعم أهل الشام خاصة على ألف خوان، فأطعم يوسف بن عمر أهل الشام وأهل العراق.

١٣١ - «الخُتْنِي»^(١) يوسف بن عمر بن الحسين، الشيخ العدل المعمر بدر الدين الخُتْنِي بضم الخاء المعجمة وفتح التاء ثالثة الحروف وبعدها نون وياء النسبة - المصري. ولد في سنة خمس وأربعين، وحضر في الرابعة على ابن رواج وتفرّد به، وسمع من صالح المدلجي، والمرسي، والبكري، وابن اللمطي، وتفرّد بأشياء وله مشيخة روى فيها عن نيف وستين نفساً، وأكثر الطلبة عنه. توفي - رحمه الله -، سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة.

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٩٧/٦)، و«الدرر الكامنة» (٢٤٢/٥)، و«الجواهر المضية» (٢٢٩/٢).

١٣٢ - «ابن عمروس المُنْبِي»^(١) يوسف بن عمروس المُنْبِي القرطبي، من ساكني مُنْبِيَة عَجَب، وإليها يُنسب. سمع من محمد بن إبراهيم بن محمد بن باز، وابن وضاح وغيرهما. وكان رجلاً عابداً حافظاً لرأي مالك، رضي الله عنه، وأصحابه، وانقبض قبل موته بسنين، وكان يُخْتَلَفُ إليه للسمع منه في داره. ذكره إسماعيل، وابن حارث، وابن الفرضي.

١٣٣ - «المَرْوُزِي»^(٢) يوسف بن عيسى بن دينار المروزي. روى عنه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي. وتوفي في حدود الخمسين والمائتين.

١٣٤ - «العُشَّاب المَرِي»^(٣) يوسف بن فتوح، أبو الحجاج الأندلسي المري العُشَّاب. كان ذكياً فاضلاً، ولي الشورى ببلده، وكان له حظ من الفقه والتفسير ومعرفة النبات، وكان يجلبه ويتجر فيه؛ وله سماعه ورواية.

وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة إحدى وستين وخمس مائة،

١٣٥ - «قاضي الأهواز»^(٤) يوسف بن الغرق بن لُمَازَه، قاضي الأهواز. توفي في حدود المائة، رحمه الله تعالى.

١٣٦ - «حاجب شمس الملوك»^(٥) يوسف بن فيروز حاجب شمس الملوك، هرب من شمس الملوك خائفاً من دمشق إلى تدمر، وكان سفيراً بين قراجاً وشهاب الدين محمود في تسليم حمص، وحلف له شهاب الدين وأمنه فعاد إلى دمشق ينوب في التدبير عن معين الدين أنر، وكان في نفس الغلمان الأتابكية عليه حقد لأن أيلبا لما قفز على شمس الملوك أشار عليه بقتله، وكان بزواش أتابك العسكر يحسده، ويوسف يهيئه ويهين الأتابكية، فاتفقوا على قتله فالتقاه بزواش عند المسجد الجديد في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمس مائة، فضربه بالسيف على وجهه فقتله، وهرب فطلبه شهاب الدين محمود وقال لا بدّ من قتله وقتل الغلمان الأتابكية، ف قيل له: «في هذا إفساد الدّولة، وأعداؤك من كل جانب»، فسكت على مضض، وعاد بزواش إلى دمشق.

(١) انظر ترجمته في «ترتيب المدارك» (١٥٣/٦).

(٢) انظر ترجمته في «التهذيب التهذيب» (٤٢٠/١١) و«الجرح والتعديل» (٢٢٧/٩) و«تاريخ الإسلام» (٢٤١-٢٥٠).

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (١٩١-٢٠٠)، و«ميزان الاعتدال» (٤٧١/٤).

(٥) انظر ترجمته في «الكامل» لابن الأثير (٣٨/١١).

ابن القاسم

١٣٧ - «قاضي دمشق»^(١) يوسف بن القاسم بن يوسف بن فارس بن سوار الميائجي الشافعي، ناب في القضاء بدمشق عن قاضي مصر والشام أبي الحسن علي بن النعمان، وكان مسند الشام في زمانه، وتوفي سنة خمس وسبعين وثلاث مائة.

١٣٨ - «أبو القاسم الكاتب»^(٢) يوسف بن القاسم بن صبيح، أبو القاسم الكاتب، والد أحمد وزير المأمون. كان كاتباً بليغاً، وله رسائل مدونة وشعر. وكان يكتب في ديوان الكوفة لبني أمية، ثم إنه كتب للسفاح وللمنصور وللرشيد واختصّ يحيى بن خالد بن برمك، فكان يكتب بين يديه ويخلفه على التوقيع، وعلى دواوين الأمانة.

ومن شعره: [من الطويل]

هجرْتُك لَمَّا لم أجد فيك مسكَةً وصادفتُ منك الودَّ غيرَ قريبٍ
وما كنت أدري أنَّ مثلك ينشني على جنبِ خَوَانِ الصَّدِيقِ مريبٍ
فراقُ أخٍ يعطي المودةَ حَقَّها أضُرُّ وأبلى من فراقِ حبيبٍ

١٣٩ - «سبط ابن الجوزي»^(٣) يوسف بن قزغلي - بالقاف والزاي والغين المعجمة واللام - ابن عبد الله، الإمام المؤرخ الواعظ، شمس الدين أبو المظفر التركي ثم البغدادي العوني الحنفي، سبط الإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي. نزل دمشق، ولد سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة، وتوفي رحمه الله تعالى، سنة أربع وخمسين وست مائة.

سمع من جدّه، وسمع بالموصل ودمشق من جماعة. وكان إماماً فقيهاً واعظاً وحيداً

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦/٣٦١)، «معجم البلدان» (٥/٢٣٨)، «اللباب» (٣/٢٧٨)، «العبر» (٢/٣٧١)، «تاريخ الإسلام» (٤) الورقة (٢٠/أ)، «طبقات السبكي» (٣/٤٨٨)، (٤٨٩)، «النجوم الزاهرة» (٤٠/١٤٨)، «قضاة دمشق» لابن طولون (٣٧)، «شذرات الذهب» (٣/٨٦)، «تاج العروس» مادة (منيع)، «هدية العارفين» (٢/٥٤٩).

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الطبري» (٨/٢٣٠).

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٢٩٦)، «ذيل الروضتين» لأبي شامة (١٩٥)، «وفيات الأعيان» (٣/١٤٢)، «صلة التكملة» للحسني المجلد الثاني الورقة (٢٥)، «ذيل مرآة الزمان» لليوني (١/٣٩-٤٣)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (أيا صوفيا ٣٠١٣ ج ٢٠ الورقة (١٣٥)، «العبر» (٥/٢٢٠)، «ميزان الاعتدال» (٤/٤٧١)، «وفات الوفيات» (٤/٣٥٦-٣٥٧)، «الترجمة» (٥٩٢)، «عيون التواريخ» لابن شاعر (٢٠/١٠٣-١٠٤)، «مرآة الجنان» (٤/١٣٦)، «منتخب المختار» لابن رافع (٢٣٦-٢٣٩)، «الترجمة» (١٩٦)، «الجواهر المضية» (٢/٢٣٠-٢٣٢)، «الترجمة» (٧١٩)، «البداية والنهاية» (١٣/١٩٤)، «العسجد المسبوك» (٦٢٣)، «لسان الميزان» (٦/٣٢٨)، «الترجمة» (١٩٦٨)، «النجوم الزاهرة» (٧/٣٩)، «الدارس» للنعمي (١/٤٧٨)، «شذرات الذهب» (٥/٢٦٦)، «الفوائد البهية» (١٨٣).

في الوعظ، علامة في التاريخ والسَّير، وافر الحُرمة، محبباً إلى الناس، حلو الوعظ. قدم دمشق وهو ابن نيف وعشرين سنة ونفق على أهلها وأقبل عليه أولاد العادل، وصنف في الوعظ والتاريخ وكان والده قَزْغلي من موالي الوزير عون الدين بن هبيرة، وروى عنه الدمياطي - ويقال في والده: زُغلي، بحذف القاف.

وهو صاحب «مرآة الناس»، وأنا ممّن حسده على هذه التسمية، وهي لائقة بالتاريخ، كأن الناظر في التاريخ يعاين من ذكر فيه في مرآة، إلا أن في المرآة صداً المجازفة منه، رحمه الله تعالى، في أماكن معروفة.

قال الشيخ شمس الدين: وقد اختصره شيخنا قطب الدين اليونيني وذَيَّل عليه إلى وقتنا هذا. ولما مات حضر جنازته السلطان ومن دونه. ودرّس بالشُّبْلِيَّة مدة، وبالمدرسة البدرية؛ وقرأ الأدب على أبي البقاء، والفقه على الحصري، ولبس الخرقة من عبد الوهاب بن سكيّنة، وكان حنبلياً فانتقل وصار حنفيّاً، للدُّنيا. وصنّف في «مناقب أبي حنيفة» جزءاً، و«معادن الإبريز» في التفسير تسعة وعشرون مجلداً، وشرح «الجامع الكبير» في مجلدين.

١٤٠ - «الذهبي الشّاعر»^(١) يوسف بن لؤلؤ الذهبي الأديب بدر الدين الدمشقي الشّاعر، كان والدّه لؤلؤ عتيق دلدرم صاحب تل باشر.

له نظم يروق الأسماع، ويعقد على فضله الإجماع، مدح النّاصر بن العزيز والكبار. وكان له بيت في الجاروخية. عاش ثلاثاً وسبعين سنة، وتوفي - رحمه الله - في شعبان سنة ثمانين وست مائة. يقال: إنه كانت له دكان باللبّادين له فيها قفص على العادة فيه خواتم وغيرها، فجاءه مملوك من مماليك النّاصر صاحب الشام، فقال له: «عندك خاتم على قدر إصبعي؟» فقال: «بل عندي إصبع على قدر خاتمك»، فبلغت الواقعة الناصر فاستظرفه وكان ذلك سبب اتصاله به.

ومن شعره ما أنشدنيه من لفظه الحاج لاجين الذهبي، قال: أنشدني من لفظه لنفسه وقد توالى الأمطار بدمشق: [من الرمل]

إن أقام الغيثُ شهراً هكذا جاء بالطوفان والبحر المحيط

ما هم من قوم نوح يا سما أقلعي عنهم فهم من قوم لوط

وقال لي لاجين: هذا هو الذي أوّل من علّم الناس المجتس بدمشق، وهو تلبيس الذهب الفضة وجعله شريطاً، يعني يوسف الذهبي هذا.

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٣٦٩/٥)، و«ذيل الزمان» (١٣٤/٤).

ومن شعره في غلام بوجهه حَبُّ الشباب: [من الطويل]

تَعَشَّقْتُه لَدُنَّ الْقَوَامِ مُهْفَهَفَاً شَهْيَ اللَّمَى أَحْوَى الْمَرَاشِفِ أَشْنَبَا
وَقَالُوا: بَدَا حَبُّ الشَّبَابِ بِوَجْهِهِ فَيَا حُسْنَهُ وَجْهًا إِلَيَّ مُحَبَّبَا

وذكرت هنا ما نظمته أنا في مثله: [من مجزوء الرَّمْل]

إِنَّ حَبَّ الْخَدِّ مِمَّنْ حُبُّهُ زَادَ اكْتِنَابِي
أَتَعَبَ الْقَلْبَ إِلَى أَنْ شَابَ فِي حَبِّ الشَّبَابِ
وَنَظَمْتُ فِيهِ أَيْضًا: [من مَخْلَعُ الْبَسِيطِ]

بَدَا وَحَبُّ الشَّبَابِ بِإِ فَقُلْتُ لَا يُنْكَرُ الصَّوَابُ
حُمْرُهُ خَدَّيْهِ فِي أَحْمَرَارِ وَالْحَبُّ مِنْ فَوْقِهَا حَبَابُ
وَقَالَ الْذَهَبِيُّ الْمَذْكُورُ فِي النَّجْمِ الْعِبَادِي وَقَدْ كَحَلَ غَلَامًا حَسَنًا غَدَوَةً، فَمَاتَ النَّجْمُ
فِي الْعَشِيَةِ الْمَذْكُورَةِ: [من الْكَامِلِ]

يَا قَوْمُ قَدْ غَلَطَ الْحَكِيمُ وَمَا دَرَى فِي كَخْلِهِ الرِّشَاءُ الْغَرِيرَ بِطَبِّهِ
وَأَرَادَ أَنْ يُمَضِيَ نِصَالَ جُفُونِهِ وَيَحْدَهَا لِتَصِيبَنَا فَبَدَتْ بِهِ
وَقَالَ أَيْضًا: [من الطويل]

بَدَا صُدُغٌ مِنْ أَهْوَاهِ فِي مَاءِ هَذِهِ فَحِيرَنِي لَمَّا التَوَى وَتَعَقَّرَبَا
وَقَالُوا: يَصِيرُ الشَّعْرُ فِي الْمَاءِ حَيَّةً فَكَيْفَ غَدَا فِي ذَلِكَ الْخَدِّ عَقْرَبَا
قُلْتُ، وَقَوْلُهُ: تَعَقَّرَبَا وَعَقْرَبَا قَبِيحٌ، وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْفَضْلَاءِ اسْتَعْمَلَ مِثْلَ هَذَا وَأَنَا
أَرَاهُ قَبِيحًا لِأَنَّ الْمَادَّةَ وَاحِدَةً.

وَقَالَ بَدْرُ الدِّينِ الْذَهَبِيُّ: [من السَّرِيعِ]

هَلُمَّ يَا صَاحِبَ الْوَضْعِ يَجْلُو بِهَا الْعَانِي صَدَا هَمِّهِ
نَسِيمُهَا يَعْتُرُ فِي ذَيْلِهِ وَزَهْرُهَا يَرْقُصُ فِي كُفِّهِ
وَقَالَ: [من السَّرِيعِ]

أَذِرْ كَوْوَسَ الرِّاحِ فِي رَوْضَةِ قَدْ نَمَّ قَتَ أَبْرَادَهَا السُّخْبُ
الطَّيْرِ فِيهَا شَيْقُ مُغْرَمِ وَجَدُولُ الْمَاءِ بِهَا صَبُّ
وَقَالَ: [من الْكَامِلِ]

أَرَأَيْتَ وَادِي النَّيْرِينَ وَمَاؤُهُ يَبْدِي لِنَظَرِكَ الْعَجِيبَ الْأَعْجَابُ

يتكسّر الماء الزلّالُ على الحصى
وقال: [من الكامل]

رفقاً أذبت حُشاشةَ المشتاقِ
وأخلّته من بعد تسويفٍ على الد
وطلبت منّي في هواك موثقاً
قلبٌ بعينٍ قد أصيب وعارضُ
ألقي الدموع على الدموع وليّلي
لا تلتقي فيها الجفونُ وإنّي
أشقيق بذر التّم طال تلّهفي
أنفقتُ من صبري عليك وإنّه
فارفق بقلبٍ فيه ما يكفيه
فحرارة الأنفاس قد دلّت على
وصبا بعثتُ به إليك فلم تعد
وتشوّق سطرته في مهرق
وبمهجتي المتحمّلون عشيّة
وحداتهم أخذت حجازاً بعدما
وتنبّهت ذات الجناح بسحرة
ورقاء قد أخذت فنون الحُزن عن
قامت على ساقٍ تطارحني الهوى
أتى تباريني جوى وصبابة
وأنا الذي أُملي الهوى من خاطري
وقال في دولاب: [من مجزوء الرجز]

وروضّة دولابها
من حيث ضاع زهرها
وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]
ربّ ناعورة روض

فإذا غدا بين الرياض تشعبا

وأسلّتها دمعاً من الآماقِ
صّبر الذي لم تُبق منه بواقِي
والقلبُ عندك في أشدّ وثاقِ
فأعده لي فالدمع ليس براقي
أدرى بما ألقى بها وألاقي
لا أرتجي منها ومنك تلاقِي
وأطال فيك العاذلون شقاقي
لرضاك لا لتملّق ونفاقِ
من فرق الصّدود فلا تُرع بفراقِي
ما في الحشا من لا عِج الأحراقِ
وأظنّها حالت عن الميثاقِ
فمحاه واكف دمعِي المهراقِ
والركبُ بين تلازم وعِناقِ
غنّت وراء الرّكب في عشاقِ
في الواديين فنّبّهت أشواقِي
يعقوب والألحان عن إسحاقِ
من دون صحبي بالحمى ورفاقي
وكأبّة وهوى وفيض مآقي
وهي التي تُملي من الأوراقِ

إلى الغُصون قد شكا
دارَ عليه وبكى

بات تندى وتفوح

وهي تبكي وتنوح

فشغرها في الصُّبح بسَّامٌ
فَغَضَّ طرفاً فيه أسقامٌ
أَيْكَةً والشَّحرورُ تَمْتامٌ
لها بنا مَرٌّ وإلِّمامٌ
عذراءٌ فالواشون نُؤامٌ
ففي خلال الروض نَمَامٌ

يختالُ في السَّمر والقضبِ
في العين لَمَّا سار في القَلْبِ

فاخجل غُضْنَ البان وهو نضيرُ
على مثلها كان الخصيبُ يدورُ

ما ضرَّهم لو أنَّهم جبروه
لكنهم لما حلا هجروه

لجائزة قد عيل من دونها صبري
فكيف وقد صيَّرتموها إلى الحشر

أبليتَه صَدّاً وهجرا
فرددته في الحال نهرا

إذا بدا كيف أسلو
وكلما مرَّ يحلو

تضحك الأزهارُ منها
وقال أيضاً: [من السريع]

باكِراً إلى الروضة تَسْتَجْلِيها
والنَّرجسُ الغضُّ اعتراه الحيا
وبلبل الدَّوحِ فصيحٌ على الـ
ونسمةُ الرِّيحِ على ضعفها
فعاطني الصَّهباءُ مشمولةً
وأكتم أحاديثَ الهوى بيننا

وقال في مליح في الجيش: [من الكامل]
يا حُسْنَه في الجيشِ حين غدا
لم ألقَ أحلى من شمائلِه
وقال: [من الطويل]

وأخوى ثنى من قدَّه اللدنِ ذابلاً
على الوجنة الخضراء دار عذاره
وقال: [من الكامل]

صدّوا وقد دبَّ العذارُ بخدّه
هل ذاك غيرُ نباتِ روضٍ قد حلا

وقال وقد أحيل على ديوان الحشر: [من الطويل]
أمولاي محيي الدين طال ترددي
وقد كنت قبلَ الحَشْرِ أرجو نجازها

وقال: [من مجزوء الكامل]
رِفْقاً بصَّبٍّ مغرمٍ
وافاك سائل دمعته

وقال: [من المجتث]
يا عاذلي في هواه
يمرُّ بي كلّ وقت

وقال: [من الكامل المجزوء]

إِنَّ الَّذِينَ تَرَحَّلُوا
أَسْكَنَتْهُمْ فِي مُهْجَتِي
نَزَلُوا بِعَيْنِي النَّازِرَةَ
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ

وقال: [من مخلع البسيط]

يَا رَشَاءُ كُلَّمَا مَرَرْتَ بِهِ
قَدِ قَمَتَ بِالْقَلْبِ فِي هَوَاكَ ضَنْئِي
يَخْفُقُ قَلْبِي لَهُ وَيَضْطَرُّ
وَأَنَا قَمْتُ بِالَّذِي يَجِبُ

وقال في نجم الدين بن إسرائيل لَمَّا هَوَى مَلِيحاً يُدْعَى الْهُوَيْرِج: [من المجتث]

قَلْبُكَ الْيَوْمَ طَائِرٌ
كَيْفَ يُرْجَى خَلَاصُهُ
عَنكَ أَمْ فِي الْجَوَارِحِ
وَهُوَ فِي كَفِّ جَارِحِ

فلما سمع ذلك قال: خلص الطائر، فقال: [من الكامل]

خَلَصْتَ طَائِرَ قَلْبِكَ الْعَانِي تَرَى
وَلَقَدْ يَسِرْ خَلَاصَهُ إِنْ كُنْتَ قَدْ
مِنْ جَارِحٍ يَغْدُو بِهِ وَيَرْوَحُ
خَلَصْتَهُ مِنْهُ وَفِيهِ الرُّوحُ

وقال: [من الوافر]

تَحْيِّرُنَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي
وَكَيْفَ اعْتَلَّتِ النَّسَمَاتُ فِيهَا
جَنَانُ النَّيِّرَيْنِ الْعَالِيَاثِ
وَشَاخُ الْبَانِ وَاکْتَهَلَ النَّبَاتُ

وقال في مليح ورّاق: [من الطويل]

خَلِيلِي جَدَّ الْجَدِّ وَاتَّصَلَ الْأَسَى
وَقَدْ أَصْبَحَ الْقَلْبُ الْمَعْنَى كَمَا تَرَى
وَضَاقَتْ عَلَى الْمَشْتَاكِ فِي قَصْدِهِ السُّبُلُ
مَعْنَى بَوْرَاقٍ وَمَا عِنْدَهُ وَضُلُ

ذكرت هنا ما قلته في ورّاق: [من السريع]

يَا حَسَنَ وَرَّاقٍ أَرَى خِلْدَهُ
تَمِيسُ فِي الدُّكَّانِ أَعْطَافُهُ
قَدْ رَاقَ فِي التَّقْبِيلِ عِنْدِي وَرَقٌ
مَا أَحْسَنَ الْأَغْصَانِ بَيْنَ الْوَرَقِ

وقال في زهر اللوز: [من مخلع البسيط]

الْلُوزُ أَشْجَارُهُ نَشَاوَى
مَشْتَبِكُ زَهْرُهُ عَلَيْنَا
بِمَيْلِ أَغْصَانِهِ الرُّطَابِ
وَضَلُّ الرُّطْبِ مُسْتَطَابِ
وَنَحْنُ مِنْ سُكْرِنَا نَرَاهُ
كَأَنَّهُ فَوْقَنَا ضَبَابِ

وقال: [من مخلع البسيط]

عَرَّجَ عَلَى الزَّهْرِ يَا نَدِيمِي
فَالْغُضُنُ يَلْقَاكَ بِابْتِسَامِ

وقال: [من مجزوء الكامل]

الزَّهْرُ الطُّفُّ مَا رَأَيْتُ
تَحْنُو عَلَيَّ غُصُونُهُ

وقال يصف غرفة: [من الكامل]

مولاي أَشْكُو غُرْفَةً فِي نَاجِرِ
عِزِّ النِّسِيمِ بِهَا فَلَيْسَ بِسَانِحِ
وقال ملغزاً في السَّرَطَانِ: [من السريع]

مَا اسْمٌ إِذَا مَا أَنْتَ صَحَّفْتَهُ
فِي الرَّاسِ وَالْعَيْنِ يُرَى دَائِماً

وقال: [من الكامل]

وَمُنْعَذِرٌ قَدْ بَيَّتَتْهُ جَمَاعَةٌ
وَإِكْتَالُهُ كُلُّ هُنَاكَ وَمَا رَأَى

وقال: [من السريع]

حَلَا نَبَاتُ الْخَذِّ يَا عَاذِلِي
فَشَأَقْنِي ذَاكَ الْعِذَارُ الَّذِي

وقال في شمعة: [من السريع]

وَشَمْعَةٌ أَوْدَى هَوَاهَا بِهَا
قَدْ مَثَلَتْ مِنْهَا لَنَا نَخْلَةٌ

وقال: [من المجتث]

وَبُنْتُ لَيْلٍ بَكْثُنَا
كَأَنْمَاهِي غُصْنٌ

وقال: [من مجزوء الرجز]

وَذَاتٌ قَدْ أَهْيَيْتُ
كَصَغْدَةٍ مِنْ فُضَّةٍ

وَمِلْ إِلَى ظِلِّهِ الظَّلِيلِ
وَالرَّيْحُ تَلْقَاكَ بِالْقَبُولِ

تِ إِذَا تَكَاثَرَتِ الْهَمُومُ
وَيَرْقُ لِي فِيهِ النَّسِيمُ

كَالنَّارِ تَلْفَحُ بِالْهَجِيرِ الْآفَحِ
وَحَلَا الذَّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحِ

صَارَ مِثْنِي بِأَعْتَابِ رَيْنِ
وَهُوَ بِلَا رَأْسٍ وَلَا عَيْنِ

وَلَوْ بِمَا وَعَدُوهُ طَوَّلَ اللَّيْلِ
مِنْهُمْ سِوَى حَشْفٍ وَسُوءِ الْكَيْلِ

لَمَّا بَدَى فِي خَدِّهِ الْأَحْمَرِ
نَبَاتُهُ أَحْلَى مِنَ الشُّكْرِ

وَشَقَّهَا التَّسْهِيدُ وَالدَّمْعُ
وَسَالَ مِنْ ذَائِبِهَا طَلْعُ

بِدَفْمَةٍ مَدْرَارَةٍ
فِي رَأْسِهِ جَلَّ نَارُهُ

فَوَادَهَا قَدْ التَّهَبُ
لَهَا سِنَانٌ مِنْ ذَهَبِ

شبيهة سرحان فلم يسرح
فهو بلا شك من القرح
ء ألقى بي ولم يسبح

لا تزدهيني الغانيات الغيدُ
فألأنه بجفونيه داوودُ

وأتى الخريف بحمرها وبصفُرُها
وتزيد حسناً في أواخر عمرها

أبدت لنا أوراقها ألوانا
أوراقها لفراقها أغصانا

بالخيل في كأس المدامة ترتمي
كفوارس الهيجاء تسبحُ في الدِّم

أحوى رشيْقَ القَدِّ مَيَّاسَةً
وقصدها تأخذُ أنفاسَةً

وقال وقد أعطى الممدوح بعض الشعراء نطعاً: [من السريع]

فذا خير من المنع
فلا غرو إذا جازاك بالنطع

يخوض العوالي والردى وجهه جهمُ
فلا غرو إن وافاك من ضربها سهم

كالظبي لكن لا يصاد

أمطيتني يا سيدي سابحاً
أقرح لكن كبدي إن مشى
وسابحاً يدعى فما باله في الما

وقال في مליح اسمه داوود: [من الكامل]
قد كنت جَلْداً في الخطوب إذا عرت
وعهدت قلبي من حديد في الحشا

وقال في الذهبيات: [من الكامل]

انظر إلى الأغصان كيف تذوّبت
تحلو شمائلها إذا ما أدبرت
وقال: [من الكامل]

فصل الخريف أتى على الشجر التي
فعجبت للأشجار كيف تخلّقت

وقال في الكأس المصوّرة: [من الكامل]

انظر إلى صُورِ الفوارس إذ بدت
ما بين طافر في المدام وراسب
وقال في زهر اللوز: [من السريع]

انظر إلى اللوز تجد غصنه
بزهره تعبث ريحُ الصّبا

لا تلم الممدوح في بذله نطعاً
صفعته بالمدح نظماً

وقال في أمير أصيب بسهم: [من الطويل]

أمولاي نجم الدين والباسل الذي
أجلت قداح الحرب في حومة الوغى

وقال في غلام خصي: [من مجزوء الكامل]

وأغنَّ مهضوم الحشا

أمن البياضُ بخده

وقال: [من السريع]

لا تعذلوني في هوى شادن

لو لم يكن حبي من حسنه

وقال: [من الكامل]

ورياض وقفت أشجارها

طالعت أوراقها شمس الضحى

وقال: [من الخفيف]

وجنان ألفتها إذا تغنت

نهرها مسرعاً جرى وتمشت

وقال يصف سيفاً: [من الطويل]

وذي شطبٍ ماضٍ إذا ما سللته

من المرهفات البيض دبت نماله

وقال في غلام كان عند القاضي بلا خُصَى: [من الكامل]

يا شادنأ أخطى السبيل بقصده

قد كنت عندي بلا خُصَى في نعمة

وقال: [من الكامل]

ورد الكتابُ فقلت زهرُ خميلةٍ

مَثَلْتُ أسطَرَه غصوناً فانبرت

وقال في مליح يلقب بالشَّهاب: [من الخفيف]

يا قضيبَ الأراك عند التثني

عجباً كيف ضلَّ فيك المحبو

وقال: [من البسيط]

إنِّي أذكُر مولاي الأميرَ وما

والدوخُ يبدي الجنى لكنَّ أغصنَه

من أن يكون به سواد

هويت طرفاً منه سَحَّاراً

يحسده النجم لما غارا

وتمشتُ نسمةُ الصبح إليها

بعد أن وقَّعتِ الورقُ عليها

حولها الورق بكرة وأصيلا

في رباها الصبا قليلاً قليلاً

تراه كنجم الرجم يهوى شهابه

وطار مع الهام المطارد نابه

وعصى النجصيح جهالةً في من عصى

فتركته بطراً وجئت بلا خُصَى

تغترُّ عن دمع الغمام الواكِفِ

فيه القوافي كالحمام الهاتف

هزَّ عطفه حين ماس الشبابُ

ن بليلى الأسى وأنت شهابُ

أظنَّه ناسي العهد الذي ذكرا

لو لم تُهزَّ لما أَلقت لنا الثمرا

وقال في مליح أراد تقييله فامتنع القبله في خذه: [من الطويل]

مَنَعَتْ ارتشافَ الثَّغْرِ يا غايَةَ المنى فَرَزَحَحتني منه إلى خدك القاني
لئن فاتني منه الأقاخي فلئنني حصلتُ على ورد جنِّي وريحان

وقال في مبيته بالجامع الأموي: [من الخفيف]

طال نومي بالجامع الرّحب والبر دُ مبيدي وليس منه خلاصُ
كيف أدفا وفيه تحتي بلاط ورخامٌ حولي وفوقي رصاصُ

وقال: [من الطويل]

لقد بئُ عند الفارس النَّدبِ ليلةً وما شاقني إلا شقائي وأطماعي
فبئُ أقاسي الليلَ برداً ولم أزل مُغَطّي كراسِ القنْبِيط بأضلاعي

وقال: [من البسيط]

لا تَلْخُني اليومَ في ساقٍ وصهباءٍ وسَقُّني كأسها صرفاً بلا ماءٍ
وأقفُ الهمومَ بها عني فقد كُثرت آلامُها واشفِ ما بالقلب من داءٍ
عذراء مشمولَةٌ تطفو فواقُعُها كأثها أدمعُ في خدِّ عذراءٍ
أبدى الحبابُ لها خطأ فأحسن ما قد كان حرَّزَ من ميم ومن هاءٍ
قديمَةٌ ذاتُها في روض جنتها كانت وكان لها عرشٌ على الماء

ابن المبارك

١٤١ - «ابن الخفاف»^(١) يوسف بن المبارك بن كامل بن أبي غالب الحسين بن محمد الخفاف البغدادي، أبو الفتح بن أبي بكر. من أولاد المحدثين، كان من جملة فقهاء المدرسة النظامية.

أُسمعه والدّه الكثير في صباه من أبي بكر بن عبد الباقي الأنصاري، وأبي منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، وأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن عمر السمرقندي، ومن جماعة كثيرة. وكانت سماعته بعد الثلاثين وخمس مائة، وعمر حتى حدّث مسموعاته وانفرد بشيء.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤١٧/٢١)، «التكملة» للمنذري (٢)، «الترجمة» (٨٧٧)، و«مشيخة النجيب» عبد اللطيف الورقة (٧٧-٧٩)، و«تلخيص» ابن الغوطي (٤) «الترجمة» (٨٠٧) ونقل عن ابن النجار، و«تاريخ الإسلام» (١/١٨) ٨٨-٨٩ و«المختصر المحتاج إليه»، الورقة (١٣٥)، و«العبر»، و«النجوم الزاهرة» (١٨٨/٦)، و«شذرات الذهب» (٦/٥).

منها .

قال محب الدين بن النجار: وكان أُمياً لا يحسن الكتابة ولا يعرف شيئاً من العلم، إلا أنه كان صالحاً حافظاً لكتاب الله تعالى، وكان عسراً في الرواية، سيئاً الأخلاق كرهه الملقى، كثير الضجر، متبرماً بأصحاب الحديث، كُنَّا نلقى منه شدة حتى نسمع منه؛ وكان فقيراً مدقماً يأخذ الأجرة على الرواية. وتوفي سنة إحدى وست مائة.

١٤٢ - «أبو البركات البغدادي»^(١) يوسف بن المبارك بن المبارك بن عبيد الله بن هبة الله، أبو البركات البغدادي، من أولاد العدول. تولى النظر بديوان التركات الحشرية مدة ثم ولي الحسبة والنظر في الوقف العام، وقبض عليه، وسجن إلى أن مرض وشارف الموت، فأُخرج إلى منزله فمات سنة ثلاث عشرة وست مائة. وكان قد سمع من أبي محمد محمد بن أحمد بن عبد الكريم التميمي، وأبي المعالي محمد بن محمد بن اللّحاس، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي، وغيرهم.

قال محب الدين بن النجار: كان شيخاً حسناً يفهم طرقات العلم ويتنكس ويتدين.

١٤٣ - المقرئ الخياط^(٢) يوسف بن المبارك بن محمد بن شَيْبَةَ، أبو القاسم الخياط المقرئ البغدادي، كان يتوكل على أبواب القضاة، وقرأ القرآن بالروايات الكثيرة على الرئيس أبي الخطيب علي بن عبد الرحمن بن الجراح، وعلى أبي العز محمد بن الحسين بن بُندار الواسطي المعروف بالقلانسي، وعلى غيرهما؛ وسمع الحديث من أبي عثمان إسماعيل ابن محمد أحمد بن ملاً الإصبهاني، وأبي طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف، وابن عمه أبي طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر، وأبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهم. وروى عنه ابن الأخضر.

قال محب الدين بن النجار: ولم يكن ثقةً لأنه ادّعى أنه قرأ على أبي ظاهر بن سوار، وأقرأ عنه شيئاً من الروايات فكشف عن ذلك، وهو كذب، وظهر أمره وتركه الناس، وتوفي سنة سبعين وخمس مائة.

ابن محمد

١٤٤ - «القَبْرَوَانِي النَّحْوِي»^(٣) يوسف بن محمد، أبو الفضل القبرواني النحوي؛ كان عارفاً بالفقه وأصول الدين، وله تصانيف، وكان لا يرى التقليد. وتوفي سنة ثلاث عشرة

(١) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦١١-٦٢٠)، وتكملة وفيات النقلة (٣٦٥/٢).

(٢) انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» (٤٧٢/٤).

(٣) انظر ترجمته في «خريدة القصر» (٣٢٥/١)، و«بغية الوعاة» (٣٦٢/٢).

وخمس مائة.

١٤٥ - «ابن الدوانيقي»^(١) يوسف بن محمد بن مقلد بن عيسى، أبو الحجاج الدمشقي المعروف بابن الدوانيقي. سمع وروى ورحل ووعظ، وتوفي - رحمه الله - سنة ثمان وخمسين وخمس مائة.

١٤٦ - «ابن طملوس»^(٢) يوسف بن محمد بن طملوس، من أهل جزيرة شُقر من عمل بَلَنْسِيَّة، كان أحدَ علمائها الأماثل، وآخر المتحقيقين بعلوم الأوائل، توفي سنة عشرين وست مائة.

أورد له ابن الأثير من شعره: [من الكامل]

بَسَمَتْ به الأيامُ بعد عبوسِها وتهلّلت بِشِراً وجوهُ النَّاسِ
وتمهّدت أرجاؤهم لِمَا رسى ما بينها جبلُ الملوك الراسي
هيهاتِ أين الصُّبحُ من لآلئه أَيْقَاسُ نورِ الشَّمسِ بالنِّبراسِ
مَلِكُ أبتِ همّائه وهبائه من أن يجارى في النّدى والباسِ

ومنه: [من الكامل]

يا أيُّها الملكُ الذي بصفاته صلّحت ذواتُ للورى وصفاتِ
لك في نفوس الكافرين مهابةٌ هي في نفوس المسلمين هباتُ
بك عاد هذا الشرقُ يُشرقُ نوره وتقشّعتُ عن وجهه الظلماتُ

ومنه: [من السريع]

جاءَ على الجزعِ بوادي الحمى صوبُ الحيا سكباً على سَكْبِ
حيث الصبا يُهدي نسيمَ الرّبي طيّبَةَ المَسرى إلى الغربِ
تمرُّ بالركبِ سُحَيْراً فيا موقعَ رَيّاهما من الرّكبِ
وبالكثيبِ الفردِ من لعلِ غُزِيلُ ضلٍّ عن السُّرْبِ
أفلتَ متّي واغتدى قابضاً قلبي فيا ويحي من قلبي
فسرْتُ أشتدُّ على إثره أنشدُهُ في ذلك الشَّعبِ
يا هل رأثَ عيناك من ناشِدِ يسعى بلا عقلٍ ولا لُبِّ

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦١١-٦٢٠)، و«بغية الوعاة» (٣٥٤/٢).

أَحِبُّ بِهِ مِنْ مَلِكٍ جَائِرٍ أَحْكَامُهُ تَجْرِي عَلَى الصَّبِّ
تَثْنِيهِ مِنْ خَمْرِ الصُّبَى نَشْوَةً لَعَبَ الصُّبَا بِالْغَصَنِ الرَطْبِ
يَا جَائِرَ اللَّحْظِ عَلَى حَبِّهِ سَلَّطْتَ عَيْنِيكَ عَلَى قَلْبِي

١٤٧ - «المستنجد بالله»^(١) يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أمير المؤمنين المستنجد بالله أبو المظفر بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بأمر الله بن المقتدي بن القائم بن القادر بن المقتدر ابن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي؛ أمُّه أُمٌ وَلِدَ اسْمُهَا طَاوُوسُ رُومِيَّةٌ، تُوِفِّيَتْ فِي خِلَافَتِهِ. خُطِبَ لَهُ وَالِدُهُ بُولَايَةَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَسْتَهْلٌ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَبُوعٍ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَوُلِدَ سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَتُوِفِّيَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَامِنِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتِّينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَكَانَ عَمْرُهُ ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَوَلَايَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرًا وَاحِدًا وَكَانَتْ أَمْرَاضُهُ قَوْلَنَجِيَّةً، وَأُضِيفَ هَلَاكُهُ إِلَى الطَّبِيبِ. وَكَانَ طَوِيلَ الْقَامَةِ جَسِيمًا، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، كَثِيفَ اللَّحْيَةِ، وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِهِ «مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ عَمِلَ لَهَا». وَخَلَفَ مِنَ الْوَلَدِ ابْنَيْنِ: أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ الْمُسْتَضِيَّ، وَأَبَا الْقَاسِمِ، وَابْنَةُ تُعْرِفُ بِالْعَبَّاسِيَّةِ؛ وَأَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ عُمُهُ أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ أَخُوهُ أَبُو جَعْفَرٍ، وَهُوَ أَسْنُّ مِنَ الْمُسْتَنْجِدِ، ثُمَّ الْوَزِيرُ عَوْنُ الدِّينِ، ثُمَّ قَاضِي الْقَضَاةِ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ مِنْذُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ»، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ عَوْنُ الدِّينِ: «يَبْقَى أَبُوكَ فِي الْخِلَافَةِ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً».

قال صاحب كتاب «المناقب العباسية والمفاخر الهاشمية»: كانت أيامه أيام خصبٍ ورخاء وأمن عام، ودولته زاهرة، وسياسته قاهرة، وهيبته رائعة، وسطوته قامعة، دُلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ فِي الْآفَاقِ، وَخَضَعَتْ لَهُ مِنْهُمْ الْأَعْنَاقُ، وَأَشْحَنَ بِالظَّلْمَةِ الْحُبُوسَ، وَأَزَالَ قَوَانِينَ الظُّلْمِ وَرَفَعَ سَائِرَ الْمَكُوسِ، وَتَمَكَّنَ تَمَكُّنَ الْخُلَفَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَكَانَ آخِرُ مَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِهِ بِقَوَانِينِ الْأُتَمَةِ الْمَاضِينَ، مِنْ مُوَازِبَةِ وَزِيرِهِ عَلَى عَمَلِ الْمَوَاقِبِ وَرَفَعَ الْقَصَصَ إِلَيْهِ وَالْمِظَالِمَ، فَمَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ حَالَةٌ مَكْرُوهَةٌ إِلَّا أَزَالَهَا، وَعَشْرَةٌ إِلَّا أَقَالَهَا؛ وَيُقَالُ إِنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ فِي كَفِّهِ أَرْبَعَ خِائِاتٍ فَعَبَّرَهَا عَلَى عَابِرٍ فَقَالَ: «تَلِي الْخِلَافَةَ سَنَةُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ».

(١) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٢/٢٦٤)، و«شذرات الذهب» (٤/٢١٨)، و«مرآة الزمان» (٨/٢٢٣).

وخمس. مائة.

قال الوزير عون الدين بن هبيرة: قال لي المستنجد يوماً وقد جرى بيننا قراءة من قرأ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤/٤؛ الحجرات: ٦/٤٩] بالنون، فقال: من قرأ بالنون أحسن ممن قرأ بالثاء لأن من تبين تثبت، وقد يتثبت من لا يتبين.

وكتب كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري القاضي إليه لما قدم بغداد رسولاً من قبل نور الدين محمود بن زنكي، إلى المستنجد قصةً على رأسها: «من محمد بن عبد الله الرسول»، فوقع عند اسمه بقلمه: «صلى الله عليه وسلم».

وخطب علويّ بلخي تدرّس المدرسة النظامية ببغداد بقصة رفعها إليه فوقع المستنجد عليها: «لقد»، فعرضت القصة بالتوقيع على الوزير عون الدين، فعرضها على أصحاب الديوان فأعياهم حلّ رمز المستنجد التوقيع، فقال الوزير: هذا إشارة إلى قول القائل: [من الطويل]

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفْلِس
فحكى ذلك للخليفة فتعجب من تفظنه لذلك.

وامتدحه الحيص بيص الشاعر بقصيدة، واقترح فيها أن تجعل بعقوبا له معيشة، وهي بلدة تغلّ في كل سنة اثني عشر ألف دينار، فوقع المستنجد على ظهر قصته: [من الكامل]

لو أن خفّة رأسه في رجله لحق الغزال ولم يفثه الأرنب

وقيل: إن ليلته حانت من ابنة عمه، فلما توجه إليها وجد في طريقه بعض حُجرات جواريه مفتوح الباب غير مغلق، فدخل إليها فقالت له الجارية امض إلى منامك فإنني أخاف أن تعلم ابنة عمك، ولا آمن شرّها، فقال: في ساقها خلخال، إذا جاءت عرفت بها، فمضت إليها جارية ووشّت بالحال، فرمت خلخالها إلى أعالي ساقها، وقصدت المقصورة ففاحت الروائح العطرة، فتمّ ذلك عليها فخرج من الباب الآخر ثم قال: [من الكامل]

استكتمت خلخالها ومشتت تحت الظلام به فما نطقا
حتى إذا هبّت نسيم الصبا ملأ العبير بنشرها الطرّقا

وقد ذكرت هنا ما قلته في هذا المعنى، قلت: [المقارب]

إذا شئت حليّك ألا يشي وقد زرت في الحندس المظلم
فرُدّي السوار مكان الوشاح وخلي وشاحك في المعصم

وقلت أيضاً: [من السريع]

إليك من قبل ابتسام الصباح
ثم تذكرت فضول الوشاخ

قالوا وشى الحلبي بها إذ مشت
فقلت لا، خلخالها صامت،

وقلت أيضاً: [من السريع]

يدري بنا الواشي ويُغري العذول
تبريح رباك تعاني الفضول

قلت له زرني فلا بد أن
فالريح ما تكتنم سرّاً وما

وقلت أيضاً: [من المنسرح]

وَرَيِّقَر فيه السُّلافُ مشروبي
لولا فضولُ الحلبي والطيب

بتنا وما نقلنا سوى قُبَلٍ
نمنا وما نَمَّتِ الوشاةُ بنا

ومن شعر المستنجد بالله قوله: [من البسيط]

وإن شُفينا فمنا الزَّيْغُ والزَّلُّ
إذا أمنا فما يزكولنا عملُ

إذا مرضنا نؤينا كلَّ صالحَةٍ
نُرضي الإله إذا خفنا ونعصيه

ومن شعره أيضاً: [من الخفيف]

ليتها عيّرت بما هو عار
فالليالي تنيرها الأقمارُ

عيّرتني بالشيب وهو وقار
إن تكن شابتِ الذوائبُ منّي

ومن شعر المستنجد بالله: [من الكامل]

لو كان يسعف أو يرد سلاما
يُغفي العيون ويوقظ النُّواما

يا هذه إن الخيال يزورني
ما إن رأيت كزائر يعتادني

ومن شعر المستنجد: [من السريع]

طَرَمَدَةٌ منه لنا شمعة
حتى جرت من عينه دمعة

وباخلة أشعل في بيته
فما جرت من عينها دمعة

ومن شعر المستنجد بالله: [من الطويل]

سجامٌ على الخدَّين مثلُ دموعي
ويحوي حشاها ما حوته ضلوعي

وصفراءٌ مثلي في القياس ودمعها
تذوب كما في الحبِّ ذبْتُ صباةٌ

١٤٨ - «الناصر صاحب الشام»^(١) يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان، السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابن السلطان الملك العزيز ابن السلطان الملك الظاهر ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين الكبير، هو صاحب حلب ثم صاحب الشام. ولد بقلعة حلب في رمضان سنة سبع وعشرين وست مائة، وتوفي سنة تسع وخمسين وست مائة. تولى الملك عند موت والده العزيز سنة أربع وثلاثين وست مائة، وقام بتدبير دولته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني، وعز الدين بن المجلي، والوزير الأكرم ابن القفطي، والطواشي جمال الدولة إقبال الخاتوني، والأمر كله لجذته الصّاحبة صفية خاتون بنت العادل. ولما توجه القاضي بهاء الدين بن شدّاد إلى الكامل بعدّة العزيز، وكان قد مات وعمره أربع وعشرون سنة، فلما رآها الكامل حزن وحلف للناصر لأجل أخته، فلما توفيت سنة أربعين اشتدّ الناصرُ وأمر ونهى، فلما كان سنة ست وأربعين سار من جهته نائبه شمس الدين لؤلؤ وحاصر حمص وطلب التجدة من الصّالح نجم الدين أيوب فلم ينجده وغضب، ثم جرت أمورٌ واستمرت حمص في ملك الناصر، وفي شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وست مائة قدم إلى دمشق وأخذها بلا كلفة، وفي أثناء السنة قصد الديار المصرية فما تم له ذلك، وفي سنة اثنتين وخمسين دخل على بنت السلطان علاء الدين فولدت له علاء الدين في سنة ثلاث، وأمّ هذه هي أخت الصّاحبة. وكان الناصر، رحمه الله تعالى، سمحاً جواداً حليماً حسن الأخلاق، محبباً إلى الرعية، فيه عدلٌ وصفح ومحبة للفضلاء والأدباء، وكان سوق الشعر نافقة في أيامه؛ وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربع مائة رأس غنم، سوى الدجاج والطيور والأجدية، وكان يبيع الغلمان من سماطه شيئاً كثيراً عند باب القلعة بدمشق بأرخص ثمن من المأكّل الفاخرة. حكى علاء الدين بن نصر الله أنّ الناصر جاء إلى داره بغتة، قال: فمددت له شيئاً كثيراً في الوقت، سماطاً بالدجاج المحشي بالسكر والفستق وغيره. فقال: كيف تهياً لك ذلك، فقلت: هو من نعمتك اشتريته من عند باب

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٢٠٤)، «ذيل الروضتين» لأبي شامة (٢١٢)، «مرآة الزمان» لليونيني (١/ ٤٦١-٤٦٩، ٢/ ١٣٤)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفدا (٣/ ٢١١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (أيا صوفيا ٣٠٣)، ج ٢٠ الورقة (١٩٤-١٩٥)، «دول الإسلام» (٢/ ١٢٥)، «العبر» للذهبي (٥/ ٢٥٦-٢٥٧) «تاريخ ابن الوردي» (٢/ ٣٠٣)، «أمراء دمشق في الإسلام» للصفيدي (طبعة مجمع اللغة العربية في دمشق ١٩٥٥) ص ١٠٢، «فوات الوفيات» لابن شاکر الكتيبي (٤/ ٣٦١-٣٦٦) «ترجمة» (٥٩٥) «مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ١٥١)، و«النجوم الزاهرة» (٧/ ٢٠٣)، «شفاء القلوب في مناقب بني أيوب» (٤٠٨-٤٢١)، «الترجمة» (١٠٧)، «الدارس في تاريخ المدارس» للنعماني (١/ ١١٥، ٤٥٩)، «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية» لابن طولون (٨٨)، «شذرات الذهب» (٥/ ٢٩٩)، «أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» لمحمد راغب الطباخ (٢/ ٣٠٢).

القلعة. وكانت نفقةً مطابخه وما يتعلّق بها في اليوم أكثر من عشرين ألف درهم. وكان يحاضر الأدباء والفضلاء وعلى ذهنه كثير من الشعر والأدب، وله نوادر وأجوبة ونظم وحسن ظن في الصالحين. وبنى بدمشق مدرسة جوّاً باب الفراديس، وبالجبل رباطاً وتربة، وبنى الخان عند المدرسة الزنجيلية، وبلغه عن بعض المتفقرين من الأجناد أنه تسمّح في حقه، فأحضره ليؤدبه، فلما رأى وجهه رقّ له وأمر له بذهبٍ وقال: ليرجع بهذا قلبك ثم نعتبك، فلما اطمأن صرفه آمناً ولم يؤاخذه. وكان تمرّ له الأيام الكثيرة يجلس فيها من أول النهار إلى نصف الليل يوقع على الأوراق ويصل الأرزاق؛ وقيل إنه خلّع في أقلّ من سنة أكثر من عشرين ألف خلعة. وكان الفرنج قد ضمنوا له أخذ الديار المصرية على أن يسلم إليهم القدس مع بلاد آخر غيرها، ودار الأمر بين أن يعطي ذلك للمصريين أو للفرنج، فبذل ذلك للمصريين أتباعاً لرضى الله تعالى، وقال: «والله لا لقيتُ الله وفي صحيفتي إخراج القدس عن المسلمين»؛ ولما بعد عن خزائنه واحتاج إلى قرض رهن أملاكه وضرب أواني الفضة والذهب، وقيل له في أخذ الفائض من الأوقاف فما مَدَّ يده إلى شيء منها بدمشق ولا بحلب.

قال ابن العديم: حضر بعض المدرّسين إلى المعسكر ورفع على يدي قصّة بين يديه تتضمّن التضمّن من قلة معلومه ويذكر أنّ عياله وصلوا من مصر وأنّه لا يطلب التثقيب على السلطان في مثل هذا الوقت الذي يعلم ما يحتاج فيه إلى الكلف بل يطلب زيادةً في المدرسة التي هو بها، فقال: «كيف شرط الواقف؟» فقلت: «شرط ما يتناوله الآن، لكن ذكر أن في كتاب الوقف ما يدل على أن للسلطان أن يزيده إذا رأى في ذلك مصلحة». فأطرق كما هي عادته إذا لم ير قضاء ما طُلب ولم يُردّ في ذلك جواباً ولم يهن عليه ردّه خائباً وتورّع عن مخالفة الواقف، فقرّر له ما طلبه على ديوانه دون الوقف.

وقيل له عن جلال الملوك وقد مرّ على مكانه في الجبل: «ما رأي مولانا السلطان منه؟» فقال: «رأيت شيخاً أشقر على جبل أحمر يأكل حشيشاً أخضر ويتكلم بالمنكر».

وكان عنده في ليلة جماعة من الأدباء فذكروا قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [من

الطويل]

تَشْكِي الكميّ الجري لَمَّا جهدته وبين لو يَسْطِيعُ أن يتكلّمَا

فقال بعضهم: «يا مولانا متى نعود إلى الكميّ»، ويشير إلى الخمر، فقال له: «حتى نعود إلى الأدهم»، يريد القيد، وكان قد قيّد مرّة وسُجن.

وكان لبعض الشعراء عليه رسم في كل سنة، تشريف ودراهم، فأنشده قصيدة قال

فيها: [من الطويل]

أمولاي رسمي قد تقادم عهدُه ومن يدك العليا تجددُ عهدِه
فقال له السلطان: «الرُّسوم كثيرةٌ فأَيُّ رسمٍ أردت؟» فقال الشاعر: «رُسومُ العامَّةِ
أطلالُ الديار، ورُسومُ الخاصَّةِ جوائزُ الملوك»، فقال السلطان: «على هذا الرِّسم هو
المعولُ»، يشير إلى قول امرئ القيس: [من الطويل]
«وهلُّ عند رسمٍ دارسٍ من مُعولٍ»

قال ابن العديم: حضرت يوماً بين يديه وشاورته على هذا الشاعر أن ينشد قصيدة
عملها في تهنتته بقدوم دمشق وشفعها بأبيات يذكر برسمه، فوقف على الودقين ثم أذن له.
فحضره وأنشد قصيدة المدح وخرج بسرعة، فاسترجعه وقال له: «أنشد هذه الأبيات فإنك
أنشدت أبيات القصيد ولم تنشُد أبيات القصد»، فلما أنشده الأبيات قال: «السيف يحتاج
إلى الهزّ»، وأمر له بتشريفه ورسمه.

وحضر إليه الشهاب رشيدُ الخادم من مصر فأنعم عليه وبالح في الإحسان إليه وكتب له
خبزاً خدم عليه، فلما جاءت السنة الثانية تضرّو وطلب الزيادة في إقطاعه، وتكرّر طلبه
مراراً، فقال آخر مرّة: «ينبغي أن تسدّوا فم رشيد»، يشير إلى زيادة إقطاعه، وفم رشيد
معروف بالديار المصرية.

وكان مرة جالساً وبين يديه شاعر فأنشد قصيدة، فأخذ بعض الجماعة ينتقد عليه، فقال
الشاعر: «دعوني حتى أتم الإنشاد وبعد ذلك يكون الانتقاد»، فقال السلطان: «لا تجعلوا
النقد نقداً».

ولما وقع الصلح بينه وبين المصريين على أن يردوا كل ما كان متخلفاً للأمراء الذين
في خدمة السلطان، أحضر في جملة ما أحضر ما كان بقي للأمير لجمال الدين بن يغمور
بديار مصر، فعزل مما حضره ما يصلح لتقدمة السلطان ونوّعه أنواعاً من كتب وغيرها،
وكتب جريدة مع التقدمة بما سيّره، وجعل أول الجريدة أسماء الكتب اسم كتابٍ يقال له
«جهد المقلّ» إشارة إلى استقلال تقدمته، ونفذ ذلك على أيدي المحترفين من أصحابه، وقال
للمشار إلى استقلال تقدمته، ونفذ ذلك على أيدي المحترفين من أصحابه، وقال للمشار إليه
منهم: «إذا حضرت بين يدي السلطان قل: يا مولانا هذا بقية السيف»، فلما قال ذلك، قال
السلطان بسرعة: بل «بقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة» [البقرة: ٢/
٢٤٨].

وكان بين يديه في بعض الليالي شخص فاستأذن ذلك الشخص في طلب خاله، فقال له

السلطان: «كأنك تقول ما يطيب لي هذا المكان وهو خالي من خالي».

وكان جماعةً يلقبون بأسماء الطيور ويجتمعون في مكان فيه لأغراضهم، فقال الجماعة: ينبغي أن نسمي هذا المكان الدوحة لأن الطيور تأوي إليها، ثم قالوا: لا بل ينبغي أن يسمى الأيكة، فقال السلطان: إنما عدلت عن الدوحة إلى الأيكة ليقال ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ [الشعراء: ١٧٦/٢٦].

قال ابن العديم: كان ذات ليلة في سماع، وكأنه استطاب ذلك وتفكر في نعمة الله عليه فسمعتة وهو يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف: ١٥/٤٦] وكان في يدي بعض الجماعة شمعة، وسقط الشمعدان في تلك الحالة وسمعت له رنة، فسمعتة يقول: [من المديد]

ولها من نَفْسِهَا طَرْبُ فلها يرقص الحَبَبُ
وأخبر مرة أن المسلمين أخذوا صيداً وأن الفرنج ألقوا نفوسهم في البحر لثلاث يقتلوا ويؤسروا فقال السلطان: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ [نوح: ٢٥/٧١].

وحضر إليه شخص يُقال له ابن اللهب ومعه ولد له صغير سريع الحركة، كثير الحدة فقال بعض الجماعة: هذا الصغير كأنه شرارة، وكان قد حضر على يد الصغير تحف غريبة، فقال السلطان: [من المجتث]

ابنُ اللّٰهيب أتانا بَكْلٌ معنئى غريب
وليس ذا بعجيب شرارةٌ من لَهيب

قال ابن العديم: وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

البدر يجنح للغروب ومهجتي لفراق مُشْبِهٍ أَسَى تَنَقَّلُ
والشَّرب قد خلط النعاسُ جفونهم والصبحُ من جِلْبَابِهِ يتَطَلَّعُ

قال: وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الرجز]

اليومُ يوم الأربعا فيه نُطيب المرتعا
يا صاحبي أما ترى شملُ المُنَى قَدْ جُمِعَا
وقد حوى مجلسنا جل السرور أجمعا
فقم بنا نَشْرِبها ثلاثاً وأربعا
من كف ساقٍ أهيف شبيو بدر طلعا

فِي خُدَّةٍ وَثْنُفَرِهِ وَرَدَّ وَدَّرَ صُنْمَا
يَسْطُو وَيَرْنُو تَارَةً كَاللَّيْثِ وَالظَّبْيِ مَعَا

وقال وقد توفي لبعض مماليكه ولد يلقب بالسيف: [من الطويل]

وَنَبِئْتُ أَنَّ السَّيْفَ قُلَّ غَرَارُهُ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوهُ لِنَائِبَةِ الدَّهْرِ
فَعَانَدَنِي فِيهِ الزَّمَانُ وَرَيْبُهُ وَجَاءَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

وورد الخبر في منتصف صفر بورود التتار إلى حلب ودخلوها بالسيف، فهرب السلطان مع الأمراء الموافقين له وزال ملكه، ودخل التتار بعده بيوم إلى دمشق وقرى فرمان الملك بأمان دمشق وما حولها، ووصل السلطان إلى غزة ثم إلى قطيا وتفرق عنه عسكره، فتوجه في خواصه إلى وادي موسى ثم جاء إلى بركة زيزا فكبسه كتبغا فهرب وأتى التتار بالأمان، وكان معهم في دُلَّ وهوان، وكان قد هرب إلى البلاد فساروا خلفه فأخذوه وقد بلغت الشربة عندهم نحو مائة دينار، فأتوا به كتبغا وهو يحاصر عجلون فوعده وكذبه وسقاه خمراً صرفاً، فسكر وطلبوا منه تسليم قلعة عجلون، فأمر نائبها بتسليمها، ففعل ودخلها التتار ونهبوها، ثم إنهم ساروا بالناصر وأخيه إلى هولأكو، فأكرمه وأحسن إليه، فلما بلغه قتل كتبغا أمر بقتله فاعتذر، فأمسك عنه مع إعراض، فلما بلغه كسر عسكره على حمص استشاط غضباً وقتله ومن معه سوى ولده العزيز. وقيل إنّه قُتل بالسيف عُقِيب واقعة عين جالوت، وقيل خُصَّ بعذاب دون أصحابه، وقيل جُعل هدفاً للسهام، وقيل جمع له نخلتان وربط بينهما ثم إنّه قطع جبل الجمع بينهما فافترقتا وذهب كل فرقة بشق منه.

وقيل إنّه كثيراً ما كان ينشد: [من الخفيف]

قَتَلَ مِثْلِي يَا صَاحِبَ شَرْبِ الْمُدَامِ لَيْسَ قَتَلِي بِلَهْذَمٍ وَخُسَامِ

قال شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي، أنشدني السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف يشناق حلب ومنازلها: [من الكامل]

يَا بَرْقُ أَنْشِرْ مِنَ الْغَمَامِ سَحَابَةً وَظَفَاءَ هَامِيَةٍ عَلَى بَطْيَاسِ
وَأَدِمْ عَلَى تِلْكَ الرِّبُوعِ وَأَهْلِهَا غَيْشاً يَرَوُّهَا مَعَ الْأَنْفَاسِ
وَعَلَى لِيَالٍ بِالْصَّفَاءِ قَطَعْتُهَا مَعَ كُلِّ غَانِيَةٍ وَظَبْيِ كِنَاسِ

فأنشدته ارتجالاً في جواب إنشاده: [من الكامل]

فَلْتَلِكْ أَوْطَانِي وَمَعْهَدُ أَسْرَتِي وَمَقَرُّ أَحْبَابِي وَمَجْمَعُ نَاسِي

ليس الفؤاد وإن تناءت سالياً
قال وأنشدني أيضاً: [من الطويل]

عنها ولا لعهودها بالناسي
سحابة غيث نوؤها ليس يُقْلِعُ
وتلك ربوعي لا زرود ولَغْلَعُ

سقى حلب الشهباء في كل مزنة
فتلك ديارى لا العتيق ولا الغضا

فأنشده شهاب الدين المذكور: [من الطويل]

فمن حيرتي لم أدر كيف أقول
أم الدُر أم روض زَهْثَه قبول
له في سنا الخد الأسيل مسيلُ

لقد جرّت في هذا القريض وحُسنه
أسحر عيون العين أم خمر بابل
بخط كما خُط العذار منمنماً

ولما جاء الملك الناصر صلاح الدين، رحمه الله، التقليد من الإمام المستعصم صحبة
نجم الدين الباذرائي سنة خمس وخمسين وست مائة، قال بدر الدين يوسف الذهبي يمدحه:
[من البسيط]

وأنجز الدهر من عليك ما وعدا
أشدى إليك أمير المؤمنين سدى
وهذا ركن الأعادي بأُسّه فهدى
عن السحاب فردّ السهل والجلدا
فراح وابلها مُنْفَجِراً وبدا
لذاك مهما أخافوا صوبه رعدا
يوماً وجدّهم أولى الغمام يدا
فلا لسان يكافيهم ولا جُهدا
عليك موشية فارقل بها جُردا
طرائق الوشي في أثنائها قددا
كواكب الذهب القاني بها بددا
بدرأ بذيل تمام للعيون بدا
والماء في نهره المنساب مطردا
لسابح مُسرِعاً وافى لبحر ندى
وشط السماء كنجم الرّجم مُتّقدا

وفى لك السّعي بالسّعد الذي وفدا
سُدّت الملوك فما كانت مواهب ما
هو الإمام الذي هاد الأنام له
ناهيك من خده استسَقَوْا بغيرته
فأطلق السّحب في الدنيا وقد حبست
وقد أقرّ بما أولّوه من مَنّ
فمن يفاخرهم أو من يساجلهم
أعيا شعار بني العباس واصفه
قد أشبغوا من عطايا سبّيهم خللاً
فدث على قدر ملك ماجدٍ وغدت
طلعت بدرأ بداجي ليلها وبَدَث
وقلّدوك حُساماً ماضياً قرأوا
ماضر يريك شعاع الشّمس منعكساً
وجاءك الطرف مجنوناً ولا عجب
وسنّجق سائر تهفو ذوائبه

لو لم يكن علماً للرفع عامله
فارفع لواه فما وافيك عامله
مُرَّح العطف لذن القد معتدل
سار من النقع في ظلماء داجية
بُشرى تهللت الأنواء من طرب
فاليوم مبتهج والشمس سافرة
مواهب عمت الدنيا بأنعمها
وهكذا الحكم في العضو الرئيس إذا
وسوف تحظى بضعفي ما حبيت به
قاسوا عطايك بالبحر الخضم فما
لو كنت أحصي أياديها وأحصرها،
لك المواقف في الهيجاء قمت بها
فراشداً كنت للعليا ومقتدراً
حتى هدمت منار الشوك حين علا
خبا سناه ولولا أن يفيض على
فاعمد لمجدك شيده فإن له
واسلم لراجي نذاك الجم في دعة
مؤمل الرغد في ليلى سرى وقرى
ولا برحت لمرتاد الندى علماً

١٤٩ - «الحسني»^(١) يوسف بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهذا يعرف بيوسف الخيل، وجدّه يحيى يعرف بالسُّونقي، نسبة إلى سُونقة المدينة، ويحيى بن أبي الكرام بن الجون بن الكامل بن المثنى بن السبط، وليس في السُّونقيين من له ذكر غير يوسف هذا.

قال يخاطب بني عمّه السُّليمانيين: [من المجتث]

بنّي سليمان إنا وأنثى كالأصاين

فإن تروموا اغوجاجاً نُضِيخَ كمثل الأضالغ
وقال: [من البسيط]

دعني وطرفي وذيك الحسام وأب بناء الجلاذ ومزج الحول بالحيل
حتى أجوزَ التي أفنّت بخطبتها أعلام بيت أمير المؤمنين علي
فإن هلكْتُ فأمراً ليس تنكره وإن سلكتُ فجدي خيرة الرُّسل

١٥٠ - «أبو العزّ الموصلي الصّوفي»^(١) يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد، أبو العزّ الموصلي البعادي الفقيه الصّوفي. كان يصحب الشيخ التجيب السهروردي، تفقه عليه وسمع معه الحديث من جماعة، ثم طلب بنفسه وقرأ على الشيوخ وكتب بخطه وحصل الأصول، فسمع أبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وعبد الرحمن بن محمد القزّاز، وإسماعيل بن أحمد السمرقندي، وعلي بن هبة الله بن عبد السلام، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، وإبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي، وخلقاً كثيراً، وحدث بالسير.

سمع منه القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي، وأخرج عنه حديثاً في «معجم شيوخه»، وصفه بالصدق والثقة. وكان فاضلاً صالحاً متديناً حسن الطريقة، ولم يزل يسمع ويُسمع إخوته وولده إلى أن توفي، رحمه الله، سنة ست وسبعين وخمس مائة.

١٥١ - «التنوشي الصّوفي»^(٢) يوسف بن محمد بن مقلّد بن عيسى بن إبراهيم بن صالح ابن إبراهيم، أبو الحجاج التنوشي الجماهري الفقيه الصّوفي الدمشقي. نسبته إلى جبل الجماهر بين كرخ نوح، عليه السلام، وبعليك. وتوجّه إلى بغداد وسمع من هبة الله بن أحمد ابن محمد الأكفاني، وعبد الكريم بن حمزة الحدّاد. وطاهر بن سهل الإسفراييني، وأبوي الحسن علي بن المسلم السلمي، وعلي بن أحمد بن منصور الغساني، ونصر الله بن محمد ابن عبد القوي المضيصي وغيرهم. وسمع ببغداد من ابن الحصين، وأحمد بن عبد الله بن رضوان، وابن كادش، والمقرب بن الحسين بن الحسن النّساج، وأحمد بن الحسن بن البنا، وزاهر بن طاهر الشّحامي، ومحمد بن عبد الباقي الأنصاري، وهبة الله بن أحمد بن عمر الحريري، وجماعة من أصحاب أبي محمد الصّريفي، وأبي الحسين بن النّقور، وعبد العزيز الأنماطي، وأبي القاسم البشري، وأبي نصر الزّينبي؛ وتفقه بالمدرسة النظامية على أبي منصور بن الرزّاز، وكتب بخطه كثيراً وحصل الأصول، وخرّج التخارج، ثم انقطع إلى

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٥٥١-٥٦٠).

الشيخ النجيب الشَّهْرُوردي، ولبس الخشن وأكل الجشب وجلس في الخلوة، وعمل الرياضات والمجاهدات، وظهر له كلامٌ على لسان أهل الحقيقة وصار من المُشار إليهم في الزهد والمعرفة وحدث باليسير.

وعاد إلى دمشق زائراً أهله فأدركه أجله، رحمه الله، سنة ثمان وخمسين وخمس مائة، ودفن بقاسيون.

وكان يُناظر في مسائل الخلاف ويعقد مجلس التذكير، ويتردد من بغداد إلى الموصل للوعظ، وكان موته بعلّة الاستسقاء.

ومن شعره: [من الوافر]

أَنُومٌ بعدما هَجَعَ النَّيَامُ وظلُّمٌ بعدما انقشع الظلامُ
فهذا الضُّبْحُ في الفودين بادٍ ينادي [...] ما بقي الأنام
فبادر يا فتى قبل المنايا فمالك بعد ذا عُذْرٌ يقام
فعند الله موقفُنا جميعاً وبين يديه ينفصلُ الخصامُ

١٥٢ - «فخر الدين ابن الشيخ»^(١) يوسف بن محمد بن عمر بن علي بن محمد ابن حَمَوِيه بن محمد بن حموية، الأمير فخر الدين أبو الفضل بن صدر الدين شيخ الشيوخ الحموي الجويني. كان أميراً جليلاً كبيراً، عالي الهمة فاضلاً متأدباً سَمَحاً جواداً ممدحاً، خليقاً بالملك لما فيه من الأوصاف الجميلة، وكان فيه كرمٌ زائد وحسنٌ تدبير، وكان مُطاعاً محبوباً إلى الخاص والعام، تعلوه الهيبة والوقار.

وأته وأُمٌ وإخوته ابنة شهاب الدين المطهر ابن الشيخ شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون، وكانت أرضعت الملك الكامل، وكان أولادها الأربعة إخوة الكامل من الرضاعة، وكان يحبهم ويعظمهم ويرعى جانبهم، ولم يكن عنده أحد في رتبة الأمير فخر الدين، لا يطوي عنه سراً ويشق به ويعتمد عليه في سائر أموره، ونال الأمير فخر الدين وإخوته من السعادة ما لا ناله غيره.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ١٠٠-١٠٢)، و«مرآة الزمان» لسيط ابن الجوزي (٨/ ٧٧٦-٧٧٨) و«ذيل الروضتين» (١٨٤)، و«صلة التكملة لوفيات النقلة» للحسيني الورقة (٥٨)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (أيا صوفيا ٣٠١٣) الورقة (٨٣)، و«العبر» (٥/ ١٩٤-١٩٥) و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٩٧) ضمن ترجمة أبيه و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٧٨)، و«المسجد المسبوك» (٥٧١-٥٧٢) وفيه أنه يوسف ابن شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر بن علي... سقط اسم أبيه محمد و«النجوم الزاهرة» (٦/ ٣٦٣)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٢٣٨-٢٣٩).

ولمّا ملك الملك الصالح البلاد أعرض عن الأمير فخر الدين وأطرحه ثم اعتقله، ثم أفرج عنه وأمره بلزوم بيته؛ ثم إنّه ألجأته الضرورة على ندبه إلى المهمات لمّا لم يجد من يقوم مقامه، فجّهزه إلى بلاد الملك الناصر داود فأخذها، ولم يترك بيده سوى سور الكرك، ثم جّهزه لحصار حمص ثم ندبه لقتال الفرنج فاستشهد.

وكان أوّل أمره معتمماً فألزمه الكامل أن يلبس الشربوش وزيّ الجند، فأجابه إلى ذلك، وأقطعه منية السودان بالديار المصرية، ثم طلب منه يناديه فأجابه إلى ذلك فأقطعه شبرا، فقال ابن البطريق الشاعر: [من الطويل]

على منية السودان صار مُشْرِيشاً وأعْطَوْهُ شُبراً عندما شَرَب الخمر
فلو ملكت مِضرَ الفرنجُ وأنعموا عليه ببيسوسَ تنصّر للأخرى

وقال فيه وفي أخيه عماد الدين، وكان يذكر الدرس بالمدرسة التي إلى جانب ضريح الشافعي رضي الله عنه: [من الخفيف]

ولدا الشَّيْخ في العلوم وفي الإمِّ رّةً بالمال وحده والجاه
فأميرٌ ولا قتالَ عليه وفقيةً والعِلْمُ عند اللّهِ
وقال في عماد الدين: [من الخفيف]

جاءني الشافعيُّ عند رُقادي وهو يبكي بحُرْقَةٍ وينادي
عَمَرُوا قَبْتي لعمري ولكن هَدَمُوا مذهبِي بِفَقْهِ العِمام

وكان لهم مع الإقطاعات المناصبُ الدينيّة، منها: مدرسة الشافعية، والمدرسة التي إلى جانب مشهد الحسين، رضي الله عنه، وخانقاه سعيد السعداء، ولم تزل هذه المناصب بأيديهم إلى أن ماتوا، وكانت بعد ذلك لولدي عماد الدين وكمال الدين مدةً، ثم انتزعت منهم. ولم يكن للأمير فخر الدين إلّا بنتٌ واحدة.

وكان قدم دمشق ونزل دار أسامة، فدخل عليه الشيخ عماد الدين بن التّحاس وقال له: يا فخر الدين إلى كم؟ يشير إلى تناول الشراب، فقال له: يا عماد الدين والله لأستبقك إلى الجنّة، فاستشهد يوم وقعة المنصورة سنة سبع وأربعين وستمائة؛ وتوفي عماد الدين سنة أربع وخمسين، فسبقه كما قال إلى الجنّة. وكان الصالح قد حبسه ثلاثة أعوام وقاسى ضراً شديداً حتى إنّه كان لا ينام من القمل، ثم أخرجه وأنعم عليه وجعله نائب السلطنة. ولمّا توفي الصالح ندبوه للسلطنة فامتنع، ولو أجاب لتمّ له الأمر. ودبّر المُلْك، وأنفق في العساكر

ماتني ألف دينار، وأحسن إلى الرعية، وبطل المكوس، وركب بالجاويشية.

ولما مات الصالح بعث الفارس أقطاي إلى حصن كيفا لإحضار معظم تورانشاه ابن الصالح وملّكه كما تقدم، وحُمل فخر الدين إلى القاهرة وحمل على الأصابع وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً وعمل له عزاء عظيم. وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وخمسة مائة.

وسمع الحديث بمصر ودمشق وحدث.

ومن شعره: [دوبيت]

صَيَّرْتُ فَمِي لَفِيهِ بِاللَّثَمِ لثَامٌ
فاغتَازَ وَقَالَ أَنْتَ فِي الْفَقْهِ إِمَامٌ
وَمِنْهُ فِي مَمْلُوكٍ لَهُ تَوْفِي:

لَا رَغْبَةَ فِي الْحَيَاةِ مِنْ بَعْدِكَ لِي
إِنْ مِتَّ وَلَمْ أَمِتْ أَسَى يَا خَجَلِي
وَمِنْهُ:

فِي عِشْقِكَ قَدْ هَجَرْتُ أُمِّي وَأَبِي
يَا ظَالِمَ فِي الْهَوَى أَمَا تَنْصِفُنِي

وَمِنْهُ: [من مجزوء الرمل]

وَتَعَانَقْنَا فَقُلْ مَا
وَتَعَاتَبْنَا فَقُلْ مَا
ثُمَّ لَمَّا أَذْبَرَ اللَّـ
قَالَ: إِيَّاكَ رَقِيبِي

ورثاه الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح فقال: [من الكامل]

أَبَا مُحَمَّدَ يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ
أَلَيْتُ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبْتَ صَبِيَّ
فَتَكُوا بِهِ يَوْمَ الثَّلَاثَا فَتَكَّةً
وَخَلَى النَّدِيُّ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
قُلْ مَا بَدَا لَكَ يَا حَسُودُ فَطَالَمَا
فَعَلَيْكَ مَنِّي مَا حَيِّتُ تَحِيَّةً

أَوْدَى مَصَائِبُكَ بِالْنَدَى وَالسُّؤْدِ
حَتَّى أَوْسَدَ فِي صَفِيحِ الْمَلْحَدِ
فُجِعَ الْخَمِيسُ بِهَا وَكُلُّ مُوَحِّدٍ
لَخَلْوِهِ مِنْ مِثْلِ ذَاكَ السَّيِّدِ
فَقُتَّتْ مَعَالِيهِ عِيُونَ الْحُسَّادِ
كَالْمَسْكَ طَيِّبَةً تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

وقال لما بلغه نعيه: [من مجزوء الرجز]

فَضَّ فَمَّ نَعَى لَنَا يَوْمَ الْخَمِيسِ يَوْسُفَا
وَأَسْفَا مَنْ بَعْدَهُ عَلَى الْعُلاِ وَأَسْفَا

١٥٣ - «الموفق بن الخلال»^(١) يوسف بن محمد بن الحسين موفق الدين أبو الحجاج، المعروف بالموفق بن الخلال، صاحب ديوان الإنشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد صاحب مصر.

قال العماد الكاتب في حقّه: ناظرُ ديوان مصرَ وإنسانُ ناظره، وجامعُ مفاخره، وكان إليه الإنشاء، وله قوةٌ على الترسل، يكتب كيف يشاء، عاش كثيراً، وعُظِّلَ في آخر عمره وأضرَّ، ولزم بيته إلى أن تعوّض منه القبر، وتوفي بعد مُلكِ المَلِكِ الناصر مصرَ بثلاث أو أربع سنين.

وقال ابن الأثير: حدثني القاضي الفاضل بدمشق قال: «كان فنُّ الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غصاً طريّاً، وكان لا يخلو ديوانُ المكاتبات من رأس يراس مكاناً وبياناً، ويقيم لسلطانه بقلمه سُلطاناً، وكان من العادة أنّ كُلاً من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولدٌ وشدا شيئاً من علم الأدب، أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فنَّ الكتابة ويتدرّب ويرى ويسمع، قال: فأرسلني والدي، وكان إذ ذاك قاضياً بعسقلان، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ، وأمرين بالمصير إلى ديوان المكاتبات، وكان الذي رأس به الموفق بن الخلال، فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبني، تلقّاني بالرحب والسّهل، ثم قال لي: ما الذي أعددت لفنّ الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندي شيءٌ سوى أنني أحفظ القرآن الكريم وكتاب «الحماسة»، فقال: في هذا بلاغٌ، ثم أمرني بملازمته، فلما تردّدت إليه، وتدرّبت بين يديه، أمرني بعد ذلك أن أحل شعر «الحماسة» فجللته من أوله إلى آخره، ثم أمرني فحللته مرة ثانية». وقد استبعد بعض الناس ذلك وزعم أن الفاضل لم يدخل مصر إلا في أيام الظافر ابن الحافظ.

قلت: يمكن أن يكون قد دخلها أيام الحافظ، ثم إنّه خرج منها وعاد إليها مع والده في أيام الظافر. ويقال: إن الموفق بن الخلال كان يكتب إلى القاضي الفاضل وهو عاطلٌ في بيت خادمه يوسف، وكان الفاضل يقول: «إلى متى نجباء الألف واللام»، يعني أنه يقول

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٠٥/٢٠)، «الكامل في التاريخ» (٣٦٦/١١)، «المختصر» (٥٠/٣)،

«العبر» (١٩٤/٤)، «تتمة المختصر» (١٢١/٢)، «البداية والنهاية» (٢٦٤/١٢)، «حسن المحاضرة» (٢/

٢٣٣)، «شذرات الذهب» (٢١٩/٤).

الخادم، وهذا يدل على أنّ الخلال كان يستصغر الفاضل لأنه خرّجه وثقّفه. ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة فانقطع في بيته، وكان الفاضل يرعى له حقّ الصُّحبة والتعليم ويُجري عليه ما يحتاج إليه إلى أن مات في ثالث عشرين جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمس مائة.

ومن شعر ابن الخلال: [من الكامل]

عَذُبْتُ لِيَالٍ بِالْعُذِيبِ حَوَالِي وَخَلْتُ مَوَاقِفَ بِالْوَصَالِ حَوَالِي
وَمَضَتْ لَذَاذَاتُ تَقْضَى ذِكْرَهَا تُصْبِي الْخَلِيَّ وَتَسْتَهِيمُ السَّالِي
وَجَلْتُ مَوْرَدَ الْخُدُودِ فَأَوْثِقْتُ فِي الصَّبُوةِ الْخَالِي بِحَسَنِ الْخَالِ
قَالُوا سِرَاءُ بَنِي هَلَالٍ أَصْلَهَا صَدَقُوا كَذَاكَ الْبَدْرُ قَرْعُ هَلَالٍ

ومنه: [من مجزوء الكامل]

وَأَغْنَى سَيْفٌ لِحَاظِهِ يَفْرِي الْخُسَامَ بِحَدِّهِ
فَضَحَ الصَّوَارِمَ وَاللَّدَا نَ بِلِحَظِهِ وَيَقْدُهُ
عَجِبَ الْوَرَى لِمَا حَيَّيْ تُ وَقَدْ مُنِيتَ بِبَعْدِهِ
وَبَقَاءَ جِسْمِي نَاحِلًا يَصْلَى بِوَقْدَةِ صَدِّهِ
كَبَقَاءَ عُنْبَرٍ خَالِهِ فِي نَارِ صَفْحَةِ خَدِّهِ

ومنه في الشمعة: [من الكامل]

وَصَحِيحَةٌ بِيضَاءَ تَطْلُعُ فِي الدُّجَى صَبْحًا وَتَشْفِي النَّاضِرِينَ بِدَائِهَا
شَابَتْ ذَوَائِبُهَا أَوَانُ شَبَابِهَا وَاسْوَدَّ مَفْرَقُهَا أَوَانُ فَنَائِهَا
كَالْعَيْنِ فِي طَبَقَاتِهَا وَدُمُوعِهَا وَسَوَادُهَا وَبِيَاضِهَا وَضِيَائِهَا

ومنه: [من المديد]

وَلَهُ طَرَفٌ لَوَاحِظُهُ نَصَرْتُ شَوْقِي عَلَى كِبْدِي
قَذَفْتُ عَيْنِي سَوَافِهِ فَتَوَارَتْ مِنْهُ بِالزَّرْدِ

وكان موفق بن الخلال خال القاضي الجليس عبد العزيز بن الحسين بن الجبّاب، وقد تقدم ذكره في مكانه، فحصل لابن الخلال نكبة، وحصل لابن الجبّاب بسبب خاله صداع. فقال ابن الجبّاب وكتبها إلى الرشيد بن الزبير: [من المتقارب]

تَسْمَعُ مَقَالِي يَا ابْنَ الزَّبِيرِ فَأَنْتَ خَلِيقٌ بِأَنْ تَسْمَعَهُ

بُلِينَا بِذِي نَسَبٍ شَابِكٍ قَلِيلِ الْجَدَى فِي زَمَانِ الدَّعَةِ
إِذَا نَالَهُ الْخَيْرَ لَمْ نَرْجُهُ وَإِنْ صَفَعُوهُ صُفِعْنَا مَعَهُ
قال القاضي شمس الدين بن خلكان، رحمه الله تعالى: وهذا من قول حصين السَّعْدِي
الخارجي يخاطب قطري بن الفجاءة: [من الطويل]

وَأَنْتَ الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ حَيَاتِكَ لَا نَفْعَ وَمَوْتِكَ ضَائِرُ
ويقال إن أبا القاسم بن هانيء، الشاعر المتأخر على ابن هانيء المتقدم، هجا ابن
الخلال المذكور، وبلغه ذلك فأضمر له حقداً، واتفق بعضُ المواسم التي جرت به عادة
ملوك مصر الحضورَ لاستماع المدائح، فجلس الحافظ عبد المجيد ملك مصر إذ ذاك وأنشده
الشعراء وانتهت النوبة إلى ابن هانيء المذكور، فأنشد وأجاد فيما قاله، فقال الحافظ لابن
الخلال: كيف تسمع؟ فأثنى عليه واستجاد شعره وبالغ في وصفه ثم قال له: ولو لم يكن له
إلا ما يمتُّ به من انتسابه إلى أبي القاسم بن هانيء شاعر هذه الدولة ومُظهر مفاخرها وناظم
مآثرها لولا بيت أظهر منه الضمير عند دخوله هذه البلاد، فقال الحافظ: ما هو؟ فخرَّج من
إنشاده، فأبى الحافظ وقال: لا بدَّ من إنشاده، وفي أثناء ذلك صنع بيتاً وأنشده، وهو: [من
البيسط]

تَبّاً لِمَصْرَ فَقَدْ صَارَتْ خِلَافَتُهَا عِظْماً تَنْقَلُّ مِنْ كَلْبٍ إِلَى كَلْبٍ
فَعِظْمْ ذَلِكَ عَلَى الْحَافِظِ، وَقَطَعَ صَلَّتَهُ، وَكَادَ يَفْرُطُ فِي عَقُوبَتِهِ، وَمِنْ شَعْرِ ابْنِ الْخِلَالِ
فِي الشَّمْعَةِ أَيْضاً: [من البسيط]

وَصَعْدَةُ لَدْنَةٍ كَالْتَّبَرِ تَفْتُتُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ إِذَا مَا أَبْرَزْتَ فَلَقَا
تَدْنُو فَيَحْرِقُ بَرْدَ اللَّيْلِ لِهَذْمِهَا وَإِنْ نَأَتْ رَتَقَ الظَّلَامُ مَا فَتَقَا
وَتَسْتَهْلُ بِمَاءٍ عِنْدَ وَقْدَتِهَا كَمَا تَأْتِقُ بَرَقُ الْغَيْثِ فَاَنْدَفَقَا
كَالصَّبِّ لَوْنًا وَلَمْعًا وَالتَّظَاءِ وَضْنِي وَطَاعَةَ وَسَهَادًا دَائِمًا وَشَقَا
وَالْحَبِّ أَنْسًا وَلِينًا وَاسْتَوَاقَ سَنَا وَبِهَجَّةً وَطُرُوقًا وَاجْتِلَاءَ وَلَقَا

قلت قوله: «كالصَّبِّ لمعا» فيه نظر، ومنه قوله: «والحب لنا» نظر. ومن: [الرَّمْل]
شَيْمُ الْأَيَّامِ صَدُّ بَعْدَ وَدِّ
إِنْ أَغَائِثُ خَذَلَتْ أَوْ وَهَبَتْ
أَفْرِ لَدُنْيَا فَيَكُمُ تَخْدَعُنَا
مَا وَقْتَ أَعْوَامٍ قَرَبٍ بِالَّذِي
والليالي عهدُها أخونُ عهدِ
سلبت أَوْ أوجدت راعت بِفَقْدِ
مَنْ حباها بِمُعَارٍ مُسْتَرِدِ
جَنَّتِ اللَّوْعَةُ فِي سَاعَةِ بُعْدِ

يا أخا العزة حسب الدهر من عظم
تؤثر الدنيا فهل نلت بها لحظة تخلص من همّ وكدّ

١٥٤ - «ابن الأبله العراقي»^(١) يوسف بن محمد بن بختيار بن عبد الله الجوهري، أبو المظفر البغدادي؛ هو ابن الأبله الشاعر المشهور، وقد تقدّم ذكر والده في المحدثين. قرأ هذا طرفاً من الأدب على أبي بكر الواسطي النحوي، وطلب الحديث بنفسه.

قال محب الدين بن النجار: وسمع الكثير من شيوخنا: أبي الفرج بن كليب، وأبوي القاسم ذاك بن كامل، ويحيى بن يونس، وأبي طاهر بن المعطوش، ومن جماعة من أصحاب أبي القاسم بن الحصين وأبي العز بن كادش، وأبي غالب بن البناء، وأبي بكر ابن عبد الباقي، ومن دونهم. وقرأ بنفسه وكتب بخطه وحصل الأصول الحسان بهمة وافرة، وسافر إلى الموصل وسمع بها من أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن الطوسي، وأبي محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي. ومات شاباً غصاً طرياً، سنة سبع وتسعين وخمس مائة.

وكان يكتب خطاً حسناً ويقرأ الحديث جيداً. قال: وكان طريقه غير مرضية في الحديث لا يوثق بنقله ولا ضبطه، شاهدت له أشياء بعد موته في كتبه تدل على ضعفه، عفا الله عنا وعنه.

ومن شعره لغز في اسم معن: [من السريع]

وأشمر كالغُضْن في قدّه
بل يُخجلُ الغُضْن إذا ما انثنى
تَحَجَّبُ الشَّمْسُ إذا ما بدا
ويَظرفُ الخشف إذا ما رنى
لو أنه جاد لنا باسمه
من بعد قلب لبلغنا المنى

ومنه: [من المديد]

لا تلوموني بحقّكم
ما بقي صبر ولا جلد
فجفوني منه دامية
وحشاي حشوها كمد
وهمومي فيه واحدة
وغرامي فيه مُتَّجِد
وعذابي عزّ مطلبه
وفؤادي ناره تَقْدُ
ليس لي وصل ألدّ به
لا ولا قرب ولا بُعْد
ساعدوني بالبكا فعسى
ينجلي بعض الذي أجْدُ

قلت: شعر نازل.

١٥٥ - «البلوطي النحوي»^(١) يوسف بن محمد بن يوسف بن سعيد بن سراج بن طريف البلوطي، أبو عمر النحوي القرطبي. سمع من طاهر بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، وأحمد بن بشر بن الأغبس، والحسن بن سعد، وعبد الله بن يونس، وقاسم بن أصبغ وغيرهم. وكان عالماً بالنحو واللغة، وحسن الخط جيداً الضبط، إماماً في هذا الفن. وكان يخضبُ بالحناء، وكان صالحاً. توفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة.

١٥٦ - «صلاح الدين بن عبيد الله الموقّع»^(٢) يوسف بن محمد بن عبيد الله القاضي صلاح الدين، كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة. تقدم ذكر والده زين الدين بن عبيد الله في المحمدين. وكان هذا صلاح الدين ولده كاتباً مأموناً، اعتمد عليه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر، ولم يزل متقدماً عند كُتّاب السّر واحداً بعد واحد إلى آخر أيام القاضي علاء الدين ابن الأثير، فإنه كان يستكتبه في المهمات، وكان ملازماً ديوانه، تطلع له الشمس في ديوانه وتغرب وهو فيه. أقام كاتب درج تقدير خمس وخمسين سنة وأكثر، وكان ساكناً خيراً خائراً ليس فيه شر ألبتة، محتملاً أذى رفاقه، رأيتهم يسبونه في وجهه ولا يتكلم خصوصاً القاضي قطب الدين بن المكرم يقول له: «لعن الله والديك يا كلب يا ابن الكلب يا عبد النحس يا ابن الأمة»، ولا يردّ عليه؛ هذا وهو مقدّم على الجميع. وكان أسمر اللون، قشط الشعر، صغير الذقن. ولما حصل للقاضي علاء الدين بن الأثير مبدأ الفالج، طلبه السلطان الملك الناصر ليستكتبه شيئاً في السّر بناء على أنه يكون كاتب السّر، فلما أخذ بيده الأمير سيف الدين الجاي الدوادار، ودخل به في دهليز القصر، أحدث في سراويله فأغفي من الدخول، وكبرت سنّه وعورت عينه وانهذت أركان قواه، وهو ملازم الخدمة، فأقول له: «لو وقّرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيراً لك»، وكان يقول: «أخاف يقطعون معلومي»، ولم يكن أحدٌ يقدم على ذلك، لإقدّم هجرته وثبوت قدمه في الخدمة، ولكن كل ذلك من ضعف نفسه. وكان يكتب خطأ ردياً ضعيفاً، ولم يزل كذلك حتى توفي، رحمه الله تعالى. في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، وأعطى معلومه القاضي جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود.

١٥٧ - البديهي^(٣) يوسف بن محمد بن مهدي بن مقدّام بن الحسن بن الربيع بن زائدة ابن قدم بن شهاب بن كنانة الأخرس بن زيد بن عامر أبو الحجاج الثعلبي البديهي، المدائني

(١) انظر ترجمته في «طبقات النحويين» (٢٩٨).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢٤٦/٥).

(٣) لم أقف على ترجمته.

المولد البغدادي. روى عنه أبو بكر بن كامل في معجم شيوخه، قال: أنشدنا أبو الحجاج يوسف بن محمد البديهي في يوم عرفة سنة عشر وخمس مائة على البديهة في يوم عرفة سنة عشر وخمس مائة على البديهة: [من الرجز]

نادى مُنادي البين بالفراق فانهملت بالأدْمَع المآقي
لفرط ما ألقى من الأشواق والذَّمْعُ قد يجري من الأخراق

قال: وأنشدنا أيضاً على البديهة: [من الطويل]

وقفتُ بناديهم وقد جدَّ بينهم وفاح عليّ العرفُ في ذلك النادي
فقلت أهلُ مسكٍ تحمّل ركُبهم أم المندل الرطب استقلّ به الوادي
فقالوا: لهم ذكرٌ تضوّع نشره ففاح له عرفٌ بنشرهم باد
فقلت لأثر الركب الثم فإتني شمتُ به ما كان يُلهي عن الزاد
قلت: شعرٌ مُنَحَظ.

١٥٨ - أبو عفان النحاس^(١) يوسف بن محمد بن وليدويه، أبو عفان النحاس الشاعر.

ذكر الصولي أنه كانت [له] بالمهتدي بالله حُرْمَةٌ مؤكّدة، فولاه معونة رزقا منه باختيارٍ من أبي عفان لها، لأنه منها ولأنّ له بها ضيعة. روى عنه ولده عبد الرحمن، وله أخبار مطبوعة. من ذلك أنه وقّع أبو العباس بن بسطام لأبي عفان بكير حنطة بالفالج، فقال: يا سيدي لا أدخل بيتي فالجّين، أنا مفلوج وأخذ كير حنطة بالفالج، فضحك وأمر له بكير حنطة بالمعدّل، فضحك وقال: الساعة اعتدلت.

وقال أبو عفان: دخلت يوماً على الفضل بن المأمون وهو يصطبج وستارته مضروبة، فغنت جارية من جواريه: [من الطويل]

أناسٌ أمّناهم فنمّوا حديثنا فلمّا كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا
فقال الفضل: يا أبا عثمان أجز، فقلت:

لم يُحسنوا الوَدَّ الذي كان بيننا ولا حين همّوا بالقطيعة أجملوا
فقال لغلامه: أئش معك؟ قال: صُرّة، قال: انثرها عليه، ونزع ثيابه فألقاها عليّ وقعد في سراويل حتى جاؤوه بثيابه.

ومن شعره يمدح موسى ابن أخت مُفلح: [من البسيط]

قُلْ لِلْأَمِيرِ الَّذِي أَضَحَتْ صَنَائِعُهُ
أَنْتَ الَّذِي زَيْنَ الدُّنْيَا مُحَاسِنُهُ
أَصْبَحْتَ قَدْوَةً هَذَا النَّاسِ كُلَّهُمْ
مَنْ ذَا يَسَاوِيكَ فِي مَجْدٍ خُصِصَتْ بِهِ
يَا أَيُّهَا السَّائِلُ الْفَخَّاصُ عَنْ مَلِكٍ
إِلَيْكَ مُوسَى فَخَذَ مَا شِئْتَ مِنْ رَجُلٍ

كَوَاكِبَ الزَّهْرِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
فَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
وَأَتَمَّا يَهْتَدِي مِنْ ضَلٍّ بِالْعِلْمِ
وَاللَّهُ قَدَرَهُ فِي اللَّوْحِ بِالْقَلَمِ
كَفَّاهُ فِي مَالِهِ أَسْخَى مِنَ الدَّيَمِ
لِسَانُهُ أَبَدًا وَقَفَتْ عَلَى نَعَمِ

١٥٩ - ابْنُ الْإِمَامِ الظَّاهِر^(١) يوسف بن محمد بن أحمد بن الحسن بن يوسف، هو الأمير أبو هاشم ابن الإمام الظاهر ابن الإمام الناصر ابن الإمام المستضيء ابن الإمام المستنجد، وبقية النسب تقدم في ترجمة المستنجد. كان كبير القدر، غزير الفضل، وافر الإحسان، يعظمه إخوته وبنو عمه، وكان مرشحاً للخلافة واقتنى من الكتب ألوفاً. قال ابن أنجب: وكان يميل إلى ما أصنّفه ويبحث عما أولّفه حتى جمع منه كتباً كثيرة، واختصر تاريخي الكبير، وأفرد منه «أخبار الخلفاء». وقد جمع «تاريخاً ذكر فيه أخبار أخيه المستنصر، وكان قد سأل من أخيه المستعصم أن يرتبني وكيلاً له فأذن في ذلك، فلما عرفني أستاذ الدار اعترفت بالعجز وكراهية التصرف، وقلت: إني عاهدت الله في مكة وسألته أن لا يجعل رزقي من تصرف واستعفيت فأعفيت.

وتوفي لولدي طفل فكتب يعزّيني بأبيات من نظمته بخطه الفائق، وهي: [من المنسرح]
لا عِرْضَ نَافِعٍ [لا] ولا مال
يقال قد حُمَّ قد تصدّع قد
يموت ذو الذَّنْبِ وهو مبتسم
ويستريح الكبيرُ في حالة المـ
بأيّ ذنبٍ أطال غصّتهم
وما رأى البهشمي من عَوْضٍ
وهي أبيات طويلة.

وقد صنّف كتاباً ذكر فيه أولاد الخلفاء وما نُقل عنهم من مُلَحِّح الأخبار ومُسْتَحْسِن الأشعار.

(١) لم أعر على مصادر ترجمته.

ولمّا استولى هولاكو على الأرض وملك بغداد وحصل الخليفة في أسره، طلب إخوته وأولادهم وأهليهم، فخرج الأمير أبو هاشم صحبة المذكورين فقتلوا أجمعين، رحمهم الله تعالى، في صفر سنة ست وخمسين وست مائة.

١٦٠ - «ابن المليح الشافعي»^(١) يوسف بن محمد بن يوسف بن الفضل بن المليح الكرخي، كان فقيهاً فاضلاً شافعيّاً، وكان جدّه يوسف من دمشق، وتوفي محمد والد يوسف هذا وهو صبي فربّاه الله تعالى تربية صالحة، وحفظ القرآن وتعلّم الخط وتفقه بالمدرسة النظاميّة، ثم صحب الصوفية وسكن رباط البسطامي مدّة ثم تورّع عن أكل الأوقاف فانقطع في بيته ينسخ العلم ويأكل ولا يقبل من برّ السلاطين شيئاً، ومشى عمره على سنن مستقيم. وكتب بخطه كثيراً، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث وأخبار السلاطين وكلامهم، وسافر إلى إصبهان.

قال محب الدين بن التّجار: وسمع بقراءتي هناك كثيراً، وكانت له إجازة من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي خطيب الموصل.

١٦١ - «البيّاسي»^(٢) يوسف بن محمد بن إبراهيم بن الحجاج الأنصاري البيّاسي - بالبلاء ثاني الحروف والياء آخر الحروف مشددة وبعد الألف سين مهملة - الأديب، كان علامة أديباً إخبارياً لغوياً بارعاً في العربيّة وضروبها، وكان يحفظ «الحماسة» و«ديوان أبي تمام» و«ديوان أبي الطيب» و«سقط الزند» و«المعلقات السبع»، وله تاريخٌ على الحوادث في مجلدين سَمَاهُ «كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام» إلى أيام الرّشيد، وكتابٌ صنّفه في مجلدين سماه «الحماسة»، صنّفه بتونس ونقل فيه أشعاراً فائقة. وتوفي سنة ثلاث وخمسين وست مائة وقد تجاوز الثمانين. ولمّا قدم جزيرة الأندلس ووصل إلى تونس جمع للأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر صاحب أفريقية، رحمه الله تعالى، كتاب «الإعلام» المذكور. وكانت وفاته بتونس، رحمه الله تعالى.

١٦٢ - «المستنصر بالله المغربي»^(٣) يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي السلطان المستنصر بالله، أمير المؤمنين صاحب المغرب. لم يكن في بني عبد المؤمن أحسنُ صورة منه ولا أبلغُ خطاباً، ولكنه كان مستغرقاً في اللذات، ومات وهو

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» و«فيات» سنة (٦٥٣) و«شذرات الذهب» (٣/٣١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣٣٩/٢٣).

(٣) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٥/٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (٦١١-٦٢٠).

شاب سنة عشرين وست مائة، ولم يخلف ولداً، فاتَّفَق أهل دولته على تولية الأمر لأبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، فلم يُحَسِّن المداراة ولا التدبير، وكانت ولاية يوسف المذكور عشر سنين وشهرين.

١٦٣ - «الهوراني المحدث الكفيري»^(١) يوسف بن محمد بن منصور بن عمران المحدث الفاضل، أبو الفضل الهلالي؛ حوراني، كتب «أحكام الضياع»، وقرأه على ابن الكمال، وحفظ متوناً جمّة، وأمّ بمسجد بيت أبيات، وقرأ الحديث على ابن عبد الدائم، وصحب محموداً الزاهد الدمشقي، وسمع بمصر من الرُّشيد العطار، وكتب عنه الجماعة. وكان يقرأ على كرسيّ بالجامع من حفظه، وربما قرأ في القرى فيهبونه، وكان ديناً قانعاً، وتوفي سنة عشر وسبع مائة رحمه الله تعالى.

١٦٤ - «السَّيْف النَّاسِخ»^(٢) يوسف بن محمد بن عثمان السيف الناسخ، أصله من سرخس، رأيته غير مرة ينادي على الكتب بجسر اللّبادين بدمشق، وينسخ وهو شيخ قد أنقى، وكان ردي الحال، كتب كثيراً من الدواوين المتأخرة خصوصاً ديوان سيف الدين المشد، وديوان محاسن الشعراء. وكان يقول: أنا قبلت القبلة بألف درهم، يفتخر بهذا. وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة إحدى وعشرين وسبع مائة.

١٦٥ - «ابن المُهتار»^(٣) يوسف بن محمد بن عبد الله، الإمام الفاضل الكاتب مجد الدين أبو الفضائل بن المهتار، المصري ثم الدمشقي المجود المحدث القارئ بدار الحديث الأشرفية. ولد في حدود سنة عشر وست مائة وتوفي سنة سبع وثمانين وست مائة. وسمع من ابن صباح وابن الزبيدي والفخر الإربلي وابن اللّتي، وجعفر الهمداني وابن المقير، وابن ماسوية وطائفة؛ وقرأ وكتب الأجزاء والطباق، وشارك في العلم وتوحد في الكتابة الفائقة وعلم بها دهرأ، وولي في الآخر مشيخة الدار النورية، وكان إمام المسجد داخل باب الفراديس، وكان ذا دين وورع، وكُفِّ بصره قبل موته بقليل سمع منه ابن العطار، وابن الحُبَّاز، وابن أبي الفتح، والمزي، وطائفة سواهم، وأجاز للشيخ شمس الدين مروياته.

١٦٦ - «ابن حمّاد خطيب حماه»^(٤) يوسف بن محمد بن مظفر بن حمّاد، جمال الدين الحموي الشافعي مفتي حماه وخطيبها بالجامع الكبير. توفي، رحمه الله تعالى، سنة اثنين

(١) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢٥١/٥)، و«معجم الشيخ» للذهبي (٦٦٥).

(٢) انظر ترجمته في «معجم الشيخ» للذهبي (٦٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٢٤٦/٥).

(٣) انظره في «البداية والنهاية» (٣٠٨/١٣)، و«شذرات الذهب» (٣٦٤/٥).

(٤) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٣٤٩/٥)، و«أعيان العصر» (٣٥٩/٣).

وثلاثين وسبع مائة، عن أربع وستين سنة، وحَدَّث بجزء الأنصاري عن مؤمل النابلسي، والمقداد القيسي. وكان على قدم متين في العلم والعمل والتعبّد ونشر العلم، ولما مات تأسّف الناس عليه، رحمه الله تعالى.

١٦٧ - «ابن المغيزل الشافعي»^(١) يوسف بن محمد الشيخ الإمام صلاح الدين بن المغيزل الحموي، الشافعي، مفتي حماء وخطيبها، كان كهلاً مفتناً في العلوم، مناظراً، له محفوظات وفضائل. حَدَّث عن الشيخ شمس الدين بن قدامة، وتوفي، رحمه الله تعالى، بحماه سنة تسع عشرة وسبع مائة. حكى لي شمس الدين بن النصيبي بحلب قال: بحث يوماً صلاح الدين بن المغيزل وبدر الدين بن الوكيل في مسألة بحضور ابن البارزي قاضي حماء، من بكرة إلى أن قال المؤذن للظهر: «الله أكبر»، فقال القاضي شرف الدين: «طول الله في عُمركما للمسلمين»، سروراً بهما، أو كما قال.

١٦٨ - «جمال الدين المقرئ»^(٢) يوسف بن محمد بن نصر بن أبي القاسم، الشيخ الفقيه جمال الدين المقرئ، سمع من ابن علاّق، والتجيب الحرّاني، وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مائة بالقاهرة، ومولده سنة أربع وستين وست مائة.

١٦٩ - «نور الدين الفيومي»^(٣) يوسف بن محمد بن أحمد بن صالح بن صارم بن مخلوف، نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الأنصاري الخزرجي الفيومي؛ مولده سنة ثمان وسبعين وست مائة. اجتمعت به لديار المصرية وبصغد وبدمشق غير مرّة، وكتب إليّ شعراً وأجبتّه عنه. أعرّفه وهو شاهدُ العمائر للأمير سيف الدين بكتُمُر الساقى، ثم إنّه ورد إلى صفد وأقام بها مدةً في خدمة الأمير سيف الدين طُشْتُمُر النائب بها، ثم إنّه توجه معه إلى حلب ثم عاد إلى مصر ورأيتّه بها سنة خمس وأربعين وسبع مائة، وكتب إليّ بالقاهرة بما قدمت إليها في السنة المذكورة ثم أنشدني من لفظه: [من الوافر]

وجدنا أنسَ مولانا فلَمّا	وجدنا الأنسَ لم نقنع بذاكا
وهامَ الطرفُ مِنّي في انتظار	يروم من الصّبا بة أن يراكا
عجزتُ عن المزار فكنت ممّن	نواك به، كُفينا من نواكا
ولا عَتَبَ على شيخٍ ضعيف	إذا ما قام لَم يملك حراكا
فعش لمسرّة الأحباب إنّنا	إذا ما عشت عشنا في دُراكا

(١) انظر ترجمته في «أعيان العصر» (٣/٣٥٩).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٥/٢٥١).

(٣) انظر ترجمته في «أعيان العصر» (٣/٣٦١).

وأنشدني من لفظه لنفسه تشبيهاً في عَضْفَرٍ: [من الوافر]

أَشْبَهَ عَضْفَرًا فِي الرُّوضِ يَزْهِي وَتَشْبِيهِ لِهَيْئَتِهِ مُقَارِبُ
كَكُنْزٍ فِيهِ بِلُؤْزٍ عَلَيْهِ دَنَانِيرٌ، وَمَهْلِكُهَا عِقَارِبُ

وأنشدني أيضاً لنفسه في قصب السُّكَّرِ: [من السريع]

فِي حَلَبٍ أَبْصَرْتُ أَعْجُوبَةً تُخْرِجُ أَذْكَى النَّاسِ مِنْ عَقْلِهِ
شَخْصاً رَشِيقَ الْقَدِّ عَذَبَ اللَّمَى لَا تَقْدِرُ الرُّومُ عَلَى مِثْلِهِ
وَهُوَ بَلَا عَقْلٍ جَرِيحَ الْحِشَا وَالِدُودٌ لَا يَشْبَعُ مِنْ أَكْلِهِ
لَا يَبْرَحُ الْبُولُ عَلَى رَأْسِهِ وَالْقَيْدُ لَا يَنْفِكُ مِنْ رِجْلِهِ
لَهُ عَيُونٌ وَهُوَ أَعْمَى وَفِي عَيْنِيهِ أَوْلَادٌ عَلَى شَكْلِهِ
يَا مَنْ سَمَا بَيْنَ الْوَرَى قَدْرُهُ اكْشِفْ لَنَا عَنْهُ وَعَنْ أَضْلِهِ
وَقُلْتُ أَنَا فِي ذَلِكَ: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِمَغْسُولِ الرُّضَابِ مَهْفَهْفٍ يَحَاكِي أَنْابِيبَ الْقَنَا حَالَ نَبْتِهِ
تَنَاقُضٍ مَعْنَاهُ الْغَرِيبُ فَبُولُهُ عَلَى الرَّأْسِ رَأْسٌ وَالشُّوَارِبُ فِي اسْتِهِ
١٧٠ - «الأسْوَني المَالِكِي»^(١) يَوْسُفُ بْنُ مَرْحَبٍ، أَبُو عَمْرٍو مِنْ أَهْلِ أَشْوَنةَ، سَمِعَ مِنْ
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَتَبِيِّ وَغَيْرِهِ وَكَانَ عَالِماً بِالْفَتْيَا، حَافِظاً لِلْمَسَائِلِ وَالرَّأْيِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ: ذَكَرَهُ إِسْمَاعِيلُ.

١٧١ - «التَّلْعَفَرِيُّ الشَّاعِرُ»^(٢) يَوْسُفُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ بَرَكَةَ، أَبُو الْمُحَاسَنِ الشَّيْبَانِيُّ
الشَّاعِرُ الشَّيْعِيُّ، وَالِدُ شَهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ التَّلْعَفَرِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَلَدِهِ فِي الْأَحْمَدِيِّينَ. وَلَدَ
يَوْسُفُ هَذَا سَنَةَ سِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَتَوَفَّى سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتَ مِائَةٍ وَلَهُ مَدَائِحُ فِي أَهْلِ
الْبَيْتِ.

١٧٢ - «ابْنُ الْفَرَجِ الْأُرْمُوي»^(٣) يَوْسُفُ بْنُ الْمُظْفَرِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ الْفَرَجِ الْأُرْمُوي.

١٧٣ - «ابْنُ الْوَرْدِيِّ الشَّافِعِيِّ»^(٤) يَوْسُفُ بْنُ مُظْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ،
الْفَقِيهَ الْإِمَامَ جَمَالَ الدِّينِ الْمُعَرِّيَّ ابْنَ الْوَرْدِيِّ الشَّافِعِيِّ، أَخُو الْإِمَامِ زَيْنِ الدِّينِ عَمْرِو بْنِ مُظْفَرِ

(١) لم أَعثر عَلَيْهِ مَصَادِرَ تَرْجَمَتِهِ.

(٢) انْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي «تَارِيخِ الْإِسْلَامِ» (٦١١-٦٢٠).

(٣) انْظُرْهُ فِي «التَّكْمَلَةِ لَوْفَاتِ النُّقْلَةِ» (٤٤٠/٢).

(٤) انْظُرْهُ فِي «الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ» (٢٥٣٥).

وقد تقدم ذكره في حرف العين، وجمال الدين هو الأكبر، كان فقيهاً جيداً، قرأ «التنبيه» واشتغل «بالحاوي الصغير» كثيراً، وكان ينقل من الرافعي ومن «الروضة» كثيراً. ذكر لي جماعة أنه كان فقيه النفس، وكان جواداً بما يملكه، واشتغل على القاضي شرف الدين بن البارزي، وتنقل في القضاء بالبلاد الحليّة، وربما أنه تعدّى السبعين، وكان ضعيف العربية. توفي - رحمه الله تعالى - في أواخر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مائة في طاعون حلب.

١٧٤ - «ابن معزوز المُرسي»^(١) يوسف بن معزوز، أبو الحجاج القيسي المُرسي، إمام التحو مصنف «شرح الإيضاح» للفراسي، وله ردُّ على الزمخشري في «المفصل». أخذ عن أبي إسحاق بن ملكون، والسّهيلي. تخرج به جماعة أئمة، وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس وعشرين وست مائة.

١٧٥ - «الزّانكي»^(٢) يوسف بن المغيرة بن أبان اليشكري، أبو يعقوب الزّانكي - بالزاي والألف والنون والكاف - ويعرف بالأخضر. قال محمد بن داود بن الجراح الكاتب: أبو يعقوب الزّانكي مجهول الشعر من أهل البصرة. وقال غيره: قدم مدينة السلام من البصرة وقد صفر شيباً له وخنجرَ لحيته، وهو مؤتزرٌ بإزارٍ أحمر مُرتدٍ بآخر مثله، يُنشد أبا نواس في جامع البصرة لنفسه في أبي دلف: [من الكامل]

والظّلُّ يقدحُ في حمام الجندبِ	الشَّمْسُ تنهضُ في قرون العقرب
والنَّجم من عالٍ من متصوّب	والليلُ محشوشٌ بأنفاس الدجى
جادت بدّرّتها ولمّا تُخلب	فاصبح نديمك من سُلّافَةٍ قُرُف
من دتّها مثلُ انقضاء الكوكب	ظعنت بمبزلها فاتبع كوبها
بمسلسل حمد السباب أصهب	فاضطبَّ منها في الزجاج وعلّها
نُطقُ بكلِّ بيانٍ حُسْنٍ مُغرب	فالراحُ مُخرسةٌ وألسُنُ نورها
خيّلانٍ من بكر العراق تغلب	ومتوّج عكفتُ بصحنٍ فنائه
في النُّقع من متَقَصِّفٍ ومخضب	نفسى أبا دلفٍ فداؤك والقنا

فقال له أبو نواس: أرويت من شعري شيئاً أم لا؟ قال: لا، قال: لِمَ؟ قال: لأنك كثيرُ الإحالة غيرُ مُتسقِ الشعر، قال: وما ذاك ويلك؟ فذكر شيئاً كثيراً من شعره عابه به، فشتّمه أبو نواس وقام عن الحلقة.

(١) انظره في «الدرر الكامنة» (٢٥٣٥).

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٦٢١-٦٣٠)، و«بغية الوعاة» (٣٦٢/٢).

وأشد الزانكي لنفسه: [من البسيط]

ومستطيل على الصَّهْبَاءِ باكرها في فتية باصطباح الراح حُذَّاقِ
وكلُّ شيءٍ رآه ظنَّه قدحاً وكلُّ شخصٍ رآه ظنَّه السَّاقِي

ابن موسى

١٧٦ - «القطان الكبير»^(١) يوسف بن موسى القطان. روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وكتب عنه يحيى بن معين قال: لا بأس به. وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

١٧٧ - «القطان الصغير»^(٢) يوسف بن موسى بن عبد الله القطان المروزي، قدم بغداد وحَدَّث بالكثير، وكان مكثراً فاضلاً واسعَ الرحلة. وهو يوسف القطان الصغير، والكبير هو المذكور أولاً، وذلك من شيوخ البخاري. وتوفي يوسف الصغير بمرور الروذ في سنة ست وتسعين ومائتين، رحمه الله تعالى.

١٧٨ - «الإمام التُّطِيلِي»^(٣) يوسف بن موسى، المعروف بالإمام التُّطِيلِي، أبو عمر. كان عالماً فاضلاً وكانت له رحلة سمع فيها وجمع وكان حافظاً. قال ابن الفرضي: ذكره ابن الحارث.

١٧٩ - «ابن الحيوان»^(٤) يوسف بن موسى بن محمد بن الحيوان، بهاء الدين ابن الشيخ تاج الدين؛ شاب فاضل، ذكي، شاب فاضل، ذكي، تفقه وحصل، وسمع الحديث وتعلم الشعر ونظم، ثم إنّه تفقه ولازم ابن الباجُربقي فأفسد عقيدته، وكان كَيْساً متواضعاً، حسن العشرة. توفي، رحمه الله تعالى، سنة تسع وتسعين وست مائة. ومن شعره...

١٨٠ - «الفقاعي الصالح»^(٥) يوسف بن نجاح بن مؤهوب، الشيخ القدوة الزاهد الفقاعي، كان عبداً صالحاً قانتاً كبير الشأن، له أصحاب ومحبّون، وكان حسن التربية، كريم الأخلاق متواضعاً، مطرح الكلفة. توفي، رحمه الله تعالى، في سنة تسع وسبعين وست مائة، وقد نيف على الثمانين ودفن في زاويته بسفح قاسيون.

(١) انظر توجه في «سور اعلام الإلاء» (٢٢١/١٢)، و«تهذيب التهذيب» (٤٢٥/١١)، و«تاريخ الإسلام» (٢٥١-٢٦٠)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٤٦٥/٣٢).

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٢٩١-٣٠٠).

(٣) لم أقف على مصادر ترجمته.

(٤) انظر ترجمته في «أعيان العصر» (٣٦٣/٣).

(٥) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٣٦٥/٥)، و«النجوم الزاهرة» (٣٤٧/٧).

ابن نصر

١٨١ - «الاستنجي»^(١) يوسف بن نصر الأزدي القرطبي، أبو عمر. أصله من استجة، تحوّل عنها في زمن الفتنة، وقيل إن نصراً قُتل في الثائرة التي كانت بين المولدة والعرب باستجة. وكان أبو عمر رجلاً صالحاً لم يتلبس بشيء من الدنيا، وكان العمل أغلب عليه، وكان طويل الصمت، وكان إذا صلى الصبح لم يتكلم بشيء حتى يقرأ سورة الإخلاص ألف مرة، وكان لا يتنقل في المساجد.

وتوفي، رحمه الله، في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة.

١٨٢ - «عماد الدين بن الشُّقاري»^(٢) يوسف بن أبي نصر بن الشُّقاري الشيخ الأمير المسند عماد الدين أبو الحجاج الدمشقي. ولد سنة عشر وست مائة، وتوفي - رحمه الله - سنة تسع وتسعين وست مائة. وسمع «الصحيح» من ابن الزبيدي، وابن الصلاح، والنّاصح ابن الحنبلي، والفخر الإربلي، والرّشيد بن الهادي، والسّخاوي. وولي إمرة الحاج مرّاتٍ عديدة، وأنفق في ذلك في وجوه البرّ أموالاً كثيرة، وكان سليم الباطن، وقف بالنيّرب تربة مليحة بقبة وخانقاه، ومسجداً، ووقف على ذلك أماكن. وحذّث «بالصحيح» غير مرّة، قرأ عليه الشيخ شمس الدين «الصحيح» في عشرة أيام.

١٨٣ - «الرّمادي»^(٣) يوسف بن هارون، أبو عمر الكندي الرمادي. كان أحد آبائه من رمادة، وهو موضع بالمغرب. وأبو عمر شاعر قرطبي سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة بالمغرب. وكان كثير من أشياخ الأدب بالمغرب يقول: «فُتِحَ الشَّعر بكندة وخُتِمَ بكندة»، يعنون امرأ القيس والرمادي هذا. وامتدح أبا علي القالي بقصيدة أولها: [من الكامل]

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَذُولِي	الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْغَلِيلُ غَلِيلِي
فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصَوُّ مُعَذَّبِي	سَلِمْتُ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ
إِنْ قَلْتُ فِي بَصْرِي فَشَمَّ مَدَامَعِي	أَوْ قَلْتُ فِي كَبْدِي فَشَمَّ غَلِيلِي
وِثْلَاثُ شِيْبَاتٍ نَزَلْنَ بِمُفْرَقِي	فَعَلِمْتُ أَنَّ نَزُولَهُنَّ رَحِيلِي

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٤٥٤/٥)، و«أعيان العصر» (٣/٣٦٤).

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٠١-٤١٠)، و«شذرات الذهب» (٣/١٧٠)، و«نفع الطيب» (٣/٣٦٤)، و«جذوة المقيس» (٣٤٦)، و«إرشاد الأريب» (٧/٣٠٨).

طلعت ثلاثاً في نزول ثلاثة
فعرّزّني عن صبوتي فلئن
ثم إنه خرج من هذا إلى وصف الصيد والروض، فقال:
روضٌ تعاهدُه السّحاب كأنّه
يعني إسماعيل القالي مدوحه.

قسه إلى الأعراب يعلم أنّه
حازت قبائلهم لغاتٍ فرّقت
فالشّرقُ خالٍ بعده فكأنّما
فكأنّه شمسٌ بدت في غربنا
يا سيّدي هذا ثنائي لم أقل
من كان يأملُ نائلاً فأنا أمرؤ
وقال ابن سعيد المغربي إن الرمادي اكتسب الأدب عن يحيى بن هذيل الكفيف
المغربي وقد تقدم ذكره في حرف الياء في مكانه - وقال ابن بشكوال: «روى الرمادي كتاب
«النوادر» عن أبي علي القالي.

وأخذ عن الرمادي أبو عمر بن عبد البر قطعة من شعره ورواها في بعض تواليفه.
وقال ابن حيان: توفي الرمادي سنة ثلاث وأربع مائة يوم العنصرة فقيراً معدماً ودفن
بمقبرة كلع بقرطبة.

وكان يُلقب بأبي حُنَيْش - بضم الحاء المهملة وكسر النون وبعدها ياء آخر الحروف
وشين معجمة - ومن شعر الرمادي المذكور في غلام ألثغ: [من الكامل]
لا الرّاء تطمّع في الوصال ولا أنا
الهجرُ يجمعنا فنحنُ سواء
فإذا خَلَوْتُ كتبْتُها في راحتي
ويكيْتُ منتحباً أنا والرّاء
وله فيه أيضاً: [من الكامل]

أَعِذْ لُثْغَةً في الرّاء لو أنّ واصلًا
تَسَمَّعَها ما أسقط الرّاء واصلُ
وقال الرّمادي: [من الطويل]

ولم أرَ أحلى من تبسّم أعين
غداة النّوى عن لؤلؤ كان كامناً
قال ابن بسام في الذخيرة: ألا ترى قول أبي عامر - يعني ابن شهيد - حين الرّمادي

يقول: وأنشد البيت «ولم أر أحلى»، فقال: [من الطويل]

ولما فشا بالدمع من سرّ وجِدنا إلى كاشحينا ما القلوب كواتم
أمرنا بإمساكِ الدموع جفوننا ليشجي بما تطوي عذول ولائم
أبى دمعنا يجري مخافة شامت فنظّمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا جفون كريمة تبسّمَن حتى ما تروق المباسم

قال ابن ظافر: وأخذ المعنى صاحبنا السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك فقال:

[من البسيط]

رأيتُ طرفك يومَ البين حين هَمَى ذا الدمعُ ثغرٌ وتكحيلُ الجفونِ لمى
فاكففت ملامك عني حين الثُمّة فما شككت أني قد رأيت فما

وأخذه أيضاً على ما زاد فيه ابن شهيد وقال: [من الكامل]

وإذا بكت عيني تقول تبسّمت إنّ الدموع لها ثغورٌ عندنا

قال ابن ظافر أيضاً: وقد أخذه من قبله الرئيس أبو منصور بن صرّدر فقال: [من

الكامل]

متلوّنين على شواهد حُبهم فالعين تُنظرُهُم بذي ألوان
ولو أنه ماء لقالوا دَمْعُهُ ثغرٌ وجفنا عَيْنُهُ شفتان

قلت وأنا، وقد أعجبنى ما في هذه الأبيات من الاستعارة، فقلت: [من الوافر]

بكى المحبوب لي لما اجتمعنا وكان هواء فرقته تَنَسّم
غلطت فما بكى أسفاً لبعدي ولكن ثغرُ ناظره تبسّم

وقلت أيضاً مضمناً: [من الطويل]

بمقلّة محبوبي دموعٌ تحيّرَت دلالاً على صبّ غدا وهو مغرم
فشبهت عينيه سيوفاً وقد غدت من التيه في أجفانها تبسّم

وقلت أيضاً مُهتدياً قول أبي الطيب: [من الوافر]

أيا دمعاً به طاب اكتئابِي ولذلي التّعشُّق والغرام
لقد حَسُنَتْ بك اللوعات حتى كأئك في فم الجفن ابتسام

١٨٤ - «الطبيب الصفدي»^(١) يوسف بن هبة الله الإسرائيلي، الشيخ جمال الدين الحلبي الطبيب الفاضل، المعروف في القاهرة بالصَّفدي لأنه سكن صفد مُدَّةً. وله كلام جيد على آيات تدلُّ على ذكائه واطلاعه، توفي - رحمه الله - سنة ست وتسعين وست مائة.

١٨٥ - «الحلبي الطبيب»^(٢) يوسف بن هلال بن أبي البركات جمال الدين، الحلبي الحنفي أبو الفضائل الطبيب الصفدي. أخبرني العلامة أثير الدين من لفظه قال: كان فيه تعبّد واعتكاف في شهر رمضان بجامع الحاكم، وكان مؤثراً للفقراء يطبّهم ويبرّهم بالشراب والطعام الذي يواتيهم في مرضهم. أنشدنا لنفسه بالكاملية يوم الأحد التاسع للمحرم سنة إحدى وثمانين وست مائة: [من الكامل]

بكَمالٍ حُسْنِكَ يا مُخاطَبَ ذاتي	بلوائح أخفى من اللحظات
أُنْعِمَ عليّ بترك ما هو عكس ما	قد جلَّ عن حصرٍ وعن كلمات
يا قهوةً منّي إلي شربتها	عندي إذا حُظرت على الأموات
ارتجّت الأرضون ثم تشققت	عن كلِّ ميتٍ فيه كلُّ حياة
هي روح سر السرفهي إذا بدت	تستغرق الأرواح في الأوقات
من دونها موتٌ وفيها عيشة	فالروح أول فقدة يا آت
ماذا أقول وما أصرّح واصفاً	قد قلت في الحركات والسكنات
فوصفت ظاهرها بما أظهرته	والستر في سرّي ولا بصفات

وقال الشيخ شمس الدين: كان أديباً عالماً له أرجوزة في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي. توفي - رحمه الله - بالقاهرة سنة ست وتسعين وست مائة.

ابن يحيى

١٨٦ - «البُويطي الشافعي»^(٣) يوسف بن يحيى الإمام أبو يعقوب البويطي - بالباء الموحدة مضمومة وبعد الواو المفتوحة ياء آخر الحروف وطاء مهملة - وبُويط قرية بصعيد مصر. صاحب الإمام الشافعي، رضي الله عنهما. كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة، اختصَّ به في حياته، وقام مقامه في الدروس والفتوى بعد وفاته. سمع من عبد الله بن وهب

(١) انظر ترجمته في «أعيان العصر» (٣/٣٦٣).

(٢) انظر ترجمته في «معجم الأطباء» (٥٢٦)، و«الأعلام» للزركلي (٨/٢٥٦).

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥٨/١٢)، و«تهذيب التهذيب» (٤٢٧/١١)، و«وفيات الأعيان» (٢/

٣٤٦)، و«تاريخ بغداد» (٢٩٩/١٤)، و«مفتاح السعادة» (١٦٨/٢)، و«شذرات الذهب» (٧١/٢).

المالكي، ومن الشافعي. وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، والقاسم بن المغيرة الجوهري، وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم. وكان قد حُمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في المحنة وأريدَ على القول بخلق القرآن فامتنع من الإجابة إلى ذلك، فحبس ببغداد ولم يزل في السجن والقيد إلى أن مات، رحمه الله تعالى، يوم الجمعة قبل الصلاة في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل توفي سنة اثنتين وثلاثين، والأول أصح.

قال الربيع بن سليمان: رأيت البويطي على بغل وفي عنقه غلٌّ وفي رجله قيد، وبين الغلّ والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بكن، فإذا كانت «كن» مخلوقة، فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً فوالله لأموتنّ في حديدي حتى يأتي بعدي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت عليه لأصدقته، يعني الواثق.

قيل إن ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه، فأخرجه في وقت المحنة، ولم يخرج من أصحاب الشافعي غيره.

وكان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة وهو في السجن، اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد؟ فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول: اللهم إنك تعلم أنني قد أجبت داعيك فمنعوني.

وقال أبو الوليد بن أبي الجارود: كان البويطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي.

وقال الربيع: كان البويطي أبداً يحرك شفّتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب.

وقال أيضاً: كان الرجل يجيء فيسأل الشافعي مسألة، فيقول له: سلّ أبا يعقوب، فإذا أجابه وأخبره قال: هو كما قال. وربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فوجه أبا يعقوب إليه، ويقول: هذا لساني.

وقال الخطيب في تاريخه: لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه، جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي، فقال: البويطي: أنا أحقّ به منك، وقال ابن عبد الحكم: أنا أحقّ به، فجاء أبو بكر الحميدي، وكان في تلك الأيام بمصر، فقال: [قال] الشافعي ليس أحد أحقّ بموضعي من يوسف بن يحيى، وليس أحد من أصحابي أعلم منه، فقال ابن عبد الحكم: كذبت، فقال الحميدي: كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك؛

وغضب ابن عبد الحكم فترك مجلس الشافعي وتقدّم فجلس في الطاق، وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي مكان الشافعي.

وقال الربيع: كنت [عند الشافعي] أنا والمزني والبويطي، فنظر إلينا وقال للمزني: هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدله، وقال للبويطي: أنت تموت في الحديد.

١٨٧ - «المقامي القرطبي يوسف»^(١) بن يحيى بن يوسف الأزدي المعروف بالمقامي، من أهل قرطبة، أبو عمر أصله من طليطلة، وهو من ذرية أبي هريرة رضي الله عنه. سمع يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وروى عن عبد الملك بن حبيب مصنفاته، ورحل إلى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي، وبمكة من علي بن عبد العزيز، وسمع بصنعاء من أبي يعقوب الدبري، صاحب عبد الرزاق وغيره، وعاد إلى الأندلس. وكان فقيهاً نبيلاً فصيحاً، بصيراً بالعربية مغفلاً، ثم إنه أقام بقرطبة أعواماً وعاد إلى مصر وأقام بها، وسمعه الناس وعظم أمره، ثم إنه عاد إلى المغرب، وتوفي بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين. وروى بمصر «الواضحة» لابن حبيب، وصنف في الردّ على الشافعي عشرة أجزاء، وله «فضائل مالك».

ومقامه - بميمين بينهما ألف وغين معجمة - قرية من أعمال طليطلة.

ابن يعقوب

١٨٨ - «السُّلعي»^(٢) يوسف بن يعقوب السُّدوسي مولا هم المعروف بالضُّبعي، ويقال له السُّلعي لسعة في قفاه، وقيل السُّلعي - بتحريك اللام - لأنه كان يبيع السُّلَع. وثقه ابن حنبل، وروى له البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه. وتوفي - رحمه الله - سنة اثنتين ومائتين.

١٨٩ - «ابن خرّازد النّجيري»^(٣) يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خرّازد، أبو يعقوب النّجيري البصري اللغوي نزيل [مصر]، من أهل بيت العلم والأدب. كان له خط في غاية الإتقان يرغب فيه الفضلاء حتّى أنه بلغ «ديوان جرير» بخطه إلى عشرة دنانير، وليس هو خطأً منسوباً. وتوفي سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة، رحمه الله تعالى. وروى عن أبي يحيى

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٣٣٦/١٣)، و«ترتيب المدارك» (٤٣٠/٤)، و«شذرات الذهب» (٢/١٩٨)، و«فتح الطيب» (٥٩٠/١)، و«جذوة المقتبس» (٣٥٠).

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٢٠١-٢١٠)، و«تهذيب التهذيب» (٤٣١/١١).

(٣) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٣٦١-٣٧٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨٥/١٤).

ابن زكرياء بن يحيى بن خلاد الساجي وطبقته، وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره. وكان أبو يعقوب أمثل أهل بيته، وخطوطهم كلهم متناسبة يقرب بعضها من بعض، وكان لأهل مصر رغبة فيها وتنافس. وأكثر ما ترى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب في الديار المصرية من طريقه. وكان النجيري شيخاً أسمر اللون، كث اللحية، مدور العمامة. قال الموفق بن الخلال: كان نحوي مصر،

١٩٠ - «جمال الدين الإربلي»^(١) يوسف بن يعقوب بن عثمان بن أبي طاهر بن مفضل، جمال الدين أبو المظفر الإربلي الدمشقي الذهبي. ولد ظناً سنة تسعين وخمس مائة. وسمع بإفادة عمه عز الدين عبد العزيز من أبي طاهر الخشوعي، وحنبل، وابن طبرزد، والكندي وجماعة. ولم يظهر سماعه من الخشوعي إلا بعد موته، وتوفي سنة اثنتين وستين وست مائة، رحمه الله تعالى.

١٩١ - «ابن أبي يوسف»^(٢) يوسف بن يعقوب هو ابن القاضي أبو يوسف، توفي رحمه الله تعالى، في حدود المائتين، قيل في سنة اثنتين وتسعين ومائة. وكان قد تفقه ونظر في الرأي، وسمع من يونس بن إسحاق السبيعي، والسري بن يحيى وغيرهما. وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد حياة أبيه، وصلى الجمعة بالناس في مدينة المنصور بأمر الرشيد، وولي بعده القضاء أبو البختري.

١٩٢ - «نجم الدين بن المجاور»^(٣) يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الرئيس المعمّر، نجم الدين أبو الفتح ابن الوزير الصاحب أبي يوسف بن المجاور الشيباني الدمشقي الكاتب. ولد سنة إحدى وست مائة، وتوفي - رحمه الله تعالى -، سنة تسعين وست مائة. سمع من أبيه، والكندي، والخضر بن كامل السروجي، وابن مندويه، وابن ملاعب، والشيخ الموفق. كان في دار الطعم ثم عزل قبل موته بقليل، سنتين أو ثلاث. ومع ذلك كان فيه عبادة ودين. وأجاز له ابن القبيطي، وابن الأخضر، وابن العاقولي، وسمع «تاريخ بغداد» من الكندي، وسمعه منه المزي، وتفرّد به وبشيء كثير وانقطع بموته إسناد عال.

١٩٣ - «البهلول»^(٤) يوسف بن يعقوب بن إسحاق البهلول أبو بكر التنوخي الأزرق، الكاتب البغدادي الدارنباري المولد. كان كاتباً جليلاً متصرفاً. توفي سنة تسع وعشرين

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «تاريخ الإسلام» (١٩١-٢٠٠)، و«تاريخ بغداد» (١٤/٢٩٦).

(٣) انظر ترجمته في «النجوم الزاهرة» (٨/٣٣)، و«شذرات الذهب» (٥/٤١٧).

(٤) لم أعثر على مصادر ترجمته.

وست مائة.

ابن يوسف

١٩٤ - «الأمير العباسي»^(١) يوسف بن يوسف بن علي بن يوسف بن أحمد هو الأمير ابن الأمير أبي نصر ابن الأمير أبي محمد ابن الأمير أبي نصر بن الإمام أبي العباس المستظهر. كان أحد الأمراء الساكنين بدار الصخر. قال ابن أنجب: كان عنده أدب وينظم الشعر، وصنّف كتاباً في الشطرنج، وعمل منه دستاً كاملاً وزنه قيراط ونصف حبة، وعرضه على المستنصر بالله فأنعم عليه بخمس مائة دينار.

١٩٥ - «محيي الدين بن زبلاق»^(٢) يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم ابن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد الفأفاء الزينبي بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن المطلب الصدر، محيي الدين بن زبلاق العباسي الهاشمي الموصلبي الكاتب الشاعر.

عاش سبعاً وخمسين سنة، وتوفي في حدود الستين وست مائة. وكان مشهوراً سائر القول، قتله التتار حين ملكوا الموصل - رحمه الله تعالى - وروى عنه الديماطي وغيره. قال بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي في وصفه: صاحب محيي الدين يُضرب به المثل في العدالة، وله الرتبة العليا في الشرف والأصالة، فارس مبارز في حلبات الأدب وعالم مبرز في لغة العرب، بطبع أخذ لطافة الهواء ورقّة الماء، كأنما ظهرت له أسرار القلوب فهو يتقرّب إليها بكل محبوب، شعره أحسن من الروض جاءه الغمام، وأزهى من اللؤلؤ الرطب زانه النظام، وكلامه يشفي السقام، ويطفئ الأوام وبديته أسرع من مرّ الطرف، وأحلى من ثمار المنى دانية القطف، حسن العشرة، كريم النفس، جامع بين أدبها وأدب الدرس، انتهى.

قلت: ومن شعر ابن زبلاق: [من الكامل]

أَمَحَلَّ صَبَوْتِنَا تَحِيَّةً مُغْرِمَ	يَهْدِي السَّلَامَ عَلَى الْعِبَادِ بِرَغْمِهِ
أَثَرِي ثَرَى ذَاكَ الْجَنَابَ مِنَ الْحَيَاةِ	غَادِي وَمَنْ لِي لَوْ ظَفَرْتُ بِلَشْمِهِ
فَبِشْغَبِ ذَاكَ الْحَيِّ مِثْلُ غَزَالِهِ	فِي غُنْجِهِ وَهَلَالِهِ فِي تَمِّهِ
دَمْعِي وَمَبْسَمِهِ لِكُلِّ مِنْهُمَا	مَعْنَى غَنِيَّتْ بِنَشْرِهِ عَنِ نَظْمِهِ

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظره في «شذرات الذهب» (٣٠٤/٥)، و«البداية والنهاية» (٢٣٦/١٣)، و«الوفيات» (٣٢١/٢).

كلُّ كسا جسمي النحول بسقمه
طوراً وطوراً أستريح بِسَلْمِهِ
لثماً فيشفع ظلمه في ظلمه

مربع أحبابي متى رَوْضاً
مخيماً بالجزع أم قَوْضاً
أضاء جيرانا بذات الأضا
أمرضئموه بجفاكم قضى
وعهدنا بالخيف أن ينقضا
مكان طبيب الداء من أمراضا
لم أر عيشاً بعدكم يُرتضى
يوماً كأيامي بكم أبيضاً

فهني لي مَذْهَبُ
لوئها مَذْهَبُ
أنجماً تغربُ
عن عيون البَشَرِ
تجتني بالفِكرِ
وإدع لي بالرحيقِ
ليس فيهم مفيق
ونحبُّ العتيق
بسماع الوترِ
وعذك المنة ظر
واظرح ما يقول
من كؤوس الشَّمُولِ
واعصب قول العذول

والخصرُ منه والجفون وعهده
متلونٌ أصلي بحمرة خدّه
فيسيء بي ظلماً ويحسن ثغره
ومن شعر ابن زبلاق: [من السريع]

هل أنت يا وفد الصَّبى مخبري
وهل أقام الحيُّ من بعدنا
وأنت يا بارقٌ نجد إذا
فقل لهم ذاك الغريبُ الذي
حاشا لذاك الوجود أن ينقضي
ويا شفاء النَّفس لو أنه
أحبابنا منذ وداع اللوى
ولا رأت عيني مُذْ غَبِئْتُ
ومنه موشح:

يا نديمي بالرياض قفا
وأديرا سُلالة قرقفا
خلتُ فيها الحَبَابَ حين طغا
حجبت بالبهاء والحسن
وبدت في الخفاء كالوهم
لا تُخالف يا منيتي أمري
ما ترى صحبتني من السَّكر
نحن قوم من شيعه الخمر
قد رفضنا عنا به الحزن
وحمانا عن ناصبِ الهم
صاح لا تستمع من اللاحى
فمن الغُبْن أن تبت صاحي
فاكسُ راح النديم بالراح

ما ترى العذل في الصبا يُغني
بنث خِذِرٍ تشفي من السقم
حُثَّ شمس الكؤوس يا بدري
واسقنيها كأنها تبرُّ
ضحكت في ثغورها الزهر
وتغنَّت بأطيب اللحن
ناطقاتٍ بالسنِّ عُجم
حَثَّها بيننا رشاً وسنان
ناعسُ الطرف نابل الأجفان
قد سكرنا من لحظه الفتان
ربَّ خمِرٍ شربت من جفن
من خدودٍ تُحمي عن اللثم
ومن شعر ابن زبلاق: [من البسيط]

لولا انتظارُ خيالٍ منكم سارٍ
وما تنبَّه عُذالي على كمدي
الله جازٍ لأحبابي وإن نقضوا
ناموا خليين من وجدي وأزقني
وحكي أنه كان في بعض الأيام جالساً بمجلس أنسٍ مع بعض أصحابه فقال: [من المجتث]

يا نارَ أشودِ قلبي
فقال بعض الحاضرين:

كن راحماً لمحِبِّ
ومن شعر ابن زبلاق: [من الكامل]
يا مانحي طولَ السقامِ ومانعي
ما صار وجهُك للمحاسن جامعاً
ومنه أيضاً: [من الطويل]

عن سماع الوتر
فاقصر منها وطر
فالندامى نجوم
من بنات الكروم
بُبُكاء الغيوم
صادحات الشجر
طاب شرب السَّحَر
نَلْتُ منه الأمان
باسمٍ عن جُمان
قبل خمرة الدنان
واجتنيت الزهر
بسيوفِ الحور

لكان نوؤك يا جفني من العار
إلا بما شاهدوا من دمعي الجاري
عهدي ولم يحفظوا لي حُرمة الجار
شوقٌ يطولُ به شجوي وتذكاري
ومع بعض أصحابه فقال: [من]

ونورَ أسودِ عيني
أباحك الأسودين

بجفاه وردَ رضابه المعسول
إلا وثغركُ قُبلةُ التقبيل

سهاداً يذود الجفن أن يَألف الجفنا
وملت بقَدِّ عَلمِ الهيف الغصنا
وسناء إذ تشابهتما سِنّا

بعثت لنا من سحر مقلتك الوسنى
وأبرزت وجهاً أخجل الصبح طالعاً
حَكَيْتَ أخاك البدر في حال تمّه سنا
ومنه: [من الطويل]

فمجمل حالي فيه يغني عن الشرح
فلا عجب سيل العقيق من السفح
وحمرته في الخدّ تؤذن بالجرح
فَأشَبّه بدر التّم في الأفق المصحى
وترشد منه غُرّة كسنا الصبح

خذوا خبر الأشجان عن جفني السمع
وإن سفحت عيناى دمعى أحمرأ
أيجعله الواشي على الوجد شاهداً
وبي رشأ تمت محاسنُ وجهه
ثُرينا ظلالاً طرّة منه كالدجى

١٩٦ - «الطبيب اليهودي»^(١) يوسف أبو الحجاج الإسرائيلي المغربي الفارسي، أتى إلى مصر وكان فاضلاً في الطب والهندسة والنجامة، واشتغل بالطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي ثم إنه سافر الشام وأقام بحلب وخدم الظاهر غازي فكان يعتمد عليه في الطب، وخدم الأمير فارس الدين ميمون القصري. وتوفي بحلب، وله رسالة في «ترتيب الأغذية اللطيفة والكيفية في تناولها»، و«شرح الفصول».

١٩٧ - «القسّ المعروف بالسّاهر الطبيب»^(٢) يوسف القسّ المعروف بالسّاهر، كان طبيباً عارفاً متميّزاً وكان في أيام المكتفي. وقال عبيد الله بن جبريل: كان به سرطان في مقدم دماغه فكان يمنعه النوم، فلُقّب الساهر لأجل مرضه.

وله الكُنّاش المعروف به، وهو مما استخرجه وجربّه أيام حياته، وجعله قسمين: قسم تجري أبوابه على ترتيب الأعضاء من الرأس إلى القدم، وقسم تجري أبوابه على غير ترتيب الأعضاء.

١٩٨ - «ابن موراطير الطبيب»^(٣) يوسف بن... المعروف بابن موراطير، وموراطير قرية قريبة من بلنسية، كان فاضلاً في الطب خبيراً محمود الطريقة، حسن الرأي، عالماً بالأمور الشرعية. سمع الحديث وقرأ «المدوّنة» وكان أديباً شاعراً صاحب مجون كثير

(١) انظر ترجمته في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٦٩٦).

(٢) انظر ترجمته في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٢٧٨).

(٣) انظر ترجمته في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (٥٣٣).

النادرة. خدم بالطب المنصور أبا يوسف يعقوب وولده الناصر من بعده ولولده أبي يعقوب يوسف المستنصر. وعمر أبو الحجاج طويلاً وكان حظياً عند المنصور يدخل مجلس الخاصة مع الأشياخ للمذاكرة في العربية وغيرها، ومات بالقرس في مراكش أيام المستنصر.

١٩٩ - «الجوهري الشاعر»^(١) يوسف الجوهري الشاعر. ذكره محمد بن داود بن

الجراح في كتاب «أخبار الشعراء» من جمعه فقال: يوسف الجوهري صاحب أحمد بن الخصب بغدادي، شاعرٌ صالحُ الشعر، أنشدنا أبو هفان له في المتوكل: [من الكامل]

إنَّ الخلافَةَ لم تزل مشتاقَةً يسمو إليك سريرتها والمنبرُ
حتى أتاك بها الذي أعطاكها ليعزها بك إنَّه بك أخبرُ
ولئن أتتكَ فكان منّا شاملاً للمسلمين لأنت منها أكبر

وأنشدنا أبو هفان له يمدح الحسن بن سهل: [من البسيط]

لو أنَّ عينَ زهيرٍ أبصرتَ حَسَناً وكيف يصنع في أمواله الكرمُ
إذا لقال زهيرٌ حين يُبصره هذا الجواد على العِلاتِ لا هَرم

قال محب الدين بن النجار: قرأت في مجموع: أنشد الأخفش ليوسف الجوهري

البغدادى من أبيات: [من الكامل]

فإذا الغزاةُ في السماء ترفَعَتْ وبدا النهارُ لوقته يترحلُ
أبدت لوجه الشمسِ قرناً مثله تلقى السماء بمثل ما تستقبل

٢٠٠ - «القميني»^(٢) يوسف القميني شيخه كان مشهوراً بدمشق، للناس فيه عقيدة

حسنة. وكان يأوي في أقمين الحمام وفي المزابل، ويلبس ثياباً تكنس الأرض ويمشي حافياً. قال الشيخ شمس الدين: ويتنجس ببوله في مشيه، وله أكمام طوال؛ وكان طويل السكوت ذا مهابة. توفي سنة سبع وخمسين وست مائة.

٢٠١ - «النحوي ابن الدِّبَّاغ»^(٣) يوسف بن الدِّبَّاغ، أبو يعقوب النحوي الصقلي؛ ذكره

ابن القطاع فقال: «حافظٌ لكتب المتقدمين، وتنبه لأسرار المؤلفين، وهو ممتن تقدّم في زمانه على أشكاله وأقرانه، وله مع ذلك شعرٌ صالح، وأكثره في مسائل النحو، فمن ذلك:

[من الخفيف]

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٢٨٩/٥) و«البداية والنهاية» (٢١٦/١٣).

(٣) انظره في «إنباه الرواة» (٦٤/٤).

إِنَّ هَذَا الْمَلِيحَةَ الْحَسَنَاءَ وَأَيَّ مَنْ أَضْمَرَتْ [لِخَلٍّ] وَفَاءَ
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ يُخْسِنُ مَنْ قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَا إِنَّ أَسَاءَ

الألقاب

اليوسفي المؤدب: اسمه يحيى بن نجاح؛

اليوسفي الكاتب: اسمه محمد بن عبد الله؛

أبو يوسف القاضي الحنفي: اسمه يعقوب بن إبراهيم.

يونس

يونس بن إبراهيم

٢٠٢ - «الدَّبَائِيسِي مُسْنَدُ مِصْر»^(١) يونس بن إبراهيم بن عبد القوي بن قاسم بن داود الكِنَاني العسقلاني أبو التَّون وأبو علي بن أبي إسحاق، فتح الدين الدَّبَائِيسِي. مسند الديار المصرية، توفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع [وعشرين] وسبع مائة رحمه الله. ومولده سنة خمس وثلاثين وست مائة تقريباً بالقاهرة. وهو أحدُ الأَشْيَاخ الذين سمعت عليهم الحديث. قرأت عليه جميعُ القدر المسموع من «كتاب القناعة» لابن أبي الدنيا، وهو من أول الجزء الأول إلى قوله: «فكأنما ملئت غنى»؛ وذهب عني ما كنت أجد بسماعه من الشيخ أبي الحسن بن أبي عبد الله بن المقيّر سنة اثنتين وأربعين وست مائة؛ «وجزاءً فيه ثلاثة أحاديث» من رواية الشيخ أبي أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد الفرضي بسماعه من ابن المقيّر. وجزاءً فيه «الأناشيد الحسنة المختارة» من رواية الشيخ أبي غالب فارس بن شجاع الذهلي الحافظ عن شيوخه بسماعه من ابن المقيّر؛ وجزاءً فيه «أحاديث منتقاة» من أصول الشيخ الجليل أبي الرجاء محمد بن أحمد بن محمد الجَرَّكَانِي؛ وجزاءً فيه «أحاديث عن مشايخ الإمام أبي طاهر السِّلَفي»؛ وجزاءً فيه «خطبة الإمام علي بن أبي طالب في وفاة أبي بكر الصّدِّيق»، رضي الله عنهما، بإجازته من ابن المقيّر؛ وجزاءً فيه «مجلس من مجالس القاضي أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرّوياني عن شيوخه» بإجازة المُسْمَع من السُّبُط؛ وسمعت عليه بقراءة غيري أشياءً آخر.

كان قد سمع بإفادة عمّه المحدث داود من أبي الحسن علي بن عبد الله بن المقيّر، وأجاز له ابن المقيّر، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحَبَّاب، وأسد بن عبد

(١) انظره في «شذرات الذهب» (٦/٩٢)، و«الدرر الكامنة» (٥/٢٥٩).

الغني بن قادوس، وحمزة بن عمر بن أوس، وشعيب بن يحيى بن أحمد الزعفراني، وظافر بن طاهر بن شحم المطية، وأبو الحسن علي بن محمود بن الصابوني، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الجوشني، والفقيه بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن بنت ابن الجُمَيزي الشافعي، وعبد الرحمن بن مكّي بن الحاسب سبط السّلفي، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن النّقار، وأبو الرّضا علي بن زيد بن علي التّسارسي، ومحمد بن أبي الحسن بن يحيى بن ياقوت، ومحمد بن إبراهيم بن الحباب، وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن عبد القوي، ومنصور بن سند بن الدّماغ، وأبو البركات هبة الله بن محمد المقدسي، ويوسف بن عبد المعطي بن المخيلي، ويوسف بن محمود السّاوي، وأبو علي الحسن بن إبراهيم بن دينار، وأبو بكر محمد بن الحسن السّفاقي، وأبو الفضل المرجّا بن أبي الحسن ابن شقيرة، ويعقوب بن محمد الهذباني، ومنصور بن أبي القاسم الجهني، وعبد العزيز بن عبد الوهاب بن عوف، وعبد القوي بن عزون، وابنه إسماعيل، وأحمد بن يحيى بن صباح، وعبد الحق بن عبد الله بن علاف، والحسن بن علي الفارسي، وأبو طالب محمد بن علي بن الخيمي، ومحمد بن إبراهيم التلمساني، ويوسف بن عبد الكافي بن الكهف، ومحمد بن محمود الأموي، وزهير بن محمد المهلب، وعبد المنعم بن رضوان بن مناد، وله رواية عن غير هؤلاء أيضاً. وحدث بالكثير، سمع منه الحافظ أبو الحجاج المزيّ سنة ثلاث وثمانين، والحافظ أبو محمد البرزالي، وسمع منه الحافظ أبو العلاء الفرضي، وكان شيخاً أُمياً، ساكناً، ديناً، له جلد على إسماع الحديث. وتفرد بغالب سيوخته وعلا سنده وانتفع النَّاسُ به وازدحم الطلبة عليه. وهو آخر من حدّث بالديار المصرية عن ابن المقفّر وعن خلق من أصحاب السّلفي بالإجازة. وأجاز لي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة، وأذن في الكتابة عنه بذلك للشيخ شهاب الدين العسجدي.

٢٠٣ - «البَيْعُ الشَّيْخِ الْبَغْدَادِي»^(١) يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البَيْعُ أَبُو الْمَنْصُور الْبَغْدَادِي. كَانَ يَبِيعُ الْقَطْنَ بِيَابِ الْأَزْجِ وَارْتَقَتْ حَالُهُ إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْوَكَالَهَ لِلْجَهَةِ أُمِّ النَّاصِرِ. قَالَ مُحِبُّ الدِّينِ بْنِ التَّجَارِ: كَانَ شَيْخاً صَالِحاً مُتَدِيناً حَسَنَ الطَّرِيقَةِ، مَرْضِيَّ السَّيْرَةِ، مُحَمُّودُ الْأَفْعَالِ، حَافِظاً لِلْقُرْآنِ؛ سَمِعَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَصِينِ، وَأَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْقِرَازِ وَغَيْرِهِمَا. وَحَدَّثَ بِالْيَسِيرِ، وَتَوَفِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَحُمِلَ فِي دَجَلَةٍ إِلَى الْمَدَائِنِ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ حُدَيْقَةِ بْنِ الْيَمَانِ الصَّحَابِيِّ.

(١) لم أقف على مصادر ترجمته.

٢٠٤ - «ابن الحرّاني اللغوي القرطبي»^(١) يونس بن أحمد بن يونس بن عيسون، أبو سهل الجذامي بن الحرّاني القرطبي اللغوي، كان بصيراً باللسان، حافظاً للغة والعروض، قيماً بالأشعار، مليح الخط مُتقناً، أقرأ الناس مدّة، وكان عظيم اللحية جداً. توفي سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة.

٢٠٥ - «ابن أبي الجحّ»^(٢) يونس بن أحمد بن أبي الجحّ. كان كبير الأشراف بدمشق، يُدعى ناصر الدين. توفي، رحمه الله، في سنة ست وعشرين وسبع مائة.

٢٠٦ - «الرّفّات القرطبي»^(٣) يونس بن أمية بن مالك بن صالح بن بُرد بن إلياس بن برد الأنصاري الرّمّان - بالزاي والفاء وبعد الألف تاء ثالثة الحروف القرطبي أبو الوليد. رحل إلى الشرق، وسمع بقرطبة من أبي جعفر بن عون الله، ومن سلمة بن قاسم، ومن غيرهما كثيراً، وسمع برحلته. وكان رجلاً صالحاً حدّث وكُتِب عنه، وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة، رحمه الله تعالى.

٢٠٧ - «العسكري الأصولي»^(٤) يونس بن أيوب العسكري، قال ابن أنجب: قرأت في «تاريخ سامراء»، أنّ يونس بن أيوب المتكلّم كان فاضلاً عارفاً بعلوم الأوائل، قد صنّف في علم الأصول عدّة كتب، وقد روى عن أبي جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي البغدادي المتكلّم عن عليّ بن العباس الرومي قوله في رجل مدحه مخرمة: [من الطويل]

صحائفُ لي فيها ذنوبٌ كثيرةٌ لديك وكفّاراتُها أنْ تمرّقَا
فبالمال إنَّ المالَ ربٌّ تجلُّهُ تفضّل بها مردودةٌ كي تُخرّقَا

٢٠٨ - «قاضي القضاة الجمالي الأصولي»^(٥) يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن عالي بن محمد بن علي، جمال الدين أبو محمد وأبو الوليد وأبو الفضائل وأبو الفرج القرشي الشّيبني الحجازي الأصل، المليجي المولد، الشافعي المشهور بالجمال المصري. ترسّل إلى الديوان العزيز وولي الوكالة بالشام مدّة، وولي التدريس ثم القضاء ودرس بالأمنيّة بعد التقي الضرير، ونوّه باسمه الصاحب صفي الدين بن شكر، وولي العادلة في أيام المعظم، واختصر كتاب «الأم» للشافعي، وصنّف في الفرائض. قال أبو شامة: وكان في

(١) انظره في «الصلة» لابن بشكوال (٦٨٦/٢).

(٢) انظره في «أعيان العصر» (٣٦٦/٣)، و«شذرات الذهب» (٧٤/٦).

(٣) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٤) لم أعثر على مصادر ترجمته.

(٥) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٥٧/٢٢) و«البداية والنهاية» (١١٤/١٣)، و«تاريخ الإسلام» (٦٢١-٦٣٠)، و«شذرات الذهب» (١١٢/٥).

ولايته عفيفاً مهيباً ملازماً لمجلس الحكم، وله شعر. توفي سنة ثلاث وعشرين وست مائة، رحمه الله تعالى، وتولى الحكم بعده القاضي شمس الدين أحمد بن الخُوَيتي. ومن شعره.

٢٠٩ - «ابن بُغا»^(١) يونس بن بُغا معشوقُ أمير المؤمنين المعتز بالله، وكان هو والمعتز من أحسن الناس، وكانا أمرَدين، وكان الناس يتفرجون عليهما إذا ركبا. شرب المعتز يوماً على بستان مملوء من النّمام وبين النّمام شقائق النعمان، فدخل عليه يونس بن بغا وعليه قباء أخضر، فقال المعتز: [من الكامل]

شَبَّهْتُ حُمْرَةَ خَدِّهِ فِي ثَوْبِهِ بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ فِي النَّمَامِ

ثم قال: أبيت آخر؟ فابتدر بنان المغني وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت فقال:

الْقَدْ مِنْهُ إِذَا بَدَا فِي قُرْطُكِ كَالْغَصْنِ فِي لَيْنٍ وَحَسَنِ قِوَامِ

فقال له المعتز: فغنّ فيه، فعمل فيه لحنين.

وقال العباس بن المفضل: كنت مع المعتز في الصيد فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بغا معه بقرب قنطرة وصيف، وكان هناك ديراني أعرفه ظريفاً نظيفاً، فقلت: يا أمير المؤمنين في هذا الدير راهب أعرفه ظريفاً لا يخلو من ماء بارد، أترى أن نميل إليه؟ قال: نعم، فجئنا فخرج وأخرج إلينا ماءً بارداً وسألني عن المعتز ويونس فقلت فتيان من أبناء الجند، فقال: بل مقلتان من حور الجنة، فقلت له: ليس هذا في دينك، فقال: من الآن هو ديني، فضحك المعتز، فقال الديراني أتأكلون شيئاً؟ قلنا: نعم، فأخرج لنا شطيرات خبزاً وأداماً نظيفاً، فأكلنا أطيب أكل، وجاءنا بأشنان فاستظرفه المعتز وقال لي: قل له بينك وبينه من تحب من هذين الغلامين أن يكون معك؟ فقلت له، فقال: «كلاهما وتمراً»، فضحك المعتز حتى مال على حائط الدير، فقلت للديراني: لا بد أن تختار، فقال: الاختيار والله في هذا دمار وما خلق الله عقلاً يميز بين هذين. ولحقهما الموكب فارتاع الديراني، فقال له المعتز بحياتي لا تقطع ما كنا فيه فأبى لمن ثم مولى ولمن ها هنا صديق، فمزحنا ساعة، ثم أمر له بخمس مائة ألف درهم فقبلها وقال: والله ما أقبلها إلا على شرط، قال: وما هو؟ قال: يجب أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد، قال: لك ذلك، فأتعدنا ليوم جئناه فيه، فلم يُبَيَّنْ غاية وقام للموكب كلهن بما احتاج إليه، وجاء بأولاد النصارى فخدمونا، ووصله المعتز يوماً بصلة سنّية، ولم يزل يعتاده ويقم عنده.

(١) لم أعثر على مصادر ترجمته.

٢١٠ - «صاحب المغازي»^(١) يونس بن بكير بن واصل الحافظ، أبو بكر الشيباني الكوفي الحمّال، صاحب المغازي. قال ابن معين: صدوق، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وقال أبو داود: ليس بحجة. قال الشيخ شمس الدين: مما يُنقَم عليه الشَّيْع، وقال ابن معين: ثقة إلا أنه مُرجىء، وقال العجلي: ضعيف الحديث. وروى له مسلم تبعاً، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

٢١١ - «يونس النحوي»^(٢) يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن النحوي. قال المرزباني: هو مولى ضبة، وقيل مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل: مولى بلال ابن هَرَمِيٍّ من بني ضُبَيْعَة بن بجالة. ولد، سنة تسعين للهجرة وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة اثنتين وثمانين ومائة. وكان يقول: أذكر موت الحجاج، وقيل: مولده سنة ثمانين، وقيل: إنه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وستين، وقيل: عاش ثمانياً وتسعين سنة. أخذ يونس الأدب عن أبي عمر بن العلاء وحمّاد بن سلمة، وكان النحو أغلب عليه، وسمع من العرب، وروى سيويه عنه كثيراً، وسمع منه الفراء والكسائي، وله قياسٌ في النحو ومذاهب ينفرد بها، وكان من الطبقة الخامسة في الأدب، وكانت حلقته بالبصرة بنتائها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية. وقال معمر بن المثنى: «اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملاً كل يوم ألواحي من حفظه». وقال أبو زيد الأنصاري: «جلست إلى يونس عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة». وليونس من الكتب: «كتاب معاني القرآن»، و«كتاب الأمثال»، و«كتاب اللغات»، و«كتاب النوادر الصغير».

وقال يونس: لو تمنيت أن أقول الشعر لما تمنيت إلا أن أقول مثل قول عدي بن زيد العبادي: [من الخفيف]

أَيُّهَا الشَّامِثُ الْمَعْيَرُ بِالذَّهْرِ أَنْتَ الْمُسَبَّرُ الْمَوْفُورُ

وأصل يونس من جَبَل، بُلَيْدَة على دجلة - بالجيم المفتوحة والباء الموحدة المشددة وبعدها لام - وحبيب اسم أمه فهو لا ينصرف للتأنيث والعَلَمِيَّة، فَإِنْ أَبَاه لَا يُعْرَف: ويقال: إنه ابن مُلَاعِنَة. ويقال: بل هو اسم أبيه؛ وكذلك محمد بن حبيب النساب، وكذلك محمد ابن شرف القيرواني، يقال: إن شرف اسم أمه، والله أعلم أيضاً.

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٩/٢٤٥)، و«تهذيب التهذيب» (١١/٤٣٤)، و«تذكرة الحفاظ» (١/٣٢٦)، و«الأعلام» للزركلي (٨/٢٦٠).

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٨/١٧١)، و«شذرات الذهب» (١/٣٠٣)، و«تهذيب التهذيب» (٥/١٤٦).

ودخل يونس يوماً إلى المسجد وهو يتهدى بين اثنين من الكُبر، فقال له رجل كان يتهم مودته: بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن، فقال: هو الذي ترى لا بلغته.

قلت: أخذ هذا المعنى محمد بن عبد الملك الزيات فقال: [من البسيط]

وعائب عابني بشيب لم يأل لما ألم وقته
فقلت إذ عابني سفاهاً يا عائب الشيب لا بلغته

وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى: «مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس، لا يدخله شيء إلا بعسر، فإذا دخله لم يخرج منه شيء»، يعني أنه لا ينسى شيئاً. وحدث التاريخي عن ابن الأَعلم محمد بن سلام قال: سمعت يونس النحوي يقول: رحم الله عثمان، ولا رحم الله من لا يترحم عليه، والله لقد استعمل عملاً لو استعملهم أبو جعفر كان قد أساء، ورحم الله علياً ولا رحم من لا يترحم عليه، قالوا له: ادفع لنا قتلة عثمان والأمر أمرك، قال: كل هؤلاء قاتل له فأيتهم أدفع إليكم، ثم أتى أهل النهر فقال: اقتدوا بعبد الله بن خباب، قالوا: كنا قتله، فقال: الآن طاب القتال، أقطاب القتال في قتل ابن خباب ولا يطيب في قتل عثمان؟.

قال: وحدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، حدثنا أبو زيد النميري، يعني عمر بن شبة، حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط، قال قال يونس النحوي: كنت أحب أن أدخل الجنة فأنظر فيها أربعة نفر، قال: فقلت له من هم؟ قال: آدم ويوسف وطلحة والزبير، قال قلت له كيف ذاك؟ قال: كنت أقول لآدم يا هذا رحمك الله كيف أدخلك الله الجنة وأباحك من كل شيء فيها ونهاك عن أكل شجرة واحدة فتعدت أمره فأكلت من الشجرة حتى ألزمتنا هذا الشقاء كله؛ وأقول ليوسف بن يعقوب رحمك الله قد علمت ما كان من وجد أبيك عليك وطول غيبتك عنه وأنت ملك مصر وإنما كان بينك وبينه مسافة عشر مراحل ما منعك أن توجه إلى أبيك رسولاً يعلمه بخبرك وقصتك؛ وأقول لطلحة والزبير ما بالكما أعطيتم علياً بيعتكما وصفقة أيما نكما ثم غدرتما به ونكثتما بيعتكما وصفقة أيما نكما من غير ما جُرم ولا جناية ولا سبب أحوجكما إلى ذلك؟.

وعن الفضل بن محمد اليزيدي عن محمد بن سلام قال: سمعت يونس النحوي يقول:

عذيري من عائشة في قولها في شعر لبيد: [من الكامل]

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرَب

حين قالت: كيف بليد لو أدرك زماننا هذا؟ وقد نشأت في حجر أم رومان وأبي قحافة، حتى إذا صارت زوج النبي، ﷺ، وأم المؤمنين ابنة الصديق، يعطيها معاوية في

غداة مائة ألف فتقسمها في الأطباق، تبكي على زمان لييد؟

وقال يونس يوماً: كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا مَخْتَلًا فِي مِشْيَتِهِ قُلْنَا: «إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ هَذَا هَاشِمِيًّا أَوْ نَحْوِيًّا»، فيقول مخنث: «أو عظيم الأير». وقال محمد بن سلام: سمعت يونس بن حبيب يقول: لَا تَأْمَنُ مِنْ مَنْ جَعَلَ فِي خِمْسَةِ دَرَاهِمٍ قِطْعَ خَيْرِ عَضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُهُ غَدًا هَكَذَا.

ولما دخل الكسائي البصرة أوّل دخوله جلس في حلقة يونس ينتظر خروجه فسأله ابن أبي عيينة عن «أولق» هل ينصرف أو لا؟ فقال: أفعل لا ينصرف، فقال ابن عيينة: خطأ والله، وخرج يونس فسئل عن أولق، فقال: هو فوعل وليس أفعل لأنّ الهمزة فاء الفعل، لأنك تقول ألق الرجل فهو مألوق، فتثبت الهمزة، وكذلك أرنب ينصرف لأنّه فعلل لأنك تقول: أرض مؤرنبة، فتثبت الهمزة، قال: والمألوق، المجنون.

٢١٢ - «ابن خَرَيْن»^(١) يونس بن الحسين بن داود بن أبي نصر، الشّاعر المعروف بابن خَرَيْن- بالخاء المعجمة والراء المشدّدة وبعد الياء آخر الحروف نون - قال محب الدين بن النّجار: كان يمدح النّاس ويُنْشِدُ فِي التّعَاذِي، يحتذي بذلك، رأيتُه وقد حضر في عزاء والدي وراثه بقصيدة ومدح أخويّ، والغالب على شعره الرّداءة، وكان مطبوعاً يتطايب، رأيت بخطّه على قصيدة الخادم يونس: «بلا تصحيف» يريد «تويساً» وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة ست وتسعين وخمس مائة.

وأورد له: [من الطويل]

وَحَقُّكُمْ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ عَلَيَّ وَقَلْبِي مِنْ تَذْكُرِكُمْ خَالِي
وَلَا هَجَعْتُ عَيْنَايَ إِلَّا رَأَيْتَكُمْ وَيزدادُ شَوْقِي بِالْخِيَالِ وَبِالْبَالِي
فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي نَقَضْتُ عَهْدَكُمْ وَلَا أَنَّنِي مَهْمَا أَعَشَ لَكُمْ سَالِي
وَلَكِنِّي بَاقٍ عَلَى حِفْظِ عَهْدِكُمْ وَمَا غَيَّرَ الْإِبْعَادُ وَالْبَيْنَ أَحْوَالِي

٢١٣ - «الأدمي أخو الحافظ»^(٢) يوسف يونس بن خليل بن قراجا أبو محمد الدمشقي الأدمي أخو الحافظ شمس الدين يوسف، وقد تقدّم ذكره مكانه، ولد في أوّل سنة تسع وخمسين وخمس مائة، وتوفي سنة ثمان وأربعين وست مائة، رحمه الله تعالى. وسمع مع أخيه من الخُشوعي، ورحل مع أخيه إلى مصر.

(١) لم أعر على مصادر ترجمته.

(٢) انظره في «تذكرة الحفاظ» (٤/١٤١١).

٢١٤ - «أبو لقمان الصَّفَّار»^(١) يونس بن خليفة، أبو لقمان الصَّفَّار. قال ابن رشيقي في «الأنموذج»: لم يكن أحدٌ يُنعتُ بالشاعر تبعاً لاسمه إلا هو وأبو الفتوح من أهل سوسة. وكان أبو لقمان هَجَرَ الخلق آدم اللون طوالاً إلى السمن شديد القوة، قبيح الوجه مجدوره، وكان يعرف ذلك من نفسه فلا يغضب ممَّن فاضه فيه. لقي أبا بكر الوراق يوماً، وبه خمار، فقال له: عزمت عليك إلا شَبَّهتني وقاربت، فقال نعم: أنت كالْبَرَبِخِ القديم يُكْسِرُ ويبقى الجزء منك قائماً هكذا، وأشار إلى قصبة مرحاض جوار دار أبي إسماعيل الكاتب على تلك الصِّفَّة، فضحك أبو لقمان وقال: قاتلك الله ما أبعدت.

وكان عامر الخطاب يوماً بحضرة إبراهيم الكموني، لما مات إبراهيم الحصري، فقال له: يا أبا عبد الله إنَّما بقي من الشعراء كلُّهم بعوضتان، أنا وأنت فبالله صِلْني ولا تقطعني، قال الكموني: لا والله بل فيلٌ وبعوضةٌ وما أسمع أنا منك. واجتمع يوماً عند أبي لقمان الدركادو وكلاهما يهتف نواذر الشطرنج على صاحبه وقد علا ضحكهما، إذ دخل الكموني فجلس يستمع لهدرهما، فقال الدركادو لأبي لقمان أجز: [من البسيط]

حِيتَانُ حُبِّكَ في طنجير بلوأي

فقال أبو بكر قبل تمام الكلام:

وَقَحْمٌ وجهك في كانونٍ أخشائي

فصاح به الكموني: هيه أبا لقمان قد غلبته من جهة الصناعة، فوزهى أبو لقمان وقال: أفضِّلُ يَتَّهَمُ في جِدِّ الشَّعر وهذا بديهيٌّ في الهتف؟ واجتاز بي مرة، وهو طافحٌ سُكْرًا، وأنا جالس في مكان مشرف بالشارع، وكان قد بلغه عني شيء، فما شعرت إلا وأنا بين السماء والأرض، قد شال بي على يديه ورفع رأسه إليّ وقال: أين تريد أليّك يا خبيث؟ فأريته أنَّه يريد يمازحني، لا يعدو رِفْقُكُ بالمكان الذي خطفتني منه، فقال: هل أنت إلا كفروج طارت به حداة؟ قلت: أي والله وإن شئت عنقاء؟ قال: كيف أنا عندك في الشعر؟ قلت: كامرئ القيس إن لم يكن فوقه، فقال: سلِّمت ووضعتني في مكاني وإني لأنْتَفِضُ مثل القصبة في الريح الشديدة، وانصرف. واجترزت به يوماً فوجدته يتوقَّد، فقلت: مالك؟ قال: أحبُّ أن أهجو الكموني وحبيباً الطائي، قلت: كيف اجتماعاً لك قال: لأن الطائي صنع من شعره: [من الكامل]

وكذاك أهل النَّارِ في الدُّنيا هُمُ يومَ القيامةِ جلُّ أهلِ النَّارِ

(١) لم أعر على مصادر ترجمته.

فصار الكُموني يُعرَضُ بي بهذا البيت في كل وقت، وصنعتي نارية كما ترى، قلت: صدقت، اضنَع حتى أعينك، ففكر طويلاً وقال: بيني وبينهما سوادُ اللَّيلِ والخلوَةُ بالقوافي. وشرب يوماً في دار الخُمّار طولَ نهاره، فلما كربت الشمس أتت بعارض غدق، فخرج ومعه نبيذ حتى أتى داره، فاستوحش وبعث رسولاً في طلب عبد الوهّاب المثقال، فوجده وجع الرَّجُل، فأتاه بخبره، فما لبث أن وافاه فاحتمله على كتفه كالطفل مغالبةً، وأنوله عند الباب وقد مات ضحكاً؛ وأخبرني عبد الوهّاب بالحكاية فصنعت أبياتاً كتبتها أبا لقمان: [من السريع]

أشاعرٌ أم جملٌ هائجُ	ليس له حادٍ ولا حادُجُ
يركبُه في الوَحْل إخوانُه	أمنأً وذا العَرُ الخارجُ
إلا يَكُن في خلقه شَذَقْماً	فالفرقُ ما بينهما واشجُ
كأنما راكبُه إذ بدا	نحو السماوات العُلى عارجُ
لولا دفاعُ اللّهِ ممّا ارتقى	ما انحطَّ إلا وبه فالجُ

وتوفي أبو لقمان الصفار في سنة خمس عشرة وأربع مائة، وقد تجاوز الأربعين.

ومن شعره قصيدة أولها: [من البسيط]

أحمِدُ بذا الزَّمنِ المحمود من زمن	به أتيح حريمُ الكُفر للمَحَن
------------------------------------	------------------------------

منها:

هوّن عليك فكم غارت بكفرهم	من غيرة لذوي الإسلام والسَّنَنِ
وكم أحلّوا حراماً لا يحلُّ وكم	دانوا بدين عبيد العجل والوثن
لما رغا فوقهم سقبُ السَّماء ضحى	بالقيروان وراقى جاحمِ الفتن
بوقعة أ وقعت بالغرب صاعقة	لدُعرها عاد من بالشرق في عدن
ما كان أيمَنها من وقعة رَعَبَتْ	مَنْ دان بالكفر في الفسطاط واليمن

٢١٥ - «الكاتب المغني»^(١) يونس الكاتب المغني بن سليمان بن كرد بن شهریار من

ولد هرمز، قيل إنه مولى لعمر بن الزبير، ومنشؤه ومولده بالمدينة. وكان أبوه فقيهاً فأسلمه في الديوان فكان من كتابه، وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج، وابن محرز والغريص، وأكثر روايته عن معبد، وله شعر جيد. وخرج مرّة من المدينة إلى الشام في تجارة، فبلغ الوليد بن

(١) انظر ترجمته في «فهرست ابن ندیم» (١٦٢)، و«الوسائل إلى مسامرة الأوائل» (١٣٧).

يزيد خبره، فلم يشعر يونس إلا برُسل الوليد وقد دخلوا عليه قال: فأخذوني وأدخلوني على الأمير، فرأيت أحسن الناس وجهاً، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس ودعى بالجواري والشراب فكنا يومنا وليلتنا في أمر عجيب إلى أن غنيته: [من الخفيف]

إِنْ يَعْشُ مَصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا يُرَجَّى
ثم تَبَيَّنَتْ فقطعتُ الصوتَ، قال: مالك؟ فأخذتُ أعتذرُ من غنائي بشعر في مصعب، فضحك وقال: مصعبٌ قد مضى ولا عداوة بيني وبينه، وإنما أريدُ الغناءَ فأَمْضِرُ الصوتَ، فأعدته فلم يزل يستعيده حتى أصبحَ فشرب مصطبحاً وهو يستعيد الصوت ولا يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام، فقلت: جُعِلْتُ فداك، رجل تاجر وخرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا، فقال: أنت تغدو غداً، ثم شرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وغدوت إلى أصحابي وسألت عنه فقبل لي هذا الأمير الوليد وليّ العهد لأمر المؤمنين هشام، فلما استخلف بعث إليّ فأتيته ولم أزل عنده إلى أن قُتل.

٢١٦ - «خادم المأمون»^(١) يونس بن عبد الله، أبو سعيد الخادم مولى أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد. روى عن المأمون، وقد روى عنه سعيد بن عبد السلام المجاشعي، رحمه الله تعالى.

٢١٧ - «قاضي القضاة بقرطبة»^(٢) يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله قاضي القضاة بقرطبة، أبو الوليد بن الصّفّار شيخ الأندلس في عصره ومسندها وعالمها. قال صاحبه أبو عمر بن مهدي: كان من أهل العلم بالفقه والحديث، كثير الرواية، وافرَ الحظ في اللّغة والعربية، قائل الشّعْر النفس، بليغاً في خطبه صَنّف كتاب «المنقطعين إلى الله والتسلي عن الدنيا» و«فضل المجتهدين» و«التسيب والتيسير»، و«محبة الله والابتهاج بها»، و«المستصرخين بالله عند نزول البلاء». وتوفي، رحمه الله تعالى، في سنة تسع وعشرين وأربع مائة.

٢١٨ - «الصدفي الشافعي»^(٣) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيّان أبو موسى، الصدفي المصري الفقيه الشافعي، أحد أصحاب الشافعي - رضي الله عنه -

(١) لم أعر على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٧/٥٦٩)، و«ترتيب المدارك» (٨/١٥)، و«تاريخ الإسلام» (٤٢١-٤٥٠).

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٢/٣٤٨)، و«شذرات الذهب» (٢/١٤٩)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/٥٢٧).

المكثرين من الرواية عنه والملازمة له، كان كثير الورع متين الديانة، علامة في الأخبار والصحيح والسقيم، لم يشاركه في زمانه في هذا أحد، وقد تقدم ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب «تاريخ مصر»، وذكر ولد هذا الحفيد أبي الحسن علي بن عبد الرحمن وهو المنجم المشهور صاحب الزيج، وكلُّ منهم إمام في قته.

أخذ يونس القراءة عرضاً عن وُزْش، وسقلاب بن سُنيّة، ومعلّى بن دحية عن نافع، وعن علي بن كيسة عن سُليم عن حمزة بن حبيب الزيات؛ وسمع سفيان بن عُيَيْث، وعبد الله ابن وهب المصري، وروى القراءة عنه مواس بن سهل، ومحمد بن الربيع، وأسامة بن أحمد، ومحمد بن إسحاق بن خُزَيْمة، ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم. وكان محدثاً جليلاً. ويُروى عن الشافعي رضي الله عنه أنّه قال: ما رأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان: له حبسٌ في ديوان الحكم وعقب، وداره مشهورة في خِطّة الصّدف مكتوب عليها اسمه، وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين، وكان أحد الشُّهود بمصر، أقام شاهداً ستين سنة، ومولده سنة سبعين ومائة، وتوفي - رحمه الله - في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين، وقبره مشهور بالقرافة. روى عنه مسلم والنسائي وابن ماجه وانتهت إليه رئاسة العلم بمصر لعلمه وفضله ونبله. قال الشيخ شمس الدين: وثقه غير واحد وما نقموا عليه إلاّ روايته عن الشافعي الحديث الذي في متنه: «لا مهدي إلاّ عيسى بن مريم» فإنه تفرد به عنه. وقال النسائي: ثقة.

٢١٩ - «الإمامي»^(١) يونس بن عبد الرحمن القُمني، رئيس الطائفة البيونسيّة من الإماميّة. كان يونس على مذهب القطعيّة في الإمامة، ثمّ إنّه أفرط في التشبيه فقال: «إنّ الله تعالى يحمله حملةً عرشه، وهو أقوى منهم، كما أن الطائر المعروف بالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى من رجله»، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ [الحاقة: ١٧/٦٩]، وهذا الاستدلال خطأ منه فإن الآية دلّت بصريحها على أن العرش هو المحمولٌ دون الله تعالى.

٢٢٠ - «القاضي سراج الدين الأرمني»^(٢) الشافعي يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي، القاضي سراج الدين الأرمني، كان من الفقهاء الأدباء الفضلاء الشعراء

(١) انظر في «الملل والنحل» (٥٧).

(٢) انظره في «شذرات الذهب» (٧٠/٦). و«الدرر الكامنة» (٢٦١/٥).

المحمودي السيرة في القضاء . سمع من الشيخ مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب القشيري، والحافظ أبي الحسين يحيى بن علي العطار، وعمر بن موسى العامري، والقاضي بدر الدين بن جماعة، وحدث بقوص وغيرها، واشتغل على مجد الدين القشيري وأجازه بالفتوى، وورد مصر للاشتغال، وأعاد بالمدرسة المعروفة بمدرسة زين التجار، كان هو والفقير نجم الدين بن الرُّفعة مُعِيدَيْن بها، قال نجم الدين بن الرُّفعة: كنت مرة في الإعادة فصار الطلبة يأتون إلي ولا يجلس أحد عنده، حتى وصلت الحلقة إليه، فقام وأخذ سجّادته على كتفه، ونظر إلي وقال: «أروح إلى الجامع أخذ دروساً في الأصول والنحو»، يعني أنك ما تدري هذا. وكان حسن المحاضرة، مليح المحاوره، صنّف «المسائل المهمة في اختلاف الأئمة» وكتاب «الجمع والفرق».

ولاه قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعرّ القضاء بإخميم وعملها، ثم أقره الشيخ تقي الدين مدّة ونقله إلى البهنسا، فأقام بها فوق عشرين سنة، ثم ولاه القاضي بدر الدين بن جماعة بُلْبَيس والشرقية، ونقله إلى قوص بعد كمال الدين السُّبكي. قال كمال الدين جعفر الأدفوي: أنشدته ارتجالاً حين خرج من عند ابن جماعة: [من الوافر]

سراج الدين سرّ في طيّب عيش قرير العين محمود الفِعالِ
وقد كُملت مسرّتكم وتمّت وُقيت النّفص من عين الكمالِ

قال كمال الدين بن جعفر، ورأيت بخطه على كتاب: [من مجزوء الكامل]

الحال منّي يا فتى يُغني عن الخبر المفيد
وبغير سكين ذُبِخ ت وأذرجوني في الصّعيد

وكان كذلك لم يخرج من قوص، وكان يروي «التنبيه»، و«المهذب» بالسند.

وأنشدني لنفسه في شروط الكفاءة: [من الكامل]

شُرط الكفاءة حرّرت في ستّة يُنبئك عنها بريث شعير مفرد
نسب ودين صنعة حريّة فقد العيوب وفي اليسار تردّد

قال: وأنشدني لنفسه في التعارض بين الاحتمالات وتقدّم بعضها على بعض: [من

الطويل]

مجاز وإضمار ونقل وبعده اش تراك وقيل الكل رتبة تخصيص
متى ما يكن اثنان منها تعارضا فقدّم ما قدّمت واحظّ يتلخيص

قال: وأنشدني لنفسه: [من السريع]

إِنْ تَرَمِّكَ الْأَقْدَارُ فِي أَزْمَةٍ أَوْجَبَهَا أَجْرَاؤُكَ السَّالِفَ
فَافْزِعْ إِلَى رَبِّكَ فِي كَشْفِهَا لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِهِ كَاشِفُهَا
ولد بأزمنت في المحرم سنة أربع وأربعين وست مائة، وتوفي بقوص بلسعة ثعبان، في
خامس عشر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مائة. وكان لأبيه نظم وأدب.

٢٢١ - «البصري»^(١) يونس بن عُبيد بن دينار البصري أحدُ الأعلام، رأى أنس بن
مالك، وروى عن إبراهيم التيمي، والحسن [و] ابن سيرين، وحמיד بن هلال، وزباد بن
جبير، وعمرو بن سعيد الثقفي. كان ثقة حافظاً ثباتاً ورعاً رأساً في العلم والعمل له مناقب
كثيرة. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة، وروى له الجماعة كلهم، رضي الله عنهم.

٢٢٢ - «شرف الدين الأرمني»^(٢) يونس بن عيسى بن جعفر بن محمد القاضي شرف
الدين الهاشمي الأرمني. كان من الفقهاء الفضلاء النبلاء، قليل الكلام كثير الاحتشام واسع
الصدر، رئيساً ساكناً. سمع من أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي، واشتغل
بالفقه على خال أمه الرضوي الأرمني، وعلى الشيخ جلال الدين الدشناوي، وتولى الحكم
بعدة جهات منها: دشنا وأدفو وأسنا، وأسوان وقمولا وما معها من القرى ونقادة، وناب
بقوص قريباً من ثلاثين سنة، وأهلها راضون عنه. وله معرفة بالفرائض على مذهب الشافعي،
والحساب والوراقة، ودرس بالمدرسة العزية ظاهر قوص وأعاد بالمدرسة الشمسية مدة. قال
كمال الدين جعفر الأدفوي: وكان حلو الخلوة ينبسط ويتبسّم وفيه قعدود وعليه مهابة، فقيه
النفوس يتكلم على «الوسيط» كلاماً حسناً، ولما حجّ آخر حجة اجتمع بقاضي القضاة بدر
الدين بن جماعة وتحدث معه فأعجبه سمته، وأحسن إليه وأضافه ضيافة حسنة كبيرة، وخطر
له أن يوليّه الشّرقية فذكرت له فقال: «أنا في آخر العمر ما أخرج من وطني، وأيضاً أنا في
قوص أرى من وليها يُقرّني على حالي والكّد على غيري». وقع من علو فأقام ساعة، وتوفي
بقنا سنة أربع وعشرين وسبع مائة.

٢٢٣ - «أبو بكر المقرئ البغدادي»^(٣) يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر بن محمد،
أبو الفتح المقرئ البغدادي، دخل حلب وهو شاب وأقام بها. قال محب الدين بن النجار:
لقبته بحلب، وعلقت عنه مقطعات من الشعر له ولغيره، وهو لطيف الطبع، ظريف، حسنُ

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٨٨/٦)، و«تذكرة الحفاظ» (١٤٥/١)، و«شذرات الذهب» (١/١).
(٢٠٧)، و«تهذيب التهذيب» (٤٤٢/١١).

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢٦٣/٥).

(٣) انظر ترجمته في «قلائد الجمان» (٥٦٩/١٠).

الأخلاق متودّد، وكان يخضب لحيته بالسّواد. وأورد له: [من البسيط]

وللأصيل ذوا عَذْلٍ يقوم له بشاهد الحبّ من بدو ومن حَضِرِ
تنظيف لحن إذا ما ظلّ يُنشِدُنَا شعراً وتنظيف خدّيه من الشّعِرِ

٢٢٤ - «الشيخ رضي الدين الشافعي»^(١) يونس بن محمد بن مُنعة بن مالك بن محمد ابن سعد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس، رضي الدين أبو الفضل والد الشيخ عماد الدين محمد، والشيخ كمال الدين موسى، وقد تقدم ذكرهما في مكانيهما، وتقدم ذكر حفيده الشيخ شرف الدين أحمد بن موسى في مكانه. كان من أهل إربل وقديم الموصل وتفقه بها على تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين المعروف بابن خميس الكعبي الجُهني، وسمع عليه كثيراً من كتبه ومسموعاته، ثم انحدر إلى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي علي منصور بن سعد المعروف بابن الرّزاز مدرس النظامية، ثم عاد إلى الموصل وصادف قبولاً عظيماً عند صاحبها الأمير زين الدين علي بن كوجك صاحب إربل، وفوض إليه تدريس مسجده ونظره وكان يدرس ويفتي ويناظر، وقصده الطلبة للاشتغال عليه إلى أن توفي - رحمه الله - سنة تسع وسبعين وخمس مائة، وكان عمره اثنتين وستين سنة. ومن شعره يقول: [من الطويل]

لها زورة في كلّ عامٍ وتارةً تمرُّ شهورُ الحول لا تَجْمَعُ
وصالٌ وصدٌّ لا شيء سوى أنها على خلق الدنيا تجودُ وتمنع

٢٢٥ - «الوفراوندي»^(٢) يونس بن محمد بن إبراهيم الوفراوندي، نحوي. ذكره محمد ابن إسحاق، له من الكتب «كتاب الشافي» في علم القرآن، «كتاب الوافي» في علم العروض.

٢٢٦ - «القرطبي اللغوي»^(٣) يونس بن محمد بن مُغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله ابن محمد بن مغيث، أبو عبد الله. قال ابن بشكوال: مات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة، ومولده سنة سبع وأربعين. ولقيه ابن بشكوال وقال: هو من أهل قرطبة وشيخها المعظم، كان عارفاً باللغة والعربية، ذاكراً للغريب والأنساب، وافر الأدب، جامعاً للكتب، راوية، حافظاً لأخبار أهل بلده، جمع ديواناً في مُلح المحادثة جمّ الإفادة.

(١) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٢٦٧/٤)، و«وفيات الأعيان» (٢٥٤/٧).

(٢) لم أقف على مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٢٣/٢٠)، و«بغية الوعاة» (٣٦٦/٢).

٢٢٧ - «الكاتب أبو الفضل الأرموي»^(١) يونس بن المظفر بن يوسف بن الفرّج الأرموي أبو الفضل الكاتب، قرأ الأدب في صباه على بي البركات بن الأنباري وكان جاره ثم اشتغل بالكتابة والتصريف، فرُتّب كاتباً بديوان الزمام مدة، ثم جُعل كاتب السلة، ثم ولي الإشراف على ديوان الزمام، ثم عزل وقُبض عليه واعتُقل مدة وعُطِّل في منزله مدة، ثم رتّب وكيلاً للإمام الظاهر وكان أميراً إلى حين وفاته. وكان أديباً، فاضلاً، كاتباً حاذقاً جيّد الخط له معرفة بالحساب وأحوال السّواد والقِسمة والمساحة والتخريجات والمقاطعات، وكان حسن الطريقة محمود السيرة متديناً محبباً لأهل الخير متواضعاً. وتوفي، رحمه الله تعالى، سنة خمس عشرة وست مائة.

٢٢٨ - «الجواد صاحبُ دمشق»^(٢) يونس بن ممدود بن محمد بن أيوب بن شاذي، السلطان الملك الجواد مظفر الدين ابن الأمير مظفر الدين ابن الملك العادل أبي بكر؛ كان في خدمة عمّه الملك الكامل فوقع بينهما، فسار إلى عمّه المعظم، فأقبل عليه، ثم عاد إلى مصر واضطّلع مع الكامل، فلما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق، فلما مات الكامل تملّك الجوادُ دمشق، وكان جواداً كلقبه، ولكن كان حوله ظلمة، وكان يُحبُّ الصالحين والفقراء، وتقلّبت به الأحوال وعجز عن مملكة دمشق، وكاتب الملك الصالح نجم الدين ابن الكامل، فقدم وسلّم إليه دمشق وعوّضه سنجار وعانة، وسار إلى الشّرق فلم يتمّ له الأمر، وأخذت منه سنجار وبقي في عانة، وسار إلى بغداد فأنعم عليه وباع الخليفة عانة بجملة من الذهب، ثم صار إلى مصر وافداً على عمّه الصالح فهمّ بالقبض عليه، فتسحب إلى الكرك إلى الملك الناصر، فقبض عليه الناصر، ثم إنّه انفكّ منه وقدم على الصالح إسماعيل صاحب دمشق فلم يَشْرَ له، فقصّد ملك الفرنج الذي بصيدا ويبروت فأكرمه، وشهد مع الفرنج وقعة قلنسوة، قتلوا فيها ألف مسلم. ثم بعث إليه إسماعيل الأمير ناصر الدين ابن يغمور ليحتال عليه بخديعة، فيقال إنّه اتّفق معه على إسماعيل، ثم إن إسماعيل ظفر بالجواد وسجنه بحصن عزّتاً، وسجن ابن يغمور بقلعة دمشق، فطلب الفرنج الجواد بن إسماعيل وقالوا: لا بدّ لنا منه، فأظهر أنّه مات، وأهله يقولون: بل خنّفه، ودُفن بقاسيون في شوال سنة إحدى وأربعين وست مائة بترية المعظم؛ ويقال إن أمّه كانت إفرنجيّة.

(١) لم أقف على مصادر ترجمته.

(٢) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٨٤/٢٣)، و«البداية والنهاية» (١٦٣/١٣)، و«مرآة الزمان» (٨/٧٤٣)، و«النجوم الزاهرة» (٦/٢٣٥).

٢٢٩ - «الجُبْلَانِي»^(١) يونس بن ميسرة بن حَلْبَس الجُبْلَانِي الأعمى، هو أخو يزيد وأيوب. كان من كبار علماء دمشق، وروى عن معاوية، وعبد الله بن عمرو، ووائل بن الأسقع وابن عمر، والصُّنَابِحِي، وأبي مسلم الخولاني، وأم الدرداء وغيرهم. وله كلام نافع في الزهد والمعرفة. قال العجلي والدارقطني وغيرهما: ثقة. قتله المسوودة عند مُلْكٍ دمشق سنة اثنتين وثلاثين ومائة، رحمه الله تعالى. وكان يقول في دعائه: «اللهم ارزقنا الشهادة»، فَيُتَعَجَّبُ منه إذ يدعو بهذا وهو أعمى، حتى قتله المسوودة. وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

٢٣٠ - «الهاشمي القَصَّار»^(٢) يونس بن يحيى بن أبي الحسن بن أبي البركات بن أحمد ابن حمزة بن إسماعيل بن محمد بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي القَصَّار، من أهل باب الأزج ببغداد. أسمعته والده الكثير من محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، ومحمد بن ناصر الحافظ، والفضل بن سهل ابن بشر الإسفراييني، وأحمد بن أبي غالب بن الطالبة، وسعيد بن أحمد بن البناء، ومحمد ابن عبيد بن الزاغوني، ومحمد بن عبيد الله بن سلامة الكرخي وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، والمبارك الحسين بن أحمد بن الشهرزوري، وجماعة غيرهم. وسافر إلى مكة وهو شاب واستوطنها إلى أن توفي، رحمه الله تعالى، سنة ثمان وست مائة وعمر وقصده الناس وحصل أكثر مسموعاته وكتب منها قطعة بخطه، وسافر إلى مصر واليمن ودخل بلاد الحبشة، وحدث هناك بالكثير، وعاد إلى مكة.

قال محب الدين بن النجار: سمعته يقول: حدثت بصحيح البخاري ستاً وثلاثين مرة؛ سمعتُ منه الكثير بمكة وجدة والجعرانة والحديثة والخيف من منى. وكان شيخاً حسناً فهماً حسن الأخلاق متيقظاً، إلا أنه كان متسمحاً في دينه يأخذ الأجرة على رواية الحديث، ويتساهل في روايته لا يسلك طريق المثبتين، عفا الله عنه.

٢٣١ - «رئيس الفقراء اليونسية»^(٣) يونس بن يوسف بن مساعد، الشيخ يونس الشيباني المخارقي، كبير الطائفة اليونسية الفقراء.

قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان: [كان] رجلاً صالحاً، سألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان؟ فقالوا: لم يكن له شيخ بل كان مجذوباً. وهم يذكرون له

(١) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٥/٢٣٠)، و«الطبقات» لابن سعد (٧/٤٦٦).

(٢) لم أعر على مصادر ترجمته.

(٣) انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٢٢/٧٨)، و«شذرات الذهب» (٥/٨٧).

كرامات، قال: أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عُبيد، كان قد رآه وهو صغير، وذكر أنّ أباه أحمد كان صاحبه، قال: كُنَّا مسافرين، والشيخُ يونس معنا، فترلنا في الطريق على عين بوار، وهي التي يجلب منها الملح البواري وهي بين سنجار وعانة، قال: وكانت الطريق مخوفة، فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف، ونام الشيخ يونس، فلما انتبه قلت له: كيف قدرت تنام؟ فقال: والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وتدرّك القفل، قال: فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس، رحمه الله تعالى. قال: وعزمت مرة على دخول نصيبين، وكنت عند الشيخ يونس في قريته، فقال: إذا دخلت البلد فاشترِ لأمّ مساعد كفتاً، قال: وكانت في عافية، وهي أمّ ولده، فقلت: وما بها حتى تشتري لها الكفن، فقال: ما يضر، فذكر أنّه لما عاد وجدها قد ماتت. وذكر له غير هذا من الأحوال والكرامات. قال وأنشدني له [موالياً]

أنا حميتو الحمى وأنا سكنتو فيه وأنا رميت الخلائق في بحار التيه
من كان يبغي العطا منّي أنا أعطيه أنا فتى ما أداني من به تشبيهه

قال: وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع عشرة وست مائة في قرية القنية من أعمال دارا، قال الشيخ شمس الدين الذهبي: سمعت الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية ينشد له هذه:

موسى على الطور لما خرّ لي ناجي واليشربي أنا جبّتو لما جا
وعلى الجملة لم يكن من أولي العلم بل من أولي الحال والكشف. وكان شيخنا ابن تيمية يتوقف في أمره أولاً، ثم أطلق لسانه فيه وفي غيره من الكبار.

٢٣٢ - «زعيم الطائفة اليونسية»^(١) يونس النميري، زعيم الطائفة اليونسية من المرجثة، زعم أنّ الإيمان هو معرفة الله تعالى والخضوع له ومحبته، فمن اجتمعت هذه الخصال فيه فهو مؤمن، وطاعة الله ليس من الإيمان وتركها لا يضرّ بالإيمان، ولا يُعَذَّبُ تاركها إذا كان إيمانه بالله تعالى خالصاً.

الألقاب

ابن يونس جماعة؛

منهم: عماد الدين محمد بن يونس؛

ومنهم: شرف الدين أحمد بن موسى «شارح التنبيه»؛

(١) انظر ترجمته في «الملل والنحل» (١/١٤٠).

ومنهم: تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس،

اليؤيؤ: اسمه محمد بن زياد؛

اليونيني: الصالح محمد بن سيف؛

اليونيني: شرف الدين علي بن محمد بن أحمد؛ والله أعلم.

تَمَّ وَكَمُلَ

آخر الجزء السادس والعشرين تم كتاب الوافي بالوفيات، وهو آخر الكتاب. تصنيف الإمام العالم الفاضل الأوحـد الكامل، عمدة المؤرخين، ثقة الملوك والسلاطين، فسح الله في مدته، صلاح الدين أبي الصفا خليل بن الأمير الكبير عز الدين أبي سعيد أيبك الصفدي. وكان الفراغ من نسخه على يد العبد الفقير إلى لُطْف ربه القدير محمد بن محمد بن المغربي الدهان، في ليلة يُسَفَّرُ صباحها عن نهار الإثنين رابع شهر صفر سنة خمس عشرة وثمان مائة. غفر الله لكاتبه ولصاحبه ولمالكه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله أنهـاء مطالعة واسعة كاتبه محمد بن محمد بن الموسوي الحسني بحلب المحروسة سنة ٨٨.

نظر في هذا التاريخ المبارك من أوله إلى آخره وهو ستة وعشرين مجلداً، العبد الفقير قليل الزاد إلى يوم المعاد، أرغون شاه، رحمه الله من دعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين، آمين.

آخر الجزء السادس والعشرين تم كتاب الوافي بالوفيات، وهو آخر الكتاب تصنيف الإمام العالم الفاضل الأوحـد الكامل، عمدة المؤرخين، ثقة الملوك والسلاطين صلاح الدين أبي الصفا خليل بن الأمير عز الدين أبي سعيد أيبك الصفدي، تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوبة جنته. وكان الفراغ منه في يوم السبت مستهل شهر ربيع رجب الفرد الحرام من شهور سنة ست وستين وتسع مائة، أحسن الله تعالى عاقبتها، على يد العبد الفقير إلى الله تعالى وأحوجهم إلى عفو ربه ومغفرته إبراهيم بن محمد بن محمد بن عز الدين الشهير بالمجاور الصّحراوي، لطفَ اللّهُ تعالى به وغفر ذنوبه، وستر عيوبه، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر؛ وغفر لمن قرأه أو طالع فيه ودعا له ولمالكيه بالمغفرة. ومحمد وآله أجمعين آمين.

محتوى الجزء التاسع والعشرون من كتاب الوافي بالوفيات

يعقوب بن يوسف

- يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ٥
- يعقوب بن يوسف بن عمر بن الحسين بن المَعمر ١٠
- يعقوب بن يوسف الملك المعز ١٠
- يعقوب بن الدقاق أبو يوسف ١١
- أبو يعقوب الجبان ١١

يَعْلَى

- يعلى بن عقيل أبو المنذر العروضي العنزى ١٢
- يَعْلَى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك ١٣
- يَعْلَى بن مُرَّة بن وَهَّيب بن جابر العامري ١٤
- يعلى بن حمزة بن المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ١٤
- يعلى بن حارثة الثقفي حليف لبني زهرة بن كلاب ١٤
- يعلى بن إبراهيم الأُزْبُسي ١٥
- يعلى بن عُبيد ١٦
- يعلى بن مسلم بن أبي قيس ١٧

يَعْمُر

- يَعْمُر السَّعدي ١٧

يعيش

- يعيش بن طخفة الغفاري الصحابي ١٧
- يعيش الجُهني ذو العُرَّة ١٨

- يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي بن المفضل ١٨
- يعيش بن صدقة بن علي ٢٠
- يعيش بن ریحان بن مالك أبو المكارم الأنباري الحنبلي ٢٠

يغمور

- يغمور بن عيسى بن العكبري الأمير ٢٠

يقطين

- يقطين بن موسى ٢١

يلبغا

- يَلْبُغا اليحيوي الأمير الكبير سيف الدين ابن الأمير سيف الدين طابطا الناصري ٢٢

يَلْتَكِين

- يَلْتَكِين التركي مولى هفتكين ٢٦

اليمان ويمن

- اليمان بن أبي اليمان ٢٦

- يُمن بن عبد الله الخادم ٢٧

يموت

- يموت بن تَامُزَّرَع بن يموت بن عيسى بن سيار بن حكيم بن جَبَلَة العَبْدِي البُضْرِي ٢٨

ينجوتكين

- ينجوتكين التركي العزيزي مولى العزيز ٢٩

ينغجار

- ينغجار الأمير سيف الدين الناصري ٣٠

يوحنا

- يوحنا بن بَخْتِيشُوع ٣٠

- يوحنا بن ماسويه ٣٠

يوسف

٣٢ يوسف بن آدم بن أبي عبد الله محمد بن آدم

ابن إبراهيم

٣٢ يوسف بن إبراهيم أبو البرم

٣٢ يوسف بن إبراهيم بن سعيد

٣٣ يوسف بن إبراهيم بن صابر بن نائل بن محمد الربعي

٣٣ يوسف بن إبراهيم بن نصر

٣٣ يوسف بن إبراهيم الأنباري

٣٤ يوسف بن إبراهيم بن عقاب

٣٤ يوسف بن إبراهيم بن قریش

٣٤ يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد القاضي الأشرف

٣٥ يوسف بن إبراهيم بن جملة الحوراني المحتجي ثم الصالحي الشافعي الأشعري

ابن أحمد

٣٨ يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله

٣٩ يوسف بن أحمد بن صالح الغوري

٣٩ يوسف بن أحمد بن الخرزي

٤٠ يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل

٤٠ يوسف بن أحمد بن يوسف بن كَجَج

٤٠ يوسف بن أحمد بن حسداي بن يوسف الإسرائيلي المسلم الأندلسي

٤١ يوسف بن أحمد بن عياد

٤١ يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد

٤٢ يوسف بن أحمد بن قنويه -

٤٢ يوسف بن أحمد بن إبراهيم

- يوسف بن أحمد بن قطنة المصري الشاعر ٤٣
- يوسف بن أحمد بن أبي بكر ٤٤
- [يوسف] بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عبد الغني ٤٤
- يوسف بن أسباط الزاهد الصالح ٤٥

ابن إسحاق

- يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي ٤٥

ابن أسعد

- يوسف بن أسعد الأمير صلاح الدين الدوادار ٤٥

ابن إسماعيل

- يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن الحسن ٤٦
- يوسف بن إسماعيل بن سعد الملك بن تحرير الأسواني ٤٧
- يوسف بن إسماعيل بن عبد الكريم بن عثمان ٤٧
- يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وَهْرَة ٤٧
- يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب ٤٨
- يوسف بن أبي بكر بن أبي الحسن الأذمي البغدادي ٦٨
- يوسف بن أبي بكر القاضي ضياء الدين ٦٩
- يوسف بن تاشفين ٧٣
- يوسف بن جعفر بن حيدرة بن حسان الأسنائي ٧٨

ابن الحجاج

- يوسف بن الحجاج الضيق ٧٩

ابن الحسن

- يوسف بن الحسن بن عبد الله المرزبان أبو محمد بن أبي سعيد السيرافي النحوي . ٨٠
- يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو القاسم التَّفَكُّري ٨٠

- ٨٠ يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن
- ٨٠ يوسف بن الحسن بن علي
- ٨١ يوسف بن أبي الحسن بن مفوز
- يوسف بن الحسن بن يوسف بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو القاسم
- ٨١ الخارزنجي

ابن الحسين

- ٨٢ يوسف بن الحسين بن يعقوب الرازي
- ٨٢ يوسف بن الحسين بن بدر بن الحسن بن المفرج بن بكار
- ٨٣ يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي
- ٨٣ يوسف بن حماد الشريف جمال الدين الحسيني المشهدي الإمامي
- ٨٣ يوسف بن حيدرة بن حسن
- ٨٤ يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الأدمي أبو الحجاج الدمشقي
- ٨٥ يوسف بن دُرّة - واحد الدُرر - الشاعر المعروف بابن الدُرّا
- ٨٥ يوسف بن دوناس بن عيسى أبو الحجاج الفندلاوي
- ٨٦ يوسف بن رافع بن تميم بن عُتْبَة بن محمد بن عَتّاب الأسدي

ابن سعيد

- يوسف بن سعيد بن مُسافر بن جميل بن أبي طاهر بن أبي عبد الله القطان أبو
- ٨٨ محمد البغدادي
- ٨٩ يوسف بن سعيد بن مسلم الحافظ
- ٨٩ يوسف بن أبي سعيد المهذب السامري الطيب

ابن سليمان

- ٨٩ يوسف بن سليمان بن مروان أبو عمر الأنصاري الأندلسي المعروف بالرّباحي

- يوسف بن سليمان بن عبد الله بن وهب بن حبيب بن مطر المري المعروف بابن
الطُّبْنِي ٩٠
- يوسف بن سليمان بن عيسى أبو الحجاج الأندلسي الشتمري ٩٠
- يوسف بن سليمان بن أبي الحسن بن إبراهيم ٩٠
- يوسف بن سفيان القرشي البطليوسي ٩٥
- يوسف بن سليمان بن صالح بن رُهَيْج ٩٥
- يوسف بن سيف الدولة أبو المعالي بن زَمَاح ٩٦
- يوسف بن صاعد ٩٧
- يوسف بن صالح بن يوسف ٩٨
- يوسف بن عابس المُعَاوِي ٩٨

ابن عبد الله

- يوسف بن عبد الله بن بNDAR أبو المحاسن الدمشقي الشافعي ٩٩
- يوسف بن عبد الله بن سلام المدني ٩٩
- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الإمام أبو عمر التُّمَرِي
القرطبي ٩٩
- يوسف بن عبد الله بن خَيْرُون الأندلسي ١٠١
- يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن أبي زيد الأندلسي اللُّرِي ١٠١
- يوسف بن عبد الله الرَّجَاجِي ١٠١
- يوسف بن عبد الله بن يوسف الهادي بن العاضد بن الحافظ ١٠١
- يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أيوب بن موهب ١٠٢
- يوسف بن عبد الله بن علي بن الحسين ١٠٣
- يوسف بن عبد الله بن عمر ١٠٣
- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن بدر الدين ١٠٣

- يوسف بن أبي عبد الله بن يوسف بن سعد ١٠٣
- يوسف بن عبد الله بن عبد الله الفقيه الفاضل جمال الدين النيني الشافعي ١٠٤
- ابن عبد الرحمن**

- يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة ١٠٤
- يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ١٠٤
- يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك بن أبي الزهر ١٠٦
- يوسف بن عبد الرحيم بن غزي القرشي ١٠٩
- يوسف بن عبد العزيز بن الماجشون ١١٠
- يوسف بن عبد العزيز علي بن نادر ١١٠
- يوسف بن عبد العزيز بن شدّاد الهمداني المصري ١١١
- يوسف بن عبد الغالب بن هلال الإسكندراني العلاف ١١١
- يوسف بن عبد اللطيف بن يوسف ١١١
- يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور بن رافع بن حسن ١١٢
- يوسف بن عبد المؤمن بن علي السلطان أمير المسلمين صاحب المغرب أبو يعقوب ١١٢
- يوسف بن عتبة الإشبيلي ١١٣
- يوسف بن عدي ١١٤

ابن علي

- يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل ١١٤
- يوسف بن علي بن محمد بن الحسين الزنجاني ١١٥
- يوسف بن علي كوجك بن بكتكين ١١٥
- يوسف بن علي بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الرحمن ١١٥
- يوسف بن علي بن مهاجر ١١٥

يوسف بن علي ١١٦

ابن عمر

يوسف بن عمر بن علي بن رسول ١١٦

يوسف بن عمر بن أبي بكر بن يوسف ١١٦

يوسف بن عمر بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس

الطوسي ١١٧

يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ١١٧

يوسف بن عمر بن الحسين ١١٩

يوسف بن عمرو بن المُنبي القرطبي ١٢٠

يوسف بن عيسى بن دينار المروزي ١٢٠

يوسف بن فتوح ١٢٠

يوسف بن الغرق بن لُمازه ١٢٠

يوسف بن فيروز حاجب شمس الملوك ١٢٠

ابن القاسم

يوسف بن القاسم بن يوسف بن فارس بن سَوّار المَيّانجي الشافعي ١٢١

يوسف بن القاسم بن صُبَيْح ١٢١

يوسف بن قِزْغُلي ١٢١

يوسف بن لؤلؤ الذهبي الأديب بدر الدين الدمشقي ١٢٢

ابن المبارك

يوسف بن المبارك بن كامل بن أبي غالب الحسين بن محمد الخفّاف البغدادي ١٣١

يوسف بن المبارك بن المبارك بن عبيد الله بن هبة الله ١٣٢

يوسف بن المبارك بن محمد بن شَيْبَة ١٣٢

ابن محمد

- يوسف بن محمد ١٣٢
- يوسف بن محمد بن مقلد بن عيسى ١٣٣
- يوسف بن محمد بن طملوس ١٣٣
- يوسف بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ١٣٤
- يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ١٣٧
- يوسف بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ١٤٣
- يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ١٤٤
- يوسف بن محمد بن مقلد بن عيسى بن إبراهيم بن صالح بن إبراهيم ١٤٤
- يوسف بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه بن محمد بن حموية ١٤٥
- يوسف بن محمد بن الحسين موفق الدين أبو الحجاج ١٤٨
- يوسف بن محمد بن بختيار بن عبد الله الجوهري ١٥١
- يوسف بن محمد بن يوسف بن سعيد بن سراج بن طريف البلوطي ١٥٢
- يوسف بن محمد بن عبيد الله القاضي صلاح الدين ١٥٢
- يوسف بن محمد بن مهدي ١٥٢
- يوسف بن محمد بن وليدويه ١٥٣
- يوسف بن محمد بن أحمد ١٥٤
- يوسف بن محمد بن يوسف بن الفضل بن المليح الكرخي ١٥٥
- يوسف بن محمد بن إبراهيم بن الحجاج الأنصاري البياسي ١٥٥
- يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي السلطان ١٥٥
- المستنصر بالله ١٥٥
- يوسف بن محمد بن منصور بن عمران المحدث الفاضل ١٥٦

- يوسف بن محمد بن عثمان السيف الناسخ ١٥٦
- يوسف بن محمد بن عبد الله ١٥٦
- يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد ١٥٦
- يوسف بن محمد الشيخ الإمام صلاح الدين بن المغيزل الحموي ١٥٧
- يوسف بن محمد بن نصر بن أبي القاسم ١٥٧
- يوسف بن محمد بن أحمد بن صالح بن صارم بن مخلوف ١٥٧
- يوسف بن مرحب ١٥٨
- يوسف بن مسعود بن بركة ١٥٨
- يوسف بن المظفر بن يوسف بن الفرّج الأرموي ١٥٨
- يوسف بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ١٥٨
- يوسف بن معزوز ١٥٩
- يوسف بن المغيرة بن أبان اليشكري ١٥٩

ابن موسى

- يوسف بن موسى القطان ١٦٠
- يوسف بن موسى بن عبد الله القطان المروزي ١٦٠
- يوسف بن موسى ١٦٠
- يوسف بن موسى بن محمد بن الحيوان ١٦٠
- يوسف بن نجاح بن مؤهوب ١٦٠

ابن نصر

- يوسف بن نصر الأزدي القرطبي ١٦١
- يوسف بن أبي نصر بن الشقاري الشيخ الأمير المسند عماد الدين أبو الحجاج
الدمشقي ١٦١
- يوسف بن هارون ١٦١

يوسف بن هبة الله الإسرائيلي ١٦٤

يوسف بن هلال بن أبي البركات جمال الدين ١٦٤

ابن يحيى

يوسف بن يحيى الإمام أبو يعقوب البويطي ١٦٤

يوسف بن يحيى بن يوسف الأزدي المعروف بالمعامي ١٦٦

ابن يعقوب

يوسف بن يعقوب السدوسي مولا هم المعروف بالضبيعي ١٦٦

يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خزاذ ١٦٦

يوسف بن يعقوب بن عثمان بن أبي طاهر بن مفضل ١٦٧

يوسف بن يعقوب هو ابن القاضي أبو يوسف ١٦٧

يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الرئيس المعتمر ١٦٧

يوسف بن يعقوب بن إسحاق البهلول أبو بكر التنوخي الأزرق ١٦٧

ابن يوسف

يوسف بن يوسف بن علي بن يوسف بن أحمد هو الأمير ابن الأمير أبي نصر ابن

الأمير أبي محمد ابن الأمير أبي نصر بن الإمام أبي العباس المستظهر ١٦٨

يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن الحسن ١٦٨

يوسف أبو الحجاج الإسرائيلي المغربي الفارسي ١٧١

يوسف القسّ المعروف بالساهر ١٧١

يوسف بن... المعروف بابن موراطير ١٧١

يوسف الجوهري الشاعر ١٧٢

يوسف القميني شيخه كان مشهوراً بدمشق ١٧٢

يوسف بن الدباغ ١٧٢

يونس بن إبراهيم

- يونس بن إبراهيم بن عبد القوي بن قاسم بن داود الكِنَاني ١٧٣
- يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البَيْع أبو المنصور البغدادي ١٧٤
- يونس بن أحمد بن يونس بن عيسون ١٧٥
- يونس بن أحمد بن أبي الجح ١٧٥
- يونس بن أمية بن مالك بن صالح بن بُرد بن إلياس بن برد الأنصاري الزُّقات -
بالزاي والفاء وبعد الألف تاء ثلاثة الحروف القرطبي أبو الوليد ١٧٥
- يونس بن أيوب العسكري ١٧٥
- يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن عالي بن محمد بن علي ١٧٥
- يونس بن بُغا معشوق أمير المؤمنين المعتز بالله ١٧٦
- يونس بن بكير بن واصل الحافظ ١٧٧
- يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن النحوي ١٧٧
- يونس بن الحسين بن داود بن أبي نصر ١٧٩
- يوسف يونس بن خليل بن قراجا أبو محمد الدمشقي الأدمي أخو الحافظ شمس
الدين يوسف ١٧٩
- يونس بن خليفة ١٨٠
- يونس الكاتب المغني بن سليمان بن كرد بن شهریار ١٨١
- يونس بن عبد الله ١٨٢
- يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله قاضي القضاة بقرطبة . ١٨٢
- يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان أبو موسى ١٨٢
- يونس بن عبد الرحمن القمي ١٨٣
- الشافعي يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي ١٨٣
- يونس بن عُبيد بن دينار البصري ١٨٥

- ١٨٥ يونس بن عيسى بن جعفر بن محمد القاضي شرف الدين الهاشمي الأرمني
- ١٨٥ يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر بن محمد
- يونس بن محمد بن مُنعة بن مالك بن محمد بن سعد بن عاصم بن عائذ بن كعب
- ١٨٦ ابن قيس
- ١٨٦ يونس بن محمد بن إبراهيم الوفراوندي
- ١٨٦ يونس بن محمد بن مُغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد بن مُغيث
- ١٨٧ يونس بن المظفر بن يوسف بن الفرج الأرموي أبو الفضل الكاتب
- ١٨٧ يونس بن ممدود بن محمد بن أيوب بن شاذي
- ١٨٨ يونس بن ميسرة بن حَلْبَس الجُبْلَانِي الأعمى
- يونس بن يحيى بن أبي الحسن بن أبي البركات بن أحمد بن حمزة بن إسماعيل
- بن محمد بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن
- ١٨٨ عبد المطلب
- ١٨٨ يونس بن يوسف بن مساعد
- ١٨٩ يونس النميري